الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي موسومة بـ:

الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال ديوان ابن قزمان (القرن 5هـ-6هـ/11م-12م)

إعداد الطالبة :

❖ قاضي فتيحة

إشراف الأستاذة :

* شرقي نوارة

- ✓ طيب بوجمعة نعيمة .....رئيسا
- ✓ شرقي نوارة..... مشرفا و مقررا
- ✓ تريكي فتيحة.....مناقشا

الموسم الجامعي :

1436- 1437هـ/ 2016/2015م

كلمة شكر

إنه لمن واجبي الإعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى فأتقدم بكلمة شكر وتقدير إلى

أستاذتي المشرفة: شرقي نوارة

التي أكن لها عظيم الإحترام و الحب فكانت صديقة وأخت لي قبل أن تكون أستاذة

ترشدني وتوجهني فأقول لها حفظك الله لأسرتك.

كما أتقدم بالشكر الخاص إلى الأستاذ الذي لم يبخل علي بالعطاء و التوجيه :

بوخالفة صالح.

و أخص بالذكر أيضا الأستاذ الذي كان بمثابة الأخ لي بدعمه ودعواته كركب

عبد الحق.

وإلى كل من الأستاذ: راكة ، بن صحراوي ، شرف ، عليلي، بن عودة، الحاج عيسى،

لورتان، بوحموم، حسنة، أوسليم.

وإلى الأستاذات الكريمات: بوجمعة، كلاني، تريكي، دوبالي، حسيني.

وبدون نسيان الأستاذة الغالية العفيفة الطيبة رحمها الله وجعل مثواها الجنة فتمنيت لو

أنها معي في هذا اليوم لأنها سند دائم بدون مقابل:

بقبق زهرة

وإلى روح الأستاذة سعدو التالية.

وإلى كل عائلة جامعة ابن خلدون تيارت من أساتذة لم أذكرهم، و موظفين وعلى

رأسهم أحمد صفا.

-فشكرا لكم جميعا و أدام فضلكم علينا أساتذتي أستاذاتي الأحباء-

إهـــداء

إن أسمى عبارات الحمد و الشكر أرفعها متواضعة لمقام رب العزة ذي الجلال و الإكرام، الذي وفقني في إتمام هذا الموضوع.

وبعدها الصلاة و السلام على رسولنا الكريم قائدنا وقدوتنا في الحياة.

ثم إلى من لهما الفضل في وجودي، تربيتي، تعليمي، إلى من أحمل أسمه بكل افتخار أبي الغالي خالد.

إلى من حملت همي بتنشئتي في الصغر وحملته أيضا في الكبر، فصبرت، ومنحت أمي الحنونة فاطمة.

أطال الله في عمركما وأدام بقائكما تاج فوق رأسي، فالركوع لكما لا يكفي أحبكما، أهواكما، ولا لذة للعيش دونكما.

إلى رفقاء دربي، ونبع حناني، ومصدر طاقتي، أخوتي الأعزاء:

العربي لن أنسى فضلك يا بئر أسراري، الحاج أدامك الله لأتعلم منك الطيبة، ميمونة أمي الثانية و توأم روحي، زهرة شقيقة حياتي، مولود يا أعز إنسان.

إلى روح أخي صديقي وحبيبي ونصفي الآخر جعل الله الجنة مثواك بجوار رسولنا الكريم محمد

إلى زوج أختي عبد القادر طيوب القلب، وزوجة أخي فاطمة الطيبة المتواضعة، وإلى براعم العائلة عادل، هديل، سلسبيل، مريا سيرين، محمد هارون، كوثر.

وإلى كل أقاربي بالعائلتين قاضي و بن سماعيل.

دون نسيان صديقاتي الوفيات.

و أتقدم بشكري إلى كل من ساعدني صغيرا وكبيرا ولو بالكلمة الطيبة، وإلى كل الطلبة والطالبات بجامعة ابن خلدون.

و إلى كل من يعرفه -فتـــيحـــة قاضـــي-

قائـــمة الـمــخــتصـــرات:

1- بالعربية:

إ.ش: إشراف

إع: إعداد

تح: تحقيق

تحر: تحرير

تر: ترجمة

تع: تعليق

تق: تقرير

ج.س: جيمس

ج: جزء

د.ب: دون بلد النشر

د.د: دون دار النشر

د.س: دون سنة

د.ط: دون طبعة

ر: رقم

شر: شرح

ص: صفحة

ط: طبعة

ظ: ظبط

ع: عدد

ق: قرن

م: ميلادي

مر: مراجعة

نش: نشر

هـ: هجري

2- بالأجنبية:

Ibid:المرجع نفسه

Op cit: المرجع السابق

P: الصفحة

مقدمة

تعتبر دراسة التاريخ الأندلسي من أهم الدراسات المطروحة في ميدان البحث العلمي، لأن ما حملته الأندلس من حضارة لا يمكن طيه ونسيانه، ففتحها كان من أروع الحلقات الفتوح إذ أنَّ فتح شبه الجزيرة الأيبيرية بمثابة التتويج للمسلمين إثر جهدهم المتواصل لإعلاء كلمة الإسلام، و بعدما كانت عالما مجهولا ما وراء البحر أضحت ملكا تابعا لحكم المسلمين؛ فاغتنموا الفرص ووظفوا جهودهم في مختلف المجالات لإنشاء دولة ثابتة الأركان، و إعمارها بحضارة تدين للإسلام مبنية على صرح متين و لمجابهة أعداء الدين؛ فاستطاعوا عبر الزمن إخضاع تلك الشعوب وظلوا تحت حمايتهم لمدة ثمانية قرون، وطيلة هذه الفترة شهدت المنطقة عدة مراحل سياسية، إذ نال قطاف الفتح عصر الولاة الذي عرف بتواصل حركة الفتوح، لتصادف بعدها مرحلة جديدة وهي الإمارة الأموية التي تُوجت في عهدها بالاستقرار السياسي و بلغت حضاريا تخمة التطور فباتت نبراسا للعلوم، وأبحر المجتمع في البحث والتقصي،لتضاهي بذلك بغداد في المشرق وبل العالم أجمع. .

لتعرف بعدها حكم ملوك الطوائف، وفي هذا العصر تحديدا بدأت الموازين تتغير في مختلف النواحي ولا سيما المجتمع الذي أقبل على الرذائل والمفاسد الأخلاقية، أما التفكك السياسي فقد بلغ ذروته وكان للنصارى في هذا العهد اليد العليا في السيطرة عليهم، فكانت هذه الأوضاع سببا في ازدياد عهد المرابطين وهو محور دراستي فنجدهم متمثلين في صورة المنقذين لسفينة المسلمين من الغرق، وتاركين بذلك بصماتهم في قاموس تاريخ الأندلس، فهي التي مثلت الإسلام في العدوتين، وعملت على نشره وفي نفس الوقت تخليصه مما لحق به من شوائب؛ ولوما وضعنا دولة المرابطين في ميزان الاعتبار نجد أنها اصطدمت بجملة من العراقيل التي غيرت من مسارها وربما لا يرجع الأمر إلى سبب محدد فكل ما وجد حولها كان له تأثيراته الخاصة، فعرفت على إثرها تحولات عميقة ومنعطفات جد حاسمة سواء على مستوى الحكم أو الحضارة، فمن ناحية الحكم قسمت إلى فترتين متباينتين قياسا على ما وجد من مظاهر إبان العهد الأول والثاني؛ فنلمس في بدايتها أنها تمسكت ببداوتها و الانقياد لعصبيتها الدينية، أما الثانية تميزت بالتخلي عن طابعها البربري، أما من الناحية الحضارية نلقى المجتمع بعدما كان زاهدا انزلق في المنكرات و الفواحش، وهي النقطة الحساسة التي جعلتني أختار هذا

الموضوع، الذي كثيرا ما غُيِب في المصنفات التاريخية، لأن معظم إن لم أقل كل الكتابات قد تفانت وربما تغاضت عنه، أو أنَّ الحديث شغلها فقط في الجانب السياسي والعسكري كون تواجد المرابطين بالأندلس كان عسكريا؛ سوى بعض الشذرات شبه المنعدمة التي تلوح بعادات وتقاليد المجتمع، فتم إسدال ستار طويل من الصمت على أحواله في هذا العهد، ولأهمية المجتمع البالغة عملت بكل إصرار للتقصي والبحث لعَلَّ وعَسى أن أقدم ولو القليل من المعلومات التي تحفظ ماء الوجه عن أوضاع مجتمع القرنين الخامس السادس هجريين؛ الذي انغمس في اللهو و الملذات واستهوه شهوات مجالس السهر و الأنس، فكان لانتشار المفاسد الأخلاقية حجتها البالغة، هذا عن جانب المسلمين فيما بينهم، أما حياتهم مع النصارى فقد عاشوا مجاورين لهم بسياسة تسامح كبرى؛ حتى أضحوا يتقلدون بهم فأحدثوا تجاوزات خطيرة لا تمد للدين بصلة رغم قوة حكم المرابطين، وهذا الأمر أذكره بشدة وتحفظ دون تجريح أو تشويه لصورة الملثمين محاولة قدر المستطاع الاتصاف بالموضوعية العلمية متقيدة لما جاء في ديوان بن قزمان الذي نقل لنا الأحداث بكامل مصداقية فنلمس من الأمور الإيجابية والسلبية التي اتصف بها المجتمع.

لكن و بالرغم من أهمية موضوع الحياة الاجتماعية من خلال هذا الديوان إلا أننا نجد شبه انعدام لدراسات سابقه حوله، فما نجده يكون متناول للمجتمع لكن خارج الديوان مثال ذلك دراسة لإبراهيم القادري بوتشيش تحت"عنوان مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين" ومع ذلك يجمل في تلك الدراسة العدوتين معا، وفيه رسالة ماجستير لمحمد عبد المنعم حمدان صوالحة باسم"صورة الممدوح في أزجال بن قزمان" وما هي إلا جزء صغير من ذلك الديوان الكبير زِدْ على ذلك هي دراسة أدبية بالدرجة الأولى تخلوا من الطابع التاريخي، ودون ذلك لا توجد دراسات حول الموضوع كله، ويعود نقص الدراسات عنه ربما لتخوف الباحثين من النقص الشديد للمصادر بالإضافة لشخصية بن قزمان التي هي الأخرى نكاد نفتقدها في المؤلفات التاريخية.

و إنه قبل الشروع للتقصي في المـــوضوع وضعت إشكاليات وجدتها مناسبة للموضوع وحاولت بذلك أن أجد لها أجوبة وتلك الإشكاليات كانت كالتالي:

– إن الشائع على حكم المرابطين أنهم حكموا الأندلس بيد من حديد فتسامحوا مع كل الهفوات سوى الزيغ في الدين والرعونة في الأخلاق وهو شعار طبقه يوسف بن تاشفين بمساندة الفقهاء والعلمـاء فهـل حَـذا أبنائـه وأحفـاده حذوتـه في الحكـم؟.

– لقد حل المرابطون على حضارة أبرتهم فكان تأثرهم بها سريعا؛ فما السبب الحقيقي وراء ذلك أانهيار في الحضارة أم بلوغ الترف؟ وأين كان دور الفقهاء في الحد من مفاسد الأخلاق؟وهل استطاعوا كـــبح جمـــاح شـــهوات ذلـــك المجتمـــع؟.

– كان تواجد المرابطين بالأندلس بغرض الجهاد ضد النصارى، لكن وجود النصارى بالمنطقة كان له أثـر علـى المجتمـع الإسـلامي، فهـل كـان سـلبيا أم إيجابيـا؟.

ولتقديم موضوعي هذا اعتمدت على المنهج التاريخي القائم على استقاء المعلومات من المصنفات التاريخية بشقيها سواءً مصادر أو مراجع، والعمل على تحليلها و الاستنتاج منها لما يخدم الموضوع طبعا؛ مع ترجيح نص على الآخر في بعض الأحيان، مقترنا مع المنهج الوصفي الذي لم أنفرد به في فصل دون الآخر كون الموضوع يتطلب التاريخ والوصف معا لاسيما في الفصل الثالث في وصف حـــالات التمـــزق الأخلاقـــي الـــذي بلغـــه المجتمـــع.

وبناءا على عنوان الموضوع فرض علي إتباع خطة عمل مؤلفة من مدخل وثلاثة فصول، وقد بدأت دراستي هذه بمقدمة ممهدة له، عملت منها على إبراز أهمية الموضوع ودوافع اختياره، ثم مشيرة إلى الدراسات السابقة له، وإلى صياغة إشكالية بناءة، وكذلك إلى المنهج، وفي آخرها على أهم المصادر والمراجـــع المعتمـــدة والصـــعوبات الـــتي صـــادفتها.

وبعد ذلك المدخل الذي تطرقت فيه للشق الأوسط من العنوان ألا وهو الأندلس فوجب أن أعرف بها كونها ميدان الدراسة وتحدثت عنها بلا إسهاب ممل ولا إفراط يحملني على تجاوز الأحداث المهمة فتطرقت إلى أصل التسمية التي وجد فيه اختلاف كبير، وإلى موقعها من كور العالم بلغة العصر الوسيط، ثم إلى خيراتها وأشهر مدنها التي جاء ذكرها في الديوان، ثم إلى دخول المسلمين لها فاتحين وإلى حضارتها بمختلف مجالاتها السياسية العسكرية والاجتماعية فالاقتصادية والدينية مختتمة بكلامي

عن الجانب الثقافي، وللتنويه إنني لم أخوض بأكثر من أسطر في الحياة الاجتماعية كونها صلب الموضوع.

وفيما يخص الفصل الأول فخصصته لدراسة حول شخصية بن قزمان وديوانه، الذي لم نجد عنه المعلومات الكافية لإبرازه كشخصية حظيت بالاهتمام، فما وجدته قد وظفته بإضفاء طابع التحليل، ضِف إلى ذلك الترجمات التي تناولته في المصادر لم تكن إلا معلومات شحيحة لا تكاد تفي بالغرض، بالرغم أنه من الشخصيات النادرة التي تناولت أحوال المجتمع الأندلسي في ديوانه الصغير الذي يعد من أثمن ما حفظه لنا التاريخ عن المصادر المؤلفة في حقبة المرابطين وبلغة الزجل أي باللهجة المتداولة ذلك الوقت وهذا ما يبرز قيمته أكثر ومن دون شك إذ يعتبر الديوان الوحيد الذي نستشهد به.

أمَّا الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن المجتمع الأندلسي بعاداته وتقاليده، إذ تمتزج فيه العديد من العناصر المختلفة الأصول والأنساب، من عرب وبربر وأهل الذمة وعبيد، وحتى المرأة التي كان لها دور كبير فيه، فطبقا لهذا التنوع وجدت الطبقية التي كان لها الدور الفعال في إيجاد الثغرات بين المجتمع و بخاصة بين المسلمين أنفسهم، إذ حصلت الطبقة الخاصة على السيادة والنفوذ فكانت أول المنغمسين في الرذائل و المنكرات ثم المتوسطة فالطبقة الدنيا التي ضمت السواد الأعظم من الرعية؛ وككل مجتمع له عاداته وتقاليده في المأكل و المشرب و الملبس وفي الاحتفالات و طقوس الجنائز.

و عن الفصل الثالث فأفردت الحديث فيه عن اللهو والترف بأسبابه ومظاهره التي بلغها أهل الأندلس من لهو وشرب خمر وملاح بل والأبشع من هذا كله بحيث أن بن قزمان أفصح في العديد من أزجاله عن وجود لآفات خطيرة وكان أول الممارسين لها أهل الأرستقراطية لتعاندهم العامة، وبالتالي أضحى المجتمع كله غارقا في مظاهر الخلاعة والمجون كالزنا واللواط والبغاء بالرغم من المحاولات السيطرة للقوة الحاكمة، ولا نتهم في الأمر أحد فقد كان أيضا لمجاورة النصارى الأثر البالغ في رعونة الأخلاق.

ثم إنَّ الموضوع لن يكون أكاديميا إلا باكتمال عنصره الأخير المتمثل في الخاتمة فقد أبرزت فيها أهم الخطوط العريضة التي تلخص حال المجتمع الأندلسي.

نقـــد المصـــادر:

إن أول مصدر استشهدت به هو ديوان بن قزمان، والذي انطلقت من محتواه إلى مصادر أخرى هي:

أولا: الكتب الأدبية:

1- ابن سعيد المغربي (685هـ/1286م)، في كتابه المغرب في حلي المغرب الذي صنف فيه البلاد الأندلسية تصنيفا مرتبا وكلما ذكر بلدا ذكر أدبائه وملوكه وشعرائه وقيمة المصنف هذا تكمن في أنه أرخ للشعر الأندلسي تأريخا علميا دقيقا، وهو الأمر الذي كان لي بمثابة المفتاح في الفصل الأول فأفادني في التعرف على شخصية بن قزمان الغامضة لدى العديد من الباحثين وأيضا في التعريف بديوانه لأستخلص من خلاله أنه كان إمام الزجالين بحق.

2- ابن بسام الشنتريني (أبي الحسين علي 542هـ/1148م)، كتابه أدبي تاريخي بالدرجة الأولى تضمن تراث القرن الخامس هجري، وعرض فيه تاريخ الملوك والوزراء و الأمراء عرضا دقيقا ووزن آثارهم وزنا صحيحا كما اشتمل المؤَلَف على أخبار الشعراء والكتاب، وبعيدا عن هذا خص بذكر أهل حضرة الأندلس و ما اتصل بها من بلاد الساحل فيعتبر موسوعة أدبية و تاريخية التي تضمنت تراث القرن الخامس هجري أفادني في المدخل و في الفصل الثاني.

3- ابن حزم الأندلسي (456هـ/1064م)، في طوق الحمامة في معرفة الألفة و الآلاف، كتاب أدبي حفظ لنا أيام ملوك الطوائف وما عرفه التاريخ من أحداث في ذلك العصر، أفادني في التعرف عن أحوال المجتمع أيام ملوك الطوائف و التي استمرت مع المرابطين.

ثانيا: الكتب التاريخية:

1- المقري التلمساني (أحمد بن محمد986هـ/1578م)، في كتابه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب استفدت في البعض من أجزائه للتعريف بالجزيرة الأيبيرية وكذلك في التعرف على أبرز الخطط

الكبرى في المنطقة وكذا المراحل السياسية التي مرت بها، علاوة على هذا كله عثرت فيه على بعض الشذرات التي أفادتني في بعض خصائص الحياة الاجتماعية بالإضافة إلى ترجمة بعض الأعلام.

2- ذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني776هـ/1074م)، الإحاطة في أخبار غرناطة بمجلداته الأربعة يقدم صورة شاملة عن مدينة غرناطة في وصفها و أخبارها أفادني الجزء الأول في جل أطوار الموضوع وقد وظفته في شحذ المعلومات الخاصة بالمزايا الاجتماعية من لباس وزينة وعموما عادات وتقاليد أهل الأندلس أي في الفصل الثاني، كما أفاداني المجلدين الثاني والثالث في الترجمة لبعض الأعلام التي تخدم موضوعي.

3- عبد الواحد المراكشي (محي الدين 625هـ/1228م)، في المعجب في تلخيص أخبار افريقية والمغرب، قسمه إلى تصنيفين رئيسيين تعلق الأول بالأندلس وجغرافيته وفتح المنطقة و خيراتها وواصل الحديث فيه إلى أيام المرابطين، أما القسم الثاني خصه للدولة الموحدين، انتقيت بعض المعلومات التي وظفتها في الفصل الثاني و الثالث وهو مؤلف لا بأس به حفظ لنا البعض من أحوال المجتمع.

ثالثـــا: كتـــب التـــراجم :

1- ابن بشكوال (578هـ/1120م)، كتابه الصلة وهو عبارة عن مؤلف يحتوي على عدد من التراجم التي أفادتني في التعريف ببعض الشخصيات.

2- وفيات الأعيان لصاحبه ابن خلكان (681هـ/1282م)، مصنف يحتوي على عدد كبير من الأعيان استندت عليه في التعريف ببعض الأعلام التي تطلب عليَّ ذكرها في الموضوع.

3- ابن الآبار البلنسي القضاعي(685هـ/1199) في كتاب التكملة لكتاب الصلة اعتمدته لترجمة بعض الشخصيات.

رابعا: كتب الرحلات والجغرافيا:

1-كتاب الإستبصار لمؤلف مجهول من القرن السادس هجري يحتوي على معلومات قيمة اعتمدته في تحديد الأماكن التي تطلبت مني التعريف بها، ويعتبر كتابه مصدرا جغرافيا وأثريا.

2-ابن الفضل العمري (شهاب الدين أحمد 947هـ/1350م)، في مصنفه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الذي هو الأخر لم يغفل عن ذكر المدن والأماكن زيادة على هذا حمل بين صفحاته بعض تقاليد المجتمع الأندلسي التي وظفتها في الموضوع.

3- الحميري (عبد المنعم 750م/1349م)، في الروض المعطار في خبر الأقطار من أحسن الكتب الجغرافية التي خصت بذكر المدن والقرى و أخبارها بالجملة وجاء مرتبا حسب الحروف، أفادني في التعريف بالأماكن الجغرافية عامة.

خامسا: المصادر الفقهية:

1-الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحي917هـ/1508م)، بنوازله المعرفة بالمعيار المغرب و الجامع المعرب في ذكر فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، احتوى على عدد كبير من النوازل وجاءت مصنفة ومرتبة كنوازل الطهارة والصلاة...الخ، أفادتني في التعرف على بعض الرزائل الأخلاقية التي تفشت في المجتمع الأندلسي والتي قضت هذه النوازل بتحريمها.

2- السقطي (أبي عبيد الله بن أحمد القرطبي د.س)، في آداب الحسبة و المحتسب الذي استفدت منه في ذات الغرض.

3-البرزلي (أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي 841هـ/1473م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، فيه إجابات على القضايا التي عرضت عليه و كان يعود بفتواه إلى الفقهاء المتقدمين عليه، و هو الآخر أفادني في التعرف على بعض المفاسد والحكم فيها.

ومن بين الصعوبات التي واجهتني في هذا الموضوع ندرة المصادر التي تتناول الحياة الاجتماعية أيام المرابطين لأستطيع التدعيم بها إلى جانب الديوان.

أصل التسمية و الموقع:

عُرفت الأندلس[1] بأكثر من مُسمى فغالبا ما كانت تنسب إلى أسماء الأقوام الـتي سكنتها، فعرفت قديما باسم الجزيرة الأيبيرية التي ضمت اسبانية والبرتغال[2] وذلك نسبة للأيبر، وهم أول من عمر الأندلس وإن جميع من سكنها لم يكن إلا بعد أيبر[3]، ثم نسبة إلى القوم الذين عمروها دهرا طويلا بعد الطوفان[4]، وهم الإشبان ويرجعون إلى إشبان ابن طيطش وكانوا مجوسا[5] كما حل بها بعد هذه الطبقة الفاندالس وهم جيل عظيم كان يقطن شرق ألمانية[6] فزحفوا من هناك إلى الجنوب حتى بلغوا جبل البوغاز(جبل طارق) [7]ومن هناك أجازوا إلى المغرب[8] .

[1]- بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال المهملة و ضم اللام والنون المهملتين. أنظر: ابن خلكان، معجم مقيدات ابن خلكان، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1987، ص:32.

[2]- هي الجهة المقابلة لأوروبا، وكانت مملكة مستقلة بذاتها، إلا أنه بدخول المسلمين لها أضافوها إلى ملكهم. أنظر: التونسي (فارس النديم الهمام)، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ط1، المطبعة الدولية، تونس، 1284، ص:315.

[3]- شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، ج1، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.س، ص:31.

[4]- النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب،تح:عبد المجيد ترجيني، ج:24، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، د س، ص:22.

[5]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وليفي بروفنسال، ج2 ،د.ط، دار الثقافة، بيروت، د.س، ص:5-6.

[6]- من أعظم الدول الأوروبية القوية، كانت تضم جَمع المسيحية من فرنسا و إيطاليا، وبعد فترة خرجوا عنها، ومع ذلك بقيت تحتفظ بتاج الملوك، فسميت بألمانية الملوكية. أنظر: التونسي، المصدر نفسه، ص:312.

[7]- هو مضيق يصل بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وبين جنوب إسبانيا وشمال غرب إفريقيا، وسمي كذلك نسبة لطارق ابن زياد فاتح الأندلس وقيل عنه شعرا:

هُوَ البَابُ إن كَانَ التَزَاوُر و اللُّقيَا و غَوثٌ و غَيثٌ للصَّريخ و اللُّقَي

أنظر: آمنة أبو حجر، المعجم الجغرافي، ط2، دار أسامة، عمان، 2009، ص:742، لسان الدين ابن الخطيب (السلماني)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار، تح:محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000، ص:82،84.

[8]- هي من البلاد الواسعة، أولها البحر المحيط ونهايتها حدود مصر، وطولها مسيرة شهرين وحدها من مليانة وهي آخر حد من إفريقية إلى آخر جبل السوس، وقاعدتها إفريقية أي بلاد تونس حاليا أنظر:ابن الوردي (سراج الدين أبي حفص)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر، د.ط، مركز ودود للمخطوطات، موقع شيخة المري، د.س، ص: 12، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الرومي)، معجم البلدان، ج1، د.ط، دار صادر، بيروت، 1977، ص:228-231.

فأطلق عليهم سكانها اسم الفاندالسيا[1].

إلا أن الراجح من القول أن أصل تسميتها ترجع إلى أنَّ العرب هم الذين سموها بالأندلس بغض النظر عن الأقوام التي حلت بها أو على التحريف الذي عرفته كلمة فندلوسيا إلى الأندلس، وحتى أن ابن قزمان، جاءت عنده في الديوان باسم الأندلس فقال:

وَالغَريبُ فيه لوَ قَط يكُون به بُوس ولاَجَا نَصرَاني إلى الأنْدلُوسْ[2]

أما عن شكلها و حدودها فإنها تأخذ شكل المثلث، يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث: عن شمالها بحر الأنفليشين من الروم وجنوبها البحر الشامي ومن غربها البحر المظلم[3]، فتضيق من ناحية الشرق حتى يكون رأسها بين البحر الشامي والمحيط مسيرة 5أيام، وإلى رأسها العريض نحو17يوم، وهي في أقصى المغرب بإنهاء المعمورة محصورا في البحر المظلم، وطولها من كنيسة الغراب على البحر المظلم) إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة 104ميل، وعرضها من كنيسة شنت ياقوت من الأنفلتين إلى المرية[4] بـ600ميل[5]، وهي مقسومة في وسطها بالجبل الطويل المسمى[6] بالشارة فهذا عن المسافات[7].

المسافات[7].

[1]- شكيب أرسلان، نفس المصدر، ص:33.

[2]- ابن قزمان القرطبي، ديوان:إصابة الأعراض في ذكر الأغراض، تح: فيديريكو كورينتي، ط1، دار أبي الرقراق، المغرب، 2013، 2013، ص:150.

[3]- الإدريسي (أبي عبد الله محمد ابن محمد ابن عبد الله ابن إدريس الحمودي)، المغرب وأرض السودان و الأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، د ط، مطبع بربح، ليدن، 1863، ص:17.

[4]- من أجمل المدن الأندلسية فهي أصيلة سرية، بحرية برية، معدن المال و مصدر الجباية، حبوة الأسطول كما أنها بلد الخام و الرخام وحضارتها تعبق طيبا، منذ الفتح و هي دار نساك و خلوة .أنظر: لسان الدين ابن الخطيب، معيار الإختيار...، ص:100-103.

[5]- الحميري (عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح:إحسان عباس، ط1، ط2، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1975، 1984، ص:31.

[6]- ابن سعيد المغربي (أبي الحسن علي ابن موسى)، كتاب الجغرافيا، تح:إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري، بيروت، 1970، ص:178.

[7]- لمعرفة المزيد عن مسافات مدن الأندلس أنظر: الإصطخري (إسحاق الفارسي)، مسالك الممالك، د.ط، مطبعة بريل، ليدن، 1927، ص:46.

وصفها وأشهر مدنها التي جاء ذكرها في الديوان:

وفيما يخص جمالها وروعتها فإنها فهي:"شامية في طيبها و يمانية في هوائها واعتدالها، واستوائية هندية في عطرها، أهوازية في ذكائها وعظم جنانها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع في سواحلها"[1]، ويا لأبهة جمالها في الربيع إذ يقول ابن قزمان:

الأَ رضُ قَد مَدَت بِسَاطاً أَخضَرْ

والأقحُوَانُ يفتَحْ والدُنيَا تَزهَرْ[2]

كما تتعدد بها أنواع الأشجار و الثمار، اللوز، القسطل، التمر، الجوز، البلوط، التين، عين الثور والرمان، الجلوز...، تجمع بين الغريب والعجيب فيما تحتوي عليه[3]، و بها الطير وكل أنواع الجمال والأسواق الكثيرة و العمارة الجميلة والحمامات المتعددة وكذا المساجد و الضياع والحيوان على اختلافه...وجميع ما خلق الله[4].

ولها من المدن الكثيرة، فهي لا تعد ولا تحصى، إلا أني سأتطرق إلى التي تخدم موضوعي، فابن قزمان كثيراً ما تغنى بقرطبة إذ يقول بأنها عين الجزيرة:

قُرطُبَة عَينَ الجَزيرَة، وابن مُغيث هو الفصُّ؟

ويضيف ابن قزمان أنها فخر الأندلس، ما يؤهلها إلى أن تنال حظا وفيرا من الأشعار إذ يقول:

---

[1]- الحميري، الروض المعطار...، ص:32.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:251.

[3]- اللَوزُ وَ القَسطَل و التَمرُ العَبيبْ

و الجَوز و البَلوطْ و التينُ و الزَبيبْ

أنظر: نفسه، ص: 233.

[4]- ابن حوقل (أبي القاسم)، المسالك و الممالك ، د.ط ، مطبع بريل ، ليدن ،1872، ص:80-81.

و أَنَا بَينَ السَاد وَ النَّاس و أَنَا في خَير الأقطَار،[1]

كما أنها عروس المملكة[2].

فهي في منتهى الغاية ومركز الراية و أمّ القرى[3]، وفيها من أهل العلم و التقى و الخير[4]، وكذلك غرناط فهي الأخرى التي حظيت بأغلى الأوصاف إذ يقول ابن قزمان عنها:

دَخَلنَا غَرنَاط في إقبَال مِنَ النعَم

وانجَلَى هَمِي[و]لَم يَبقى في صَدْرِي هَمْ[5]

و فيها من العمارة و الثروة و الآثار الخالدة[6]؛ ولها من المنظر الحسن، فاجتمع فيها من أهل كل بلد بلد حتى لقبت بمكة الشعراء[7]، أما عن اشبيلية فهي تزخر بالهواء النقي و المباني الضخمة، وشرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح أي أنها آمنة فلا خوف فيها، وعن جمالها فيفوق ما يتصوره العقل[8]، كما ذكرها صاحبنا ابن قزمان بإشبالياً[9]، أما طليطلة التي قال عنها المقري[10]: "تتوسط

---

[1]- ابن قزمان، نفسه، ص:218.

[2]- ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، ط4 ، دار المعارف، مصر، د.س، ص:37.

[3]- ابن بسام الشنتريني (أبي الحسن علي)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ج1، د.ط، دار الثقافة، بيروت، 1997، ص:174.

[4]- ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم، تح: إحسان عباس، ج2، ط2، المؤسسة العربية، بيروت، 1987، ص:174.

[5]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:237، 463..

[6]- لسان الدين ابن الخطيب (السلماني)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1973، ص:91.

[7]- رُدَّ غَرنَاطْ مَكَّةَ الشُعَرَاءْ

أنظر: ابن قزمان، نفسه، ص:463.

[8]- المقري (أحمد ابن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج2، د.ط، دار صادر، بيروت، 1988، ص: 157.

[9]- ابن قزمان، نفسه، ص: 88.

[10]- هو أحمد بن محمد، ولد بتلمسان وطلب العلم هناك، له عدد من المؤلفات كأزهار الرياض، عمل طب لمن أحب، وأشهرها نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ألفه بعيدا عن وطنه وكان بأرض المشرق، والمقري أديب و مؤرخ بارع. أنظر:ابن مريم(أبي

الأندلس وتجمع بين سائر الأملاك والبساتين والأنهار والرياض الجنان و الفواكه الحسان المختلفة الطعوم[1]والألوان[2].

فتـــــح الأنـــــدلس و سماتها الحضارية:

إن الأندلس كما هي دار الخير و الجمال و هي أيضا موطن جـهاد و رباط بسبب ما أحيط بها من أصناف أهل الكفر[3]، قبل دخول المسلمين إليها، إذ كانت تحت الحكم القوطي ووطأة الملك لـذريق[4].

ولما آلت[5] إليه من أوضاع متدنية وصور البؤس والحرمان فكانت سببا ومحفزا قويا للمسلمين لاجتياز المسلمين المضيق[6]؛ فتم العبور لها وفتحها سنة 92هـ/444م[7]، على يد طارق ابن زياد[8]بعد استشارة الخليفة و مرحلة استكشافية للجزيرة[9]، وإذن من موسى ابن النصير[1]، فعبر إلى الأندلس مجهزا بجيش أقل من فيه العنصر العربي والغالب فيه البربر[2]؛ وبطبيعة الحال لم يكن الأمر سهلا بل واجه الفاتحون

عبد الله محمد بن أحمد)، البستان في ذكر أولياء تلمسان، إع: محمد ابن أبي شنب، د.ط، مطبعة الثعالبة، 1908، ص: 120-121.

[1]- المقري، نفح الطيب...، ج1، ص:16.

[2] - أنظر الملحق رقم(1)، ص:155.

[3]- الحميري ، الروض المعطار...، ص:33-34.

[4]- لذريق أو رذريق ، من أصل قوطي، ادعى السلالة الملكية ونال الحكم بطريقة غير شرعية، و أثناء الفتح قتل على يد طارق ابن زياد في معركة واد لكة. أنظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر، بيروت، 1989، ص:32-33.

[5]- يوحنا أفندي أبكاريوس، قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، بيروت، 1985، ص:414-416.

[6]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج4، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1997، ص:30-33.

[7]- ابن العماد الدمشقي (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي ابن أحمد ابن محمد العكري الحنبلي)، شذرات الذهب في أخبار من الذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، ج2، د.ط، دار ابن كثير، بيروت، 1985، ص: 362.

[8]- قائد بربري الأصل، تولى فتح الأندلس قاضيا بذلك على الحكم القوطي، فتح قرطبة، مالقة، طليطلة، توفي في 102هـ/721م.أنظر: أشرف طه أبو الذهب، المعجم الإسلامي ،ط1، دار الشروق ،مصر،2002، ص:377.

[9]-البلاذري (أبي العباس أحمد ابن يحي ابن جابر)، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، د.ط، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987، ص: 32.

عدة معارك كان النصر فيها حليف المسلمين و أشهرها على الإطلاق معركة واد لكة[3]، وكان من أبرز نتائجها فتح الأندلس، وبعد هذا الفتح المبين دخلها موسى ابن النصير و ألقى بفتوحه على المدائن البـــاقية حتى سقطت طليطلة في أيديهم ليعلن بذلك سقوط الحكم القوطي في95هـ/714م[4]، ثم عاد الفاتحين تاركين عبد العزيز ابن موسى[5]واليا عليها؛ لتبدأ مرحلة الولاة من 95-138هـ/714-755م[6].

كان يتم تعين الولاة من المشرق[7]وأحيانا أخرى من إفريقيـة، وعرفت هته المرحلة بتواصل الفتوحات نظرا لمتاخمة المنطقة للنصارى الأوربيين، كما ميزها الطابع العسكري فكسبوا بذلك عدد كبير من الانتصارات التي أضيفت إلى صفحات المجد، إلا أنها انتهت بهزيمة كبرى في معركة بلاط الشهداء[8]

[1]- تولى إفريقية، له فضل فتح الأندلس، دخلها بعد طارق، توفي في 97هـ/716م. أنظر: الباجي المسعودي (أبي عبد الله)، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، ط2، مطبعة بيكار، تونس، ص:12،الحميدي(أبي عبد الله محمد بن فتوح)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف و محمد بشار، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص: 338.

[2]- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بينهم، د.ط، دار مجريط، ريدنير،1867، ص: 59.

[3]- تعرف أيضا بمعركة شذونة أو سهل برباط، كما تعني معركة البحيرة بإقليم الفنتيرة ، وهي من أقوى المعارك التي خاضها المسلمون بالأندلس و حددت دخولهم الجزيرة بسقوط دولة القوط. أنظر: نجاة سليم محمود معاسيس، معجم المعارك التارخية، د.ط، دار زهران، د.ب، 2002، ص:534-535.

[4]- مجهول، المصدر نفسه، ص:59-60.

[5]- من قبيلة لخم، استخلفه أبوه على ولاية الأندلس، قتل من قبل جند الخليفة بالمشرق لأمور نقموها عليه، وبداية به بدأ عصر الولاة بالأندلس. أنظر:الحميدي، المصدر نفسه، ص:290.

[6]- حسين مؤنس، تاريخ الأندلس فكر تاريخ و حضارة، ج1، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996، ص:26.

[7]- بفتح الميم و كسر الراء، وهو ضد المغرب وخلافها اليمين، إفتتحت عهد سيدنا عمر ابن الخطاب سنة 14هـ/636م، وبها من الكور العظيمة. أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص: 133، اليعقوبي (أحمد ابن أبي يعقوب إسحاق ابن جعفر ابن وهب ابن واضح)، البلدان، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س، ص: 163.

[8]-معركة بين المسلمين والنصارى الأريبين بقيادة شارل مارتل، وتسمى أيضا بمعركة بواتييه؛ وهي بمثابة الحملة الصليبية في 144هـ /762م، دامت لثمانية أيام فقتل فيها خلق كثير من المسلمين. أنظر: عبد المفتاح مقلد الغنيمي، معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي الأروبي، ط1، عالم الكتب، مصر، 1996، ص: 59-64.

لتدخل الأندلس في دوامة من الفتن و الاضطرابات[1]، إلى أن سيطر عليها عبد الرحمن الداخل[2] وأخضعها للاستقرار النسبي، وعُرفت هته المرحلة الجديدة باسم الإمارة و دامت من138-422هـ/756-1031م، لتبلغ الجزيرة أوجها في مختلف المجالات الحضارية[3]فترة عبد الرحمن الثالث أو أو الناصر[4]، الذي وضع الخطط الكبرى التي تقضي الحفاظ على الأمن بالمنطقة[5]، ثم إن تلك النظرية النظرية التي تقضي بتوالي الدول ومرورها بمرحلة القوة فالأوج وبعدها الضعف والسقوط كانت حاضرة بقوة في

الأندلس، وهو الأمر الذي آلت له هته الفترة بضعف سلطان الأمويين، بقيام عهد جديد عرف بالدولة العامرية[6]، التي سحقت كل سلطة مركزية وظلت تتحكم بالنظام إلى غاية 422هـ/1031م،

[1]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 27-29.

[2]- من بني أمية اضطهد من قبل بني العباس بالمشرق بعد سقوط الخلافة الأموية، ففر من هناك قاصدا الجزيرة في 138هـ/756م، جمعته حروب كثيرة مع مخالفيه حتى قهرهم وجاهد في غيرهم على دعوة الحق، ولقوته سماه الخليفة أبو جعفر المنصور "صقر قريش"و قال عنه: "عبد الرحمن عبر البحر و قطع القفر و دخل بلدا عظيما أعجميا منفردا بنفسه فمصر الأمصار و دون الدواوين وجند الأجناد و نال ملكا بعد انقطاعه...، وتوفي في 172هـ/779م. أنظر: لسان الدين ابن الخطيب (السلماني)، تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص: 107.

[3]- مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، ج1، د.ط، مدريد، 1983، ص:40-42.

[4]- تلقب بالناصر وهو أول من تسمى بأمير المسلمين من الأمويين تقلدا بالخلفاء الأمويين، خطب إليه بالإمارة ولم يبلغ أحد مبلغه في الولاية مدته فيها، و قوي سلطانه فأخمد الفتن وانقاد له العصاة و كتبت له الأقلام، وولي العهد لابنه المستنصر الذي سار على نهج أبيه. أنظر: أبي الفدا (عماد الدين إسماعيل)، المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسنية، مصر، د.س، ص: 102. أنظر: ابن حزم، رسائله، ج2، ص: 193-194، ابن الأبار القضاعي (أبي عبد الله)، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ج1، ط1، ط2، دار المعارف، مصر، 1663، 1985، ص:119، الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح:إبراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر، بيروت، 1989، ص: 30.

[5]- المقري، نفح الطيب...، ج1، ص:217.

[6]- نسبة لأبي عامر المنصور حاجب هشام المؤيد، أقطع الدعوة الأموية و تولى أمر الأندلس إلى غاية وفاته ثم قام بأمرها أبناءه لغاية 422هـ/1031م، فهناك من يرى أنها دولة قائمة بذاتها،و هناك من يصلها بالخلافة الأموية. أنظر: الحميدي، المصدر السابق، ج3، ص: 27-29، ابن حزم، رسائله، ج2، ص: 196.

ليغيب الأمن والاستقرار مجددا بالمنطقة، وقد استمر الأمر كذلك مع ملوك الطوائف[1]، نتيجة غياب السلطة الحاكمة[2]، فشهدت الأندلس أوضاع جد متدهورة و بخاصة في المجال السياسي والاجتماعي[3]، لأنهم بلغوا من الفرقة و التخاصم مبلغا لم يعرفه الإسلام من قبل[4]، فتغلب كل أمير على ناحية معينة و سموا أنفسهم بألقاب خلافة ليس لهم من الصحة شيء، فتلقب احدهم بالمعتمد والآخر بالمعتضد، والمستعين[5] وغيرها من الألقاب[6]، حتى قيل عن أحوالهم:" اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم...وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك..."[7]، فهذا فهذا حال المسلمين، عكس النصارى الذين علا شأنهم[8]، ولما رأوه من انحلال و ضعف و تشتت أخذوا

يهجمون على المدن تباعا، فتواصل زحفهم إلى أن وصلوا طليطلة فسقطت بين أيديهم سنة 478هـ/

---

[1]- من بين المرحل السياسية التي مرت بها الأندلس، حيث انفرد كل أمير بمنطقة معينة،و تنافسوا في انتحال الألقاب السلطانية و أتوا بكل شنيعة حتى اقتسموا الأندلس طوائف. أنظر: محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار، تح: علي الزواوي و محمد محفوظ، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص:426.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3،ص:11.

[3]- المقري، نفح الطيب...، ج1، ص:301.

[4]- عمر الشلبي، دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس هجري، مجلة الجامعة الإسلامية، ع2، 2007، ص: 271.

[5]- عبد الواحد المراكشي (أبي محمد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، ج3، د.ط ، د.د، مصر، 1963، ص: 190.

[6]- **مهما يُبغضُني في أرض أندَلُس سَمَائُ مُعتَضد فيهَا و مُعتَضد**

ألقَابه سلطَة في غير مَملكَة كالهر يَحكي انتفَاخا صورة الأسَد

أنظر: ابن أبي الدينار القيرواني (محمد بن أبي القاسم الرعيني)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286، ص:98.

[7]-ابن حزم الأندلسي، رسائله، ج3، ص:41.

[8]- عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص:190.

1085م[1]، وبعد ما شهدته الأندلس من سقوط مدنها تباعا، فلم يجد ملوك الطوائف حلا سوى الاستنجاد بالمرابطين[2]، وتم ذلك من قبل المعتمد ابن عباد[3]

صاحب اشبيلية[4]الذي قرر الاتصال بيوسف ابن تاشفين[5]، وبعد[6]إستشارة هذا الأخير للفقهاء، أصدرت فتوى بوجوب الجهاد وجرت على إثرها معركة الزلاقة[7]، التي انتصر فيهـا وأوقفوا الزحف

[1]–ابن أبي الدينار القيرواني، المصدر السابق، ص: 99.

[2]– نسبة لأهلها الذين عرفوا بالرباط والتعبد، وقد سماهم عبد الله بن ياسين بالمرابطين، أسلموا زمن الخليفة الأموي هشام ابن عبد عبد الملك فصلح إسلامهم، لكن بعد مدة من الزمن عادت قبيلة منهم فخرجت عن تعاليم الإسلام فقام بأمرهم عبد الله ابن ياسين ، وموطنهم بين غانة و سجلماسة، وقال عنهم بن قزمان أنهم فخر القبائل و خيرها حسبا و نسبا. أنظر: أبو بكر الزهري (أبي عبد الله محمد)، الجعرافية وما ذكره الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب وتحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، تح: محمد الحاج صادق، د.ط، مكتبة الثقـــــافة الدينية، مصر، د.س، ص:126–127، أبي الفدى، المصدر السابق، ص:182، ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 152.

[3]– حكم اشبيلية ،كان محبا للعلم و الأدب أول أمير من ملوك الطوائف الذي استنجد بالمرابطين، لكنه نفي إلى أغمات و عندها قال :"أكون راعي جمال خير من أكون راعي خنازير"، بسبب تواطئه مع النصارى الأوربيين. أنظر : ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص:41، ابن حيان القرطبي، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تح: محمد على مكي، د.ط، د.د، مصر، 1994، ص:65.

[4] - Ernest Mercier, Histoire de L'Afrique Septrionale Berbère Depuis les plus Reculés Jusqu'à la coquète française 1830, Ernest Leroux éditeur, paris, 1868, p: 43-45, et Mhammad Benaboud, Sevilla Enel Siglo XI, Bibotaca de temas sevillanos,Sivilla, 1992, p :42.

[5]– تسمى بأمير الرابطين، وبني مراكش و اتخذها عاصمة لملكه بالمغرب الأقصى، تحدى النصارى في معركة الزلاقة و قضى على حكم ملوك الطوائف في الأندلس، من خصاله الحميدة قول الحق و حكمه بالقران و السنة و عفي على المذنبين. أنظر:
ابن قزمان، الديوان، ص: 142، 152، 234، 235. Ernest Mercie , IP DEM , p :33.

[6]– عبد الرحمن الفاسي، ذيل وتعليق حول "قضية المعتمد ابن عباد"، مجلة المناهل، ج1، ع1، المغرب، 1974 ، ص:229–230.

[7]- Batalle De La Zallaca، من أقوى المعارك الفاصلة التي حددت التواجد الإسلامي بالأندلس إذ استنفر فيها الرهبان
7

العداء ضد المسلمين، و هي بمثابة الحملة الصليبية التي اجتمع فيها عدد كبير من النصارى الأوربيين، لكن الانتصار كان حليف جيش يوسف بن تاشفين، وكانت يوم الجمعة 479هـ/1086م. أنظر: الحميري (ابي عبد الله محمد ابن عبد الله ابن عبد المنعم)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت،1988، ص: 83–91، ابن قزمان، نفسه، ص:144–145.

النصراني واسترجعوا الحصون و بعض المدن من أيدي الكفار[1].

وللإشارة فإن يوسف بن تاشفين جاز البحر ثلاث مرات بعد الزلاقة[2]، وفي الأخيرة عزل ملوك الطوائف، ليعلن بذلك ابتداء حكم المرابطين[3]، وتواجدهم كان عسكريا بسبب الحروب المتتالية التي شنها النصارى الأوربيين[4]، فلم تتوقف الحروب بينهم طيلة فترة تواجدهم[5]. هذا هذا عن أحوال الأندلس سياسيا من قبيل الفتح الإسلامي إلى غاية عهد المرابطين والذي هو محور دراستنا، وبالتالي فإن هته الأوضاع ستؤثر حتما في المجالات الأخرى و بخاصة الجانب العسكري الذي ظل لصيقا بالجانب السياسي، وفيما يخص الجانب الاجتماعي فسأشير له باختصار لأني سأتطرق له لاحقا وبكل تفاصيله كونه أساس الموضوع، لكن سأتحدث عنه عامة قبل هذا العهد، فنقول أنه تكون عبر تلك المراحل تدريجيا فلا بد له أن يلاقي صعوبات ولأن ذلك أمرا صعبا يحتاج إلى الوقت الكافي والدعم المختلف فكان من الطبيعي أن تعترضه عدة من العوائق التي تهدد استقراره بسبب الفئات التي يضمها كما طبعته سيمة النزاعات الأهلية وهو ما ظهر جليا واضحا عصر الولاة[6]، ليستقر وضعه نوعا ما أيام الإمارة نتيجة لقوة الخليفة الناصر الذي أحكم ضبط أمور دولته، وظلت تلك النزاعات بين المد و الجزر أي بين الاختفاء و الظهور، لكن ما لبث في تناسي خلافاته حتى أدرك طبيعته ثانية مع ملوك الطوائف وفوق ذلك ذاق كل ضروب الجور والاضطهاد فظهرت فيهم الأنانية و القسوة ،فترتب على ذلك انهيار المعايير الأخلاقية وضاع حق الضعفاء بين أصحاب الباطل، و أرهق القوي نفسه في تأسيس كيان بعيد عن الثاني[7]. فنتيجة القول عن هذا المجتمع: أنه لم

---

[1] - Ernest Mercier, IP DEM, p :48.

[2]– كان عبوره في المرة الأولى بسبب إستنجاد المعتمد ابن عباد به وجرت معركة الزلاقة، وفي الثانية نتيجة حصار لبيط فرفع الحصار و الثالثة أنهى فيها حكم الطوائف؛ وهناك من يجيز العبور للمرة الرابعة. أنظر: ابن بلكين(عبد الله ابن باديس بن حبوس)، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،2006، ص:137، 181، 206..

[3]– الفتح ابن خاقان (أبي نصر الفتح ابن محمد ابن عبد الله القيسي الإشبيلي)، مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: هدى شوكة بهنام، ج1، د.ط، دار الجاحظ، د.س، ص: 124-145.

[4]– نفسه، ص: 125.

[5] – ابن بلقين، المصدر السابق، ص: 176.

[6]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 68-69.

[7]– محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص: 422.

لم يعرف الاستقرار نهائيا بسبب توتر الأوضاع السياسية التي أثرت عليه كثيرا.

و إنه من الطبيعي أن تكون صفة التدين ظاهرة فيهم، و في بلد شُغل بالحروب الطويلة حتى وضعوا الجهاد شعارا له، إلا من زاغ له شيطانه و اتبع الباطل و هو ما تجلى واضحا خلال معارك طيـلة أما الحديث عن الحالة الدينية فالثابت من القول أن النحل فيهم معروفة بعد الفتح فهم على المذهب المالكي[1]، أي على القرآن و السنة النبوية[2]، حسب ما جاء عند ابن قزمان قائلا:

8قـرون[3]، وللأمر نفسه خلت الأندلس من أي دعوة خارجية إلا في القليل النادر[4].

وفيما يخص الجانب الاقتصادي فإن الأندلس المعروف عنها خيراتها الكثيرة لذلك ازدهرت بها القطاعات الثلاث، والمصدر الرئيسي فيها الزراعة التي مارسها السكان[5]، ووجدوا فيها ضالتهم هناك كون توفر الأراضي الخصبة والتربة المتنوعة و المياه، فكثرت زراعة الحبوب و الخضر المتنوعة، و كذا الفواكه على مختلف ألوانها وطعمها، وأقبلوا في معاملاتهم على عملية التبادل و كذا البيع و الشراء ونشطت التجارة[6] والصناعة التي كانت جد متطورة، فوجدت مثلا دار لصناعة السفن بالمرية وبالعديد

[1]-نسبة لمالك ابن أنس ابن أبي عامر، يعتمد مذهبه على الكتاب والسنة، انتشر مذهبه و غلب على جميع البلاد الإسلامية من الحجاز والبصرة، مصر، بلاد إفريقية، الأندلس و المغرب الأقصى و حتى صقلية، و هو عالم المدينة و إمام دار الهجرة، و له من العلم الغزير، حتى قال الإمام الشافعي عنه: "و جعلت مالكا حجة بيني و بين الله ، وإذا ذكر مالك فالنجم الثاقب، ولم يبلـغ أحد ما بلغ مالك...".أنظر: ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن يحي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت،1996، ص: 45-56.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة...،ج1، ص:134.

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة...، ج1، ص: 136-138.

[4]- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، د.ط، مركز الإسكندرية، مصر، 1996، ص:24-25.

[5]- المرجع نفسه، ص:66-68.

[6]- كمال السيد أبو مصطفى، المرجع نفسه، ص: 57.

وبالعديد من المدن الأخرى وبالتالي توفرت الخدمات[1]، وكما عرفت الازدهار والرخاء أيضا فشهدت بعض لاضطرابات من حين لآخر و بخاصة أواخر المرابطين[2]، أما عن معاملاتهم النقدية فتعاملوا بالدرهم المربع، كما استعملوا[3] المثقال المرابطي الذي ذكره لنا صاحبنا[4].

وفيما يخص الناحية الثقافية فقد عرفت الجزيرة كم هائل من المراكز الثقافية عبر مختلف المراحل، والتي مثلت إشعاعا حضاريا لعصرها، إذ كانت الفترة الأولى مهدا لنشوء الثقافة ولم تكن هي نفسها نظرا لمشاغل الولاة و كذا الانقلابات التي لم تساند على تطورها[5]، ومع ذلك شدت رحالها نحو الازدهار بدعم و تشجيع من الحكام فترة الإمارة و بخاصة عهد الناصر الذي حول الركود إلى حركة و شجع التقصي و الإبحار في العلوم و بني الزهراء[6]، وخصصها للعلم و أهله، فأصبحت قرطبة مقصد العلماء العلماء و مركزا ثقافيا بامتياز تجمع فيه حلُ التأليف و المصنفات من المشرق، وظلت كذلك عصر الطوائف إذ تعد الميزة الوحيدة الايجابية في هذا العصر،فبرعوا في الشعر و الأدب و الطب والفن والعديد من العلوم الأخرى[7]، فبالرغم من الإنحلال الشامل إلا أن الحركة الفكرية ظلت مزدهرة إذ امتلأت قصور الأمراء بالعلماء، وفتحت أبوابها للشعراء ،حتى أن الأمراء أنفسهم برعوا في ذلك

[1]- ابن الفضل العمري (شهاب الدين أحمد)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: حمزة أحمد عباس، ج7، دار الكتاب العربي، أبوظبي، 2003، ص: 233-234.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص: 691.

[3]- السيد مصطفى أبو كمال، جوانب...، ص:58.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:125.

[5]- عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج2، ص:691-692.

[6]- بناها الناصر سنة 320هـ/932م، وهي أغرب و أعجب ما بني في الإسلام، وأخذ بيت منها 25 سنة لبنائه و لنا أن نتصور فخامتها فرغ فيه الأمير أهل المجالس، تعلم بالزهراء العامة و الخاصة و كل من رغب في طلب العلم. أنظر: ابن الدلائي (أحمد ابن عمر بن العذري)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، د.ط، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.س، ص: 123، الزهري، المصدر السابق، ص:87-88 .

[7]- ابن صعد الأندلسي، طبقات الأمم، نش: لويس شيخوا اليسوعي، د.ط، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912، ص: 66، 81-86.

والدليل الديوان الذي تركه المعتمد ابن عباد و،وتواصل الأمر أيام المرابطين[1]، الذين حُكي عن أيامهم المؤرخين في مؤلفاتهم ،كما وصف الشعراء حال الأمراء و الرعية ، و ركَّنوها في أشعارهم وهو ما يعبر عن ذلك التواصل الثقافي،ومن أبرز هؤلاء ابن قزمان الذي قدم لنا صورة جلية واضحة عـن أوضـــاع المجتمــع

الأندلسي في الفترة التي عاشها.

[1]-محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ج3، ص: 489.

الفصل الأول:

ابن قزمان وديوانه

- المبحث الأول: ابن قزمان نسبه ومولده، حاله وفاته
- المبحث الثاني: تعريف ديوان بن قزمان

المبحث الأول: ابن قزمان نسبه ومولده، حاله، وفاته

1-مولده ونسبه:

هو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان[1] الزهري[2]، وقد أورد هذا الاسم في ديوانه[3] قائلا:

يـَا ابـــن قُزمَان، يـــــا مُحـــمَد،[4]

ويكنى بأبي بكر[5]، كما أصدر كنيته: أَلوَزير اَبو بَكر، لَا تَحرَمني اجمالَك[6].

ولد ابن قزمان حوالي 480هـ/1078م[7]، إلا أن هته السنة ليست أكيدة فيها بحيث أن: صاحبنا قد أرخ لمعركة الزلاقة والتي كما ذكرت مسبقا أنها كانت في 479هـ/1086م، وعليه من المفروض أن يكون تاريخ ولادته قبل أو قبيل هذا التاريخ و هذا بناءاً على كلامه:

أَبي نَـهَار كَان حُشد إلَـيـهَ الوَرَى

وَجَـــرَى لِلْنصَارَى فيه مَا جَـــــرَى

في خُصَى ولْدي كُنتَ اَنا،لَو نَرَى

---

[1]- ابن الأبار (أبي محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي)، تحفة القادم، د.م، ص:89، وأيضا في: ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر، بيروت، 1998، ص: 95. و ابن سعيد المغربي، رايات المبرزين و غايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، ط1، طلاس، 1987، ص:126. الصدفي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج4، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ص: 211. الزركلي (خير الدين)، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء مع العرب و المستغربين المستشرقين، ج6، ط15، دار الملاين للعلم، بيروت، 2002، ص: 322. النواجي (شمس الدين محمد بن حسن)، عقود اللّآل في الموشحات والأزجال، تح: أحمد محمد عطا، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 1999، ص: 384.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة...، ج2، ص: 494.

[3]- أنظر الملحق رقم(2) ص:156 ، وهو بمثابة صفحة من مخطوط الديوان قبل تحقيقه.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 79.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة...،ج2، ص: 494.

[6]- ابن قزمان، نفسه، ص: 247.

[7]- شوقي ضيف، عصر الدول و الإمارات في الأندلس، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1989، ص: 168.

إِنَّـــمَا أَخْـبـرنِي بالـقِصَّة خَبـــيرْ

فإِنِي ذَّا اللَّيلَة كِنْبُولْ فِي السَـرِيرْ،[1]

فنفهم من ذلك أنه ولد حوالي 478هـ/1085م[2]. أما المدينة التي ينتسب لها فهي قرطبة[3]، و التي كثيرا ما تحدث عنها وتغنى بها في ديوانه:

قُـرْطُبَة عَينُ الجَـــــزِيـرَة وأبْنَ المُغِيثْ هُو الفَصْ؟[4]

وينتسب إلى بيت حجازي[5]، ذا شهرة كبيرة، ذات مال وجاه، علم و أدب، مما مكنت له من شحذ تلك المعارف فاكتسب إرثا أدبيا و علميا وافرا[6]، إذ يقول عن عائلته و نسبه:

مَـنْ مَدَحَ مَكَارِمَ قُـزْمانِـي الـــذَهَـبْ يَـــزن.[7]

ولأن هذه العائلة كانت شهيرة فإن صاحبنا يعرف صاحبنا بابن قزمان الأصغر[8]، وأيضا بإمام الزجالين[9]، تمييزا له عن عمه ابن قزمان الأكبر المعروف بعم الزجالين[1]، وهو محمد بن عبد الملك بن

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 144.

[2]- نفسه، ص: 144-145.

[3]- ابن خلدون(عبد الرحمن)، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، ج1، ط1، دار الفكر، بيروت، 2001، ص:826. وأيضا في: ابن الأبار، التحفة...، ص:29. النواجي، المصدر السابق، ص: 384.

[4]- ابن قزمان، نفسه، ص: 218.

[5]- ابن سعيد المغربي، المغرب...، ج1، ص: 99.

[6]- عز الدين المدني، ابن قزمان شخصية شعرية تاريخية، مجلة الدراسات الأندلسية، ع17، المغرب، ص: 98.

[7]- ابن قزمان، نفسه، ص: 195.

[8]- ابن سعيد المغربي، المغرب...، ج2، ص: 121.

[9]-المقري(أحمد ابن محمد)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ظب و تح و تع ،مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي،ج1، د ط ، مطبعة لجنة التأليف ،مصر ، 1939،ص :216. أيضا في: ابن سعيد المغربي، المغرب...، ج1، المصدر السابق، ص: 99.

عيـــسى بن قزمان بن قزمان الذي توفي في 508هـ/1115م[2].

وقد تعمدت الإشارة إلى عم الزجالين وذلك لتوضيح الخلط الذي وجد في العديد من الكتابات التاريـخية التي اعتمدت الشخصيتين باسم واحد أخلطت بينهما بالرغم من فارق الفـترة التاريـخيـة بينهما[3]، بالإضافة إلى المنصب الذي حاز عليه إذ أن عم ابن قزمان الأكبر عمل لدى المتوكل بالله[4]صاحب بطليوس[5]؛ فترفع إلى مجالس كبرى[6]حتى قال عنه ابن الخطيب[7]: "اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالا رقاه إلى مجالس، و كسَّاه ملابس..."[8] لأنه هو الآخر ذا علم وذكاء ولغة و أدب[1]،

---

[1]- ابن خاقان (أبي نصر بن محمد لقيسي الأشبيلي)، قلائد العقيان و محاسن الأعيان، تح : حسين يوسف خربوش، ج1، ط2، مكتبة المنار، الأردن، 1989، ص: 555 -557.

[2]- ابن خاقان، المصدر السابق، ص: 555-557. أيضا: ابن بشكوال، كتاب الصلة، تح:شريف أبو العلا العدوي، ج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2009، ص: 209.

[3]- من بين تلك الكتابات التاريخية التي أخلطت بينهما: ابن خاقان، قلائد العقيان...، المصدر نفسه، ص: 555-557، ابن الخطيب، الإحاطة...، ص:494، المقري: نفح الطيب...،ج4 ، ص: 23-24. ماعدا ابن سعيد المغربي الذي أورد الترجمة صحيحة دون الخلط بينهما في المغرب في حلي المغرب بجزئية و رايات المبرزين...، ص: 126. وأيضا ابن الأبار: في: تحفة القادم...، ص: 89، المقتضب...، ص: 95، كما أن محقق كتاب الإحاطة تنبه للخلط الذي وقع فيه ابن الخطيب و أشار إلى ذلك في ج2 من الإحاطة، ص: 581 .

[4]- هو أبو محمد عمر، إبن السلطان المظفر ابن أبي بكر، صاحب مدينة بطليوس بعد أبيه كان عادلا في حكمه فقبل عنه بيت شعري يغنيه عن التعريف بخصاله: رِضَى المُتوكلُ فَارقتُــــــه فَلمْ يَرضَني بُعــــدُه العَالَم

و كانَت بَطلِيوسْ لي جَــنَة فَجئــــــتُ بِما جَاءَه ادَمْ

أنظر: ابن دحية (أبي الخطاب عمر)، المطرب من أشعار أهل المغرب، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008، ص: 35-36. الضبي، المصدر السابق، ج1، ص:144.

[5]- مدينة كبيرة بالأندلس، وهي من أعمال ماردة وآخر أعمالها في غربي قرطبة، و ينسب لها خلق كثير. أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، المصدر السابق، ص: 447.

[6]- ابن خاقان، قلائد العقيان...، ج1، ص: 774-775.

[7]- هو لسان الدين ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن علي ابن أحمد السلماني، نسبة لسلمان مدينة بالمشرق، ولد سنة 713هـ/1313م، يعرف بذي الوزارتين ، له العديد من المؤلفات أهمها:ريحانة الكتاب، الحلل في نظم الدول، نفاضة الجراب، الإحاطة في أخبار غرناطة.

أنظر: لسان الدين ابن الخطيب، المصدر نفسه، ج1، ص: 17، 20، 22.

[8]- نفسه، ج2، ص: 494.

ومما لا شك فيه أن هذه الفترة تعود إلى فترة ملوك الطوائف و بالتالي فإن صاحبنا كان في سن لا تمكنه من العمل في هذا المنصب، ولأن بيت بني قزمان مناصبهم بين وزير وعالم ورئيس[2] فتلقب العم بالوزير و الكاتب الجليل[3]، أمَّا إمام الزجل بالوزير فقط[4]، حتى أنه قال في إحدى أزجاله:

أَطَـال اللهُ بَقَا الوَزيرِ الأَجَـــلْ

الـفَقِيهِ عَادُ الكَاتِبِ الأَكْمَـــلْ[5]

ويقصد هنا نفسه، لكن المؤلفات التاريخية لم تفينا بالمعلومة، إلا ما جاء عند المقري في نقله لحـوار دار بين صاحبنا وأحد النساء إذ خاطبته الوزير[6]، ورغم ذلك نحن غير متأكدين من أنه نال منصب الوزارة.

وعلاوة على كل هذا التوضيح والدلائل التي تفرق بين الرجلين، نضيف كلاما من عند صاحبنا يفضي لامتنان هذا الأخير لعمه : قُـزمَانًا آخَـر قَد اَختَفَى فِي النَاس ،

وأَنَا وَلَـدَ الزَجَـل وقُـزمانُـــــــهُ.[7]

وحينما اعترف بذلك دليل على أن عمه هو الأخر ذا بيان وبلاغة؛ حتى انبرى منه شهابا ثاقبا فأحدث لنفسه من التقدم الملحوظ من خلال الرسائل الديوانية ذات النبرة العظيمة[8]ومن قوله:

رَكِبُوا السُيُول مِن الخُيول و رَكِبُوا فَوقَ العَوالِي السَمَر زِرْقَ النِطاقْ

---

[1]- ابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي)، التكملة لكتاب الصلة ، تح: عبد السلام الهراس ، ج3، د.ط، دار الفلك ، بيروت، 1995، ص:205.

[2]- ابن سعيد المغربي، المغرب...، ج1، ص: 99.

[3]- الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص:248.

[4]- أنظر الملحق رقم(1)، ص:

[5]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 316 .

[6]-المقري، نفح الطيب...، ج4، ص: 296.

[7]- ابن قزمان ، نفسه، ص:378.

[8]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج2، ص: 774.

وتَـجَلَّـلُو العُذرانَ مِنْ مَاذِيـهِمْ مُـتَـــرَتـجة إلا عَلى الأكْتَ

فربما حدث الخلط هنا.[1]

حال أبو بكر ابن قزمان:

يذكر صاحبنا بعض المواصفات في ديوانه إذ يقول: أنه وقبل كل شيء إنسان لا تعتريه العيوب الخلقية فهو رجل بيَدَين و ساقين وذراعين فهو سليم الجسم:

أَنَـا إِنْـــسَانْ ، كَما تَرَى بِسَقَيـــْن

و بُـشَيْـشَةِ،وإِذْرَاعَـــينْ و إِيْـــديْـــنْ[2]

كما أنه طويل القامة: أَبْعِد القَصِيرَ عَنِي إِنَّ، قَامَتِي طَـــويلَة[3].

وحسب ما ذكره مجدي شمس الدين نقلا عن عبد العزيز الأهواني في كتابه الزجل أنه أبيض البشرة، أشقر اللحية، أزرق العينين[4]، وهو أيضا أورد هذا الوصف في الديوان:

أَشْقَـرْ اللِّحية أَزْرق العَينَيـنْ ،[5]

إلا أن نزهون الغرناطية[1]وصفته عكس ما أوره عن نفسه من مواصفات، ففندت ما جاء في الديوان

[1]- يقصد عم الزجال في البيت إساءة القاضي ابن حمدين آخر حياته إذ أن عيشه كدر بعدما صفي. أنظر:الزركلي، المصدر السابق، ج7، ص: 248، ابن خاقان، قلائد العقيان، المصدر السابق، ج1، ص: 556. ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص: 774-775.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 61.

[3]- نفسه، ص: 111.

3

[4]- مجدي شمس الدين ، ابن قزمان و الزجل في الأندلس، د.ط، الهيئة المصرية العامة، مصر، 2007، ص: 194. أيضا الزركلي، الزركلي، المصدر السابق، ص: 122.

[5]- ابن قزمان، نفسه، ص:61.

فقالت عنه أنه قبيح المنظر أي أن له عيوبا خلقية و يزيد عن ذلك ويرتدي غفارة صفراء لا تتناسب مع هيئته ففي حوار لها معه قالت:"أحسنت يا بقرة بني إسرائيل ، إلا أنك لا تسر الناظرين"، فرد عليها:"إن لم أسر الناظرين فأنا أسر السامعين"[2].

وفيما يخص البعض من خصاله واعتمادا أيضا في رده على نزهون، فيبدوا أنه حلو اللسان أي أنه يجيد الكلام الذي يجعل الناس تتعلق به و تحبه من خلال البيت التالي:

أنَـــا بِحـــلاَوَة لِسَـــانِـــي نُسْـقُـل الكَـــلاَمْ

وْنْـبَـــرَد حَـواشِـيـه بِـنبـلِي وْنْرَقِـقْ.

وما يلفت الانتباه في شخصيته أيضا هو رده للسلام[3]، الذي حثَّ عليه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قائلا: **"وَإِذَا حُيِيتُمْ بِتَحِية فَحَيُوا بِأَحسَنَ مِنهَا أَوْ رُدُوهَا"**[4]، فقد يبدوا الأمر عاديا للبعض من خلال تلك العبارة إلا أنها حقيقة وخاصة في طيشه و هيامه بالدنيا والملذات التي سأذكرها بعد حين،إذ يقول عـــن هــذا:

أُسْـتَاذْ حَـيَـاكَ اللهْ فَرَدَدْتَ أَحْسَنَ تَحِيةْ[5]

واعتبر من لا يرد السلام ذا خلق ذميم[1]، ولأن رد السلام واجب حتى أوصى به رسولنا الكريم: **"لَا تَدْخُلُوا الجَنَة حَتَّى تُؤمِنُوا ،وَ لَا تُؤمِنُوا حَتَّى تَّحابُوا ، أَوَلَا أَدُلُكُم عَلى شَيءٍ إِذَا فَعلتُمُوه تَحَابَبتمْ، أَفشُوا السَلاَمَ بينَكُم"**[2]، ويقول عن هذا ابن قزمان:

---

[1]- من أهل المائة الخامسة، ولها من خفة الروح و الانطباع و حلاوة الكلام وهي حافظة للشعر، ولها نوادر مشهورة، كما أنها شاعرة ماجنة كثيرة النوادر من أشعارها: البَّـدْرُ يَطْـلَـعُ مِـن أزْرتِـه والغُـصـنُ يـمْـدَحُ فِـي خَلائِـل
أنظر: المقري، نفح الطيب...، ج4، ص: 295، ابن سعيد المغربي، رايات...، المصدر السابق، ص: 159.

[2]- ابن خطيب، الإحاطة...، ج2، ص: 504.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 82، 111.

[4]-سورة النساء، الآية: 86..

[5]- ابن قزمان، نفسه، ص:111.

مِـمَا صَـدَّنِـي لَـسْ سَلمْ وَقْـتًا نَـــلتُـــقُ

وأيضا أَخْلاقًا صِعَابًا ؛ نَّعوذُ بِاللهِ مِنْ [ه]ذَا الخُلـقْ[3]

ومن الأمور الذي يستعملها في كلامه أنه كان يدعوا من القرآن الكريم في قوله:

يَـا رَبِ ،كُـنْ فِـي عَـونِـي واشْـرحْ صـدْرِي

وأيضا أَخلاقًا صِعابًا ؛نَعوذُ باللهِ مِن [ه]ذَا الخُلـقْ[4]

والدعاء مقتبس من الأية الكريمة: **"قَالَ رَبِّ إشْرحْ لِي صَدْرِي وَ يَسرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَة مِنْ لسَانِي يَفقَهُ قَولِي"**[5].

وما يستحسن فيه أيضا أنه كان أشد الناس وأحرصهم على النظافة فيقول:

مَنْ لُ ثَوبًا يُغسَلُ الصَابُون يَنظَرْ فِيهْ،[6]

ولأن القرآن جاء بهذا أيضا: **"إنَّ اللهَ يُحِبُ التَوابِينْ وَ يُحِبُ المُتطَهرينْ"**[7]، كما أنه كان عزيز النفس لا يهوى الذل:

مَـنْ صَـدَّ عَـنِـي وقَّـلَنِـــــي

نَـــــقطَـــعُ قَـــبـــلَ اَنْ يَـذُلـنِـي

---

[1]- نفسه، ص: 80.

[2]- البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردية)، صحيح البخاري، تح: طه عبد الرؤوف سعد، د.ط، دار الرشيد، الجزائر، 2003، ص: 1273.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 80.

[4]- نفسه، ص: 125.

[5]- سورة طه، الآية:26 -28.

[6]- ابن قزمان، نفسه، ص:407.

[7]- سورة البقرة، الآية: 222.

و أيضا: وَاللَّه، مَا الـــذَلُ إلا مُـــقَـــامْ

عَـــيْنِي أنَـا مِنْ عَـينِهِ حَرَام[1]

فيعتبرها أهم أمر في الحياة رغم كل طارئ فيقول:

الكَـرَمْ عِـزَة وَ الكَـرامَةُ طَـعَامْ[2]

و المألوف عن صاحبنا كان يهوى السفر،فكثيرا ما كان تردده بين قرطبة و إشبيلية وغرناطة فيقول:

وَسِـرْتُ أَنَا لِلْسَفَر بِالـحَـق نِعْـمَ الفَـتَى

أقِيلَ لِي:"سَافِـــرْ ومَـــنْ سَـــافَر إسْتَرَاحْ

وعن إشبيلية : يَا إشْبِيلِيَة أشْ نْحْبَك ونْقطْعْ إليْكَ[3]

وعن عيشه في الحياة كان بسيطا ووصف أحيانا بالفقير وذلك لبساطته فظل طيلة حياته يجمع قوت يومه فقط دون ادخار للغد، ومع ذلك كان يهوى الإسراف و التبذير[4]حتى أنه طلب الدقيق و الثياب فشبه بالمتسولين[5]كأبي الرقعمق[6]في فقره وحالته البائسة[7]حتى أنه ذكر هذا عن نفسه:

لَقَـــدْ هُـــوَ حَالِي حَـــالاً هَـــبْـــيـــنْ

[1]- ابن قزمان، نفسه، ص:331 -332.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 64.

[3]- نفسه، ص: 249.

[4]- محمد رضوان الداية، في الأدب الاندلسي، ط1، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ، بيروت، دمشق، 2000، ص: 204.

[5]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 170.

[6]- هو أحمد ابن محمد كان ينظم الشعر و يقوله، كان كثير المدح للأمراء و الوزراء، أقام بمصر مدة من الزمن توفي في 399هـ/1008م . أنظر: ابن خلكان وفيات الأعيان...،ج1، ص: 132-132، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر:عبد الحميد النجار ، ج2، ط3، دار المعارف، مصر، د.س، ص: 103.

[7]- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين، ط2، دار الشروق، عمان، 1997، ص: 72.

مَنْ لَسْ فِـــي دَارَه لُقْمَـــــة عَـــجِـــينْ

وَأَنَا عُريانْ فِي السْرْوَالْ أَو فِـي مُنْدِيلْ خُبزْ مْلَـوِي

فيتضح لنا أنه كان جد فقير[1]، وما يعاب على صاحبنا قصته المترابطة مع الشراب لدرجة هيامه به وهذا ما نلحظ عنه من خلال أزجاله التي تفنن فيها في وصف الخمر ومجالسة، حتى أن جل ديوانه عن هذا الأخير فقط إذ يقول:

الشُـــرَبِـــبْ يَـــمْضِي دِرْهَـمِـــي وُ شْـقَـالِـي[2]

وأيضا شُرَيبَة عِنْدِي أَجْـــوَدْ

مِـــنَ المُلْكِ المُـخَلَـــدْ

دَعُـــونِـي مـعَ شَرَابِي

وعَـرُونِـي ثِـيَـابِـــي

وَ كُـفُوا عَنْ عِتَابِـي[3]

أي أنه كان لا يبالي بصرف النقود على الشراب، كما كان لما يشمل يقول الكلام الفاحش، ففي إحدى المرات حتى رموه في بركه وبقي لبعض الوقت حـــتى استعاد وعيه[4]، بالإضافة إلى عشقه للنساء فكان متيما بقضاء الوقت برفقتهن بحيث يذكر:

إِذَا عَشِقْتْ المَلِيـــحْ اصْبُرْ عَلَـــى ذُلِـه

[1]- ابن قزمان، نفسه، ص:55.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:113.

[3]- نفسه، ص: 455.

[4]- المقري، نفح الطيب...ج4، ص: 296.

نَـرضَى، يَـا مَولَى المِلاحْ، بِـذَا العَذَابِ كُلـهْ[1]

كما أنه كثيرا ما أورد لنا أزجالا تفيد أن صاحبنا لم يكتف بالترويح عن نفسه (حسب معتقـده و ليست تُهم موجه له) مع النساء فقط بل كان دائم البحث عن مغامرات جنسية أخرى وذلك مع الغلمان حتى أن هذا الديوان مهدي لهم:

عَشِقْـــــت لْوحـــدْ الصُبـــــَي

وْنْـعْشْقْ مَـا دُمْـــتُ حَـــيًـــــا

وأيضا: صُبي تْعـشق مْنْ السُوق، إِنْ عَرضْ لَكْ سَتدْرِيه

صَاحِـبْ العَينْ الأشْـهَل ،الـــرَقِيـْق الوَاجـب

وقال أيضا: يَـتيـه عَليَّ مَعـشُوق مَـليـحْ رَشيـقْ حُلـي،

ألسِّحْـر هُو جَـمالُـه ، لَـو انْـطَـبعْ شْوَي

و يواصل كلامه في نفس السياق عن أحد الغلمان ويصف ملاحته أي جماله قائلا:

أَي فِتَن،أَي مَلاحَـة أيْ فِتْـنَة مِنْ صُـــبَي[2]

فخلاصة القول عن مدى تيه بن قزمان في العشق وحبه للنساء والغلمان[3] حتى قال عنهم أنهم بمثابة الجنة، ونكتفي الآن بهذا القدر من الأمثلة عن استثارته اللذة لأن منها الكثير، ولأنه وجد ضالته دون

[1]- ابن قزمان، نفسه ، ص: 440.

[2]-ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 116.

[3]- الغلام هو ابن سيده، وهو الصبي و الكهل النجيب. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.س، ص: 3289-3290.

تأسيس عائلة فلم يرغب صاحبنا في تأسيسها إذ اعتبرها مضيعة للوقت وتزيد من عناءه وتثقل من مصاريفه، ويقول عن الأمر:

أنْـــفَـقْـت فِـي زَواجِي وَأَرْفيتْ

وإبْـتَـنِـي المَـــــلاَلَـة وخَلـيْـتْ[1]

و أيضا: صِرتْ عَازْب وكَان لِعُمري صَـوابْ

لَـسْ نْـزّوجْ حَـتَى يْشيْـــبْ الغُرابْ[2]

فيظهر لنا أنه تزوج مرة واحدة في حياته وبعدها وجد في الطلاق حلاً لجأ إليه، وبقي أعزب لآخر عمره، وبناءا على ما جاء في الديوان أنجب ولدا من زواجه الأول سماه محمد:

دَلِيلُ عُلاه،يَا إبْنِي، بِنِـــعْمَةٍ تَـظْهَـر

وْ مِنْهَا أنَا مِكْسِي ، نْـفْشِي ونْتْبخْـتَـر.

وأبُـو مُـحَمَدْ فِيـهِ مِـمَّا فِي أخُوه أَشيَا[3]

كما أن له زجل آخر يتغنى به بِابنه:

لأَنَّ رُوحِـــي مَنسُورٌ [ه] عِندِي.

أشْـــتَّدْ بِاللهِ، يَا أَبو مُـــحمَـد[4]

---

[1]- نفسه، ص: 86.

[2] ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 100.

[3]- نفسه، ص: 384.

[4]-نفسه، ص: 375.

والأكيد من الكلام الأتي حينما كان يتحدث عن معركة الزلاقة فحينها ذكر:

وَبَـــــرَى لِـــــلْنَصَارَى فِيه مَا جَـــــرَى

فِـي خِـــــــصِي وْلْدِي كُنْت اَنَا،لَم نَرى

وبالتالي نتأكد أن له ابنا لكن المصادر التاريخية لا تفينا بالمعلومات الكافية عن حياته[1].

إنَّ أمّر ما عاشه صاحبنا الزجال دخوله السجن الذي ذاق فيه الجحيم و المعاناة وأصدر هذا في زجل كامل[2]، إذ حكم عليه بالإعدام لأنه عدّ من المخالفين والمارقين فوصل إلى ذبحة السيف، وفي غرفة السجن جاور المجرمين،فلم يَنَم الليل لأنه كان مكبلا بالسلاسل في ساقيه وجلد من قبل السجانين :

لَـــقَـــد إشْتَـــدَ حَـبلِـي وَ انْقطَعْ بَعْد مَا إشْـــــدْ

أَشْ يَـــــرَى مـنْ مْناحْـسْ فِي ذَالكْ الـــحَبسْ لَا كَانْ

أَشْ لْقَى فِي ـحْـلاَمَـــــكْ مِنْ عذَابْ كُـــلَ سَبَـانْ[3]

و لو لا تدخل الأمير محمد بن سير[4]الذي أعتقه من السجن فأثنى و شكر له ذلك:

وإنَّـــــــمَـــا نَشكُرْ اللهَ وابْـــنَ سِـــيرْ مُحَـمَـدْ[5]

و من المعاصرين لابن قزمان: وأبو بكر بن مرتين[1]،ابن الزقاق الأندلسي[2]، من أهم معاصريه[3]. وكما أشرت مسبقا حول توليه الوزارة، حتى وإن كان الأمر صحيحا لكن كان لفترة قصيرة لأنه عزل منها بعدما ضعف سلطان المرابطين[4]؛ ليعيش بذلك أكثر حياته في هذا العصر كما أنـــــه أدرك في

[1]- نفسه، ص: 144.

[2]- أنظر الملحق رقم (3)، ص:157.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 155-156.

[4]- محمد بن سير بن علي، هو أمير المسلمين بن الجارية قمر، كان كثير الراحة رافق أهل الفكاهة. أنظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ج1، ص: 570، ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص:97.

[5]- ابن قزمان ، نفسه، ص: 156.

القليل من حياته صدر الدولة الموحدين[5]، في أخر حياته[6].

وفـــاتـــــه:

إن ما يذكر على ابن قزمان أنه زمن شيخوخته أصبح إماما لأحد المساجد؛ لكن هاته المعلومة انفرد بها مؤرخ واحد[7]، وتوفي سنة 555هـ/1160م[8]، وقيل في554هـ1159م[9]، ووقتها الأمير أبوا عبد الله محمد بن سعد ابن مردنيش[10] محاصرا لقرطبة[11].

وبالتالي يتضح لنا من خلال شخصيته أنه لم يعش حياة طبيعية نظرا للمجتمع الذي كان يعيش فيه،

---

[1]- عاصر ابن قزمان فترة من الزمن وله من الشعر ذا اللغة المتينة فمن إحدى أشعاره:

صَحِبْتُ مِنكَ العلاَ والفَضْل والكَرمـاَ وشِيمةٍ فِي النَدى قَد فَاقَتِ الشِيَمَّا

أنظر: المقري، نفح الطيب...، ج3، ص: 474، ابن سعيد المغربي، المغرب...، ج1، ص: 248.

[2]- هو عطية بن مطرف، أبوا الحسن اللخمي البلنسي؛ ولد في 491هـ/1098م، الشاعر المشهور، مدح الأكابر، توفي سنة 530هـ/1136م. أنظر: النواجي، المصدر السابق، ص:376.

[3]- محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية و أثرها في شعر الترابادور، ط1، دار أم الكتاب، الجزائر، 2012، ص: 181-183.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة...، ج2، ص: 505.

[5]- من بين أقوى دول العصر الوسيط، سماهم ابن تومرت القائم على أمرهم بالموحدين لأنهم وحدوا إمامته وبعد عام التمييز سماهم كذلك، ينقسم الموحدون إلى 13 طبقة، وسمى غير الموحدين بالفاسقين و قال عن أصحابه بأن الله يعزهم، قضوا على دولة المرابطين بالأندلس والمغرب. أنظر: البيدق (أبا بكر الصنهاجي)، المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، د.ط، دار المنصور، المغرب، 1971، ص:12، 36، ابن القطان المراكشي (أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص: 82، 89، 142.

[6]- احمد رضوان الداية، المرجع السابق، ص: 205.

[7]- كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص: 129.

[8]- المقري، أزهار الرياض...،ج2، ص: 216. أيضا: ابن الخطيب، الإحاطة...، ج2، ص:505.

[9]- ابن الأبار، المقتضب...، ص: 95.

[10]- ناهض المرابطين ملك شرق الأندلس و نازل قرطبة و كاد أن يستولي على جميع بلاد الأندلس، هزم الطاغية بن رذمير فقويت شوكته وعظمت إلى مغارم بلاده، وبلغ صدر الدولة الموحدين. أنظر: ابن الخطيب، الإحاطة...،ج2، ص:121-126.

[11]- الصدفي، المصدر السابق، ص:211، ابن الخطيب، الإحاطة...،ج2، ص:505.

فأفنى حياته في العشق والخمر، ومع ذلك كن له من الايجابيات التي تبقيه في دائرة الدين، وفوق كل هذا أو ذاك ترك لنا ديوانا يعبر عن حقيقة الوقت الذي عاشه، وهو ما سنعرفه بعد حين.

المبحث الثاني: التعريف بالديوان

عبارة عن مؤَلف لصاحبه ابن قزمان دَوِن خلال عصر المرابطين؛ إذ يعتبر من أهم الدواوين التي أفصحت عن حقيقة المجتمع الأندلسي في الفترة المذكورة[1]، كتبه بألفاظ العامية للأندلس أي باللغة العربية المحكية باللهجة الأندلسية وتتخلله في بعض الأحيان مفردات وعبارات بلغة الرومانسية الهسبانية[2]، ويسمى بـ :"إصابة الأعراض في ذكر الأغراض"[3]، وسميَّ بالديوان الأصغر لأن له ديوان كبير لكن نتأسف لضياعه، وبالرغم من ذلك يبقى هذا الديوان الذي بين أيدينا اليوم من أنفسها التي وصلت لنا وفيه غُنية عن سواه[4]، وصلت إلينا منه نسخة واحدة كتبت في مدينة صدف الفلسطينية[5]في القرن14هـ/20م[1]، وللإشارة فإن الديوان مكتوب بفن جديد يدعى بفن

[1]- أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تح:حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،1928، ص:160.

[2]- جيمس.ت. مونرواج، الزجل والموشح: الشعر الأندلسي والتراث الرومانسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحر: سلمى خضراء الجيوسي، ج2، ط2، مركز الدراسات العربية، بيروت، 1999، ص: 582. أيضا: ابن حجة الحموي، بلوغ الأمل في فن الزجل، د.م، ص:6.

[3]- حمودة قعيب، ابن قزمان و ثراثه الزجلي(بالعربية على اليمين)، مجلة الدراسات الأندلسية، ع10، 1993، ص: 17.

[4]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 169.

[5]- تعرف بالشام الأولى حدودها من مصر ثم رفح إلى الشام، أعظم مدنها الرملة وبها بيت المقدس. أنظر:العذرى(أبوا العباس أحمد)، رسائل جغرافية، تح: عبد الله يوسف، دورية علمية، ع130، 1989، ص:11.

بالزجل[2]وبمفرد المذكر[3] وسنتطرق للتعريف بالزجل.

الزجل لغة: هو الصوت[4]واللعب برفعه وانخفاضه، ويخص به التطريب حتى يكاد يقع على الغناء[5]كما يراد به لطرب[6]. أما

اصطلاحا: فهو ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية[7]، و الإعراب في الزجل هو اللحن ولا يسير حسب بحور الشعر[8]، بل هو طريقة بديعية يتح يتحكم فيها ألقاب البديع[9]، وعن هذا يقول ابن قزمان:

مَا أجْمَلَ كَلاماً نُنْظِمه ومَا أبْـــــدَعُ

لاسْتَ مَعوا غيري مَسيي ، إذْ أنا نْسمعُ[10]

فيصور لنا الحياة الشعبية بدقة متناهية ويستقي ألفاظه من لغة الشعب ثم تصاغ بالأسلوب الأدبي للزجال، كما يحتوي الزجل على كلمات سوقية[11]، وإن الديوان الذي بين أيدينا دليل على ذلك[12]، وبناءا على ذلك منع من قوله بالأسواق وإذا قيل بالمجالس يخرج الفقيه.

عوامل ظهور الزجل:

[1]- سليم الحلو، الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها، تق:إحسان عباس، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص:77.

[2]- ابن حجة الحموي، المصدر نفسه، ص: 2.

[3]-كارل بروكلمان، المصدر السابق، ج5، ص:129.

[4]- ابن حجة الحموي، المصدر نفسه ، ص: 40.

[5]- ابن منظور، المصدر السابق ، ص: 1814.

[6]- الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشر: محمد نعيم الوقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص: 1009.

[7]- محمد عباسة، المرجع السابق، ص: 106.

[8]- ابن سعيد المغربي، المغرب...، ج1، ص: 167.

[9]-ابن الخطيب، الإحاطة...،ج2، ص: 494.

[10]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 82.

[11]- دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة،تح:الطاهر أحمد مكي، ط3، دار المعارف، بيروت، 1987، ص: 187.

[12]- ابن قزمان، نفسه، ص:461،71.

أول من بدأ الزجل كان عبارة عن أغنية شعبية ثم ازدوج إلى اللغة العربية في الأندلس وانقسم بين اللهجة الدارجة والأخرى مكتوبة ولهذا السبب لم توجد نماذج مثيرة حول الزجل إلا في القرن 5هـ/11م[1]، وإن الزجل وليد البيئة الأندلسية التي خرج منها إلي البلاد و نشأ بعد الموشح[2]. وبعدما شاعت هذه الأخيرة عند الناس دفعت بنشأة الزجل[3].

بالإضافة إلى الميزات التي خصت بها الطبقة الوسطى دفعتها لأن تخلق أمرا يميزها عن غيرها و يرفعها درجات وكان ذلك باختراع الزجل، كذلك خروج الزجل من الحواضر والمجالس إلى الأسواق وأماكن الأنس والشراب والطرقات والتي لا تنذر سوى بالأمور الغريبة أدت إلى تطور الزجل[4]. وبالتالي بلغ أشد تطوره في فترة المرابطين وطبيعي أن يحدث هذا نظرا للموات الأدبي و الفكري ولا بد أن يرافقها انهيار حقيقي في اللغة، لكن الذي لا شك فيه أن مشاعر الناس لن تموت، فوجدوا من التخلي عن الفصحى منفذا في الزجل[5]، رغم محاربتها لمثل هاذه الأمور التي تفسد طباع المسلم و تزيغه عن دينه، وربما تذمرت العامة من ذلك الحكم وكذا سياسة المصالح بين الفقهاء و الأمراء وغيرهم، كانت دافعا قويا لأن يوجد له أتباع يحبون سماعه كون أنهم وجدوا فيه ما يحقق مبتغاهم وبالتالي تطوره[6].

[1]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص:205.

[2]- هو كلام منظوم على وزن مخصوص،اشتق من الوشاح بكسر الواو وسمي كذلك لأن خرجات أغصانه كالوشاح ، وهو الترسان الترسان واللؤلؤ و الجوهر الذي تتوشح حبه المرأة، له عدة أغراض من مواضيع الغزل و الخمريات ووصف الطبيعة ويحمل في طياته المدح، وتتميز بالصدق والإيمان والشوق والحنين كما يشتمل على التصوف و الزهد،وله نفس مقاطع الزجل، إلا أنه لا يشبهه في القول و لا اللفظ. أنظر: الحفناوي أمقران، الموشحات و الأزجال، ج1، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص: 19-21، سليم الحلو، المرجع السابق، ص:71، قيصر مصطفى، حول الأدب الأندلسي، د.ط، دار الأشرف، بيروت، د.س، ص:106.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 825.

[4]-محمد عباسة، المرجع السابق، ص: 113.

[5]- قيصر مصطفى، المرجع السابق، ص: 99-100.

[6]- محمد عباسة، المرجع نفسه، ص: 313-314.

ولكل تلك الأمور المذكورة وجدت من ابن قزمان آذانا صاغية فأدى إلى ظهور الزجل على أصوله وتطوره معه وما يؤكد ذلك :تسميته بإمام الزجالين[1]، فيقول:

ذَا الزَجل قطْ، والسَّلامْ،

فَرْدٌ انَا فِيهِ و إِمَامْ[2]

إلا أن هذا لا يعني أنه لم يكن موجودا قبل صاحبنا إذ يقول:

قُزمَانًا أخَر قد إختفَى في النَّاسْ

وأنا ولد الزجل و قزمانه[3]

يعني ذلك أن الزجل كان قبله، فهو لم يخترعه بل طوره وجاء به في طابع جديد فيقول رغم كل شيء إلا أنه صاحب الزجل والمبتدع فيه بالكلام حتى أنه يعترف بأنه يفتن الزاهد دون خجل و لا حياء:

وَأبو عَبدُ اللَّ صَاحبْ الزَّجلْ

بِشكلِه الشَاعر عَلى مَا عَملْ

في حَلاوَتي وَ فِي طُرفَتِي

نْفتْنْ الزَاهدْ على الوَرعْ[4]

[1]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص: 825، النواجي، المصدر السابق، ص:384.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 316، 329.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 378.

[4]- نفسه، ص:200.

كما أن ابن قزمان يصف نفسه بإمام الزجل على الإطلاق وهو ما أكد عليه ابن الخطيب أيضا:"هو آيته المعجزة وفارسه وحجته البالغة "[1].

إذن فهو من ابتكره أو على الأقل أهم من قاله[2]وأن كانت قيلت قبله بالأندلس لكن لم تظهر حلاها و لا انسكبت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه[3]فيقول عن هذا:

الـــــزَجَّل زَجلي وَغيرْ ذَّاك ريغْ لا تَـتِقِـــي،

تَـجِده فِي الجَبر و التصـــحِيـــغْ ابْسطْ نَـقيْ[4]

كما أنه في زجل آخر يقول أنه شرفَّ الأدب و تفنن فيه وألحقه إلى مراتب لم يصلها قبلا إذ يقول:

فَـأنَا شَّرفـتُ كُـلَّ أدَّبْ

وأَنـا سَهلـتُ كُل صَعـبْ

وأنَّـا أظْهرتُ كُل عَجـبْ

وأنا أَبدَعْـــتُ فيهِ بـدعْ

مَاعِ زَجـــلًا مْعلمْ الطَرفيـنْ[5]

و بخصوص[1]أنه سلطانا للزجل ويثني على نفسه دون أن ينتظر مدح الغير له وكأنه متأكد من نفسه فيقول:

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة...، ج2، ص: 494.

[2]- بروكلمان، المرجع السابق، ج5، ص: 129.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 826-827.

[4]- ابن قزمان، نفسه، 84.

[5]-أي أنه يبدأ الكلام بقفل ويختمه به، وسنفصل فيها بعد حين. أنظر: قيصر مصطفى، المرجع السابق، ص:108.

فِي الزَجل قَّد صِرتُ سُلطانْ ورَفعت فِيهِ لِوائِـي

لَـك أحـــد يـُــثني عَلىَّ وَبـحقْ هُو ثَنائِــي

أَزجـالِـي مِـــلاحْ قَـويــةْ وْبِيجِي مْتاعْ سوَائِـي[2]

ولم يتوقف صاحبنا عند هذا الحد في الثناء على نفسه حتى وأن الأمر لا شك فيه، بل تجاوزه وعاب على المتقدمين في هذا المجال[3]، فوصف إعجاب الناس بهم بمثابة الإعجاب الأعمى، وبالتالي فإن هناك فرقا بين زجل الجيلين، فالجيل الأول استعمل فيه اللغة العربية الفصحى كونه اقترن بالطبقة المثقفة أما ابن قزمان أقرنه باللغة العامية[4]، و لأنهم ارتكبوا في حقه خطأ الإعراب[5].

أقسام الزجل:

ينقسم الزجل إلى شطرين:

أ-الشطر الأول: يبدأ بحرف روي واحد مثل(أ-أ)ويأتي بعده عدد غير محدد من المقاطع؛ وكل مقطع يتكون من ثلاث أبيات وتدعى"أغصانا"[6]و هي ما قال عنها ابن قزمان:

وَبدَيتْ كَتبْ زَجَّلي بَيْت عَلى بَيـتْ

ثُمَّ أتقَنتْ وَ أطْريتْ و هَـــنيـــْتْ[7]

وتكون هذه الأغصان متفقة القافية كما رأينا في الزجل المذكور[1] ويسمى الجزء الأخير منه بالمركز[2] ويقول عن المركز: مَـركَّـزهُ مِن مَركزْ التَّوشـــيحْ[3]

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 200.

[2]- نفسه، ص: 113.

[3]- نفسه، ص: 448.

[4]- محمد عباسة، المرجع السابق، ص: 114-115.

[5]- المرجع نفسه، ص:131.

[6]- جيمس.ت.مونرواج، الزجل والموشح...، ص: 583.

[7]- ابن قزمان ، المصدر السابق، ص:97.

ويظهر لنا من خلال الزجل الأخير أنه أخذ من التوشيح في المركز لأنه يشتمل على غرض الموشحة[4]، –ويشتمل هذا الشطر على دعابة أو عتاب أو ما شابه ذلك[5] أو هجاء للفقهاء أو غيرهم فيرتكب فيهم أنواع السخرية[6] وابن قزمان يقر بذلك في إحدى أزجاله لكن يدافع عن نفسه فيقول إلا من أراد ذلك بقوله: **فَمتْ سَّاعة ،خَرجتْ بْزَجلِي**

لَّم نَسْخرْ حَد إلَا جِيبْ بْرجلِيْ[7]

وغالبا ما يكون في مطلعه حديث عن موضوع جنسي أو خمري إذ تعتبر من مواضيعه المفضلة[8]فيعالج فيه المواضيع الغراميـة الخاصة.

ب– الشطر الثاني فهو شبيه الأول، ويكون أقرب إلى الإلهام كالمدح وتكون موجهة للممدوح و لفضائله[9]، وعامة ما يمتاز الزجل بتكرار القافية الواحدة في نهاية كل بيت[10].

أغراض الزجل:

ليس للزجل مواضيع محددة يتقيد بها عكس الموشح فقد تناول كل الأغراض ولذلك سنتطرق لأهمها: **أ– الغزل:** وجد كثيرا في الديوان إذ يسميه بـ"المغزول"[11]، بكلمات مرحة مبهجة و يرتبط

---

[1]– ليفي بروفنسال، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلسي تاريخها، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، د ط، المطبعة الأميرية، مصر، د.س، ص:189.

[2] – جيمس.ت.مونرواج، المرجع نفسه، ص:583.

[3]–ابن قزمان، نفسه، ص:84.

[4]– ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب و الأندلس، تح: السيد محمود عبد العزيز سالم و محمد صالح الدين حلمي، مر: لطفي عبد البديع، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1990، ص:281.

[5]– ليفي بروفنسال، سلسلة محاضرات... ،ص:28.

[6]– أنخل جنثالث بالانثيا، المرجع السابق، ص:162.

[7]– ابن قزمان، نفسه، ص:97.

[8]– محمد عباسة، المرجع السابق، ص: 136.

[9]– أنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص: 162.

[10]– ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب...، ص: 282.

[11]– قيصر مصطفى، المرجع السابق، ص: 108–109.

باللهو و الهزل و الغناء، وعادة ما كانت تنظم هذه الأخيرة في مجالس اللهو والطرب[1]، مثال ذلك زجل لصاحبنا و هو يغازل الحبيب طالبا من العود أن يساعده في ذلك:

يَـا عُـودَ الـزَانْ قـُم سَاعِـدنِـي

طَـابَّ الـزَّمانْ لِمَـن يْجِـينِـي[2]

ب–الخمريات: هي من بين أهم الأغراض التي تناولها ابن قزمان ووجدت كثيرا في ديوانه، فله في الخمر وحده، و ما يختلط بالأغراض الأخرى وديوانه مثال ذلك[3]فيقول:

يَا شَرَابه، يا بِينُو، مَا اَحْلاكْ، واللّ إنَك حُلـو سُكـرْ،

بالذِي رَزَقْـني حُبكْ، مَن نَثَر عليكَ [اَلْ]جَوهرْ

يَا تُرى لسْ تَشتِكِي بَاس أش نَراكَ [رَقيق وأَصفَرْ][4]

ج–وصف الطبيعة: تفنن زجالنا في وصفها فلم يترك ركنا جميلا إلا وذكره؛ فكثيرا ما نجد أنه رافق وصفها بالشراب وبصحبة لعشيقاته فيقول:

يْحلى لِي شُربه العـقَّار لا فِـي الـدَّارْ

إلا فِـي ظِـل الثِمـارْ والـنـوَّارْ[5]

[1]– محمد عباسة، المرجع نفسه، ص: 136.

[2]– ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 99.

[3]– محمد عباسة، المرجع نفسه، ص: 140-141.

[4]– ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 432.

[5]– نفسه، ص: 319، 461.

د–المدح: استعمله ابن قزمان كثيرا ربما لقضاء حاجته وربما حقيقة في أمر ممدوحه وغيرها من الأغراض[1]الأخرى كالحب اللذة والوصف، وكل هذه الأغراض سنتناولها ونفصل فيها في الحديث عن المجتمع.

رأي ابن قزمان في الزجالين الذين سبقوه وعاصروه:

قدم لنا ابن قزمان رأيه في بعض الزجالين والوشاحين الذي أخذ عنهم وأبرز وشاح:

– ابن بقي[2]الذي عاب عليه صاحبنا في فن التوشيح بالرغم من أنه أخذ عنه في المركز[3] إذ يقول عنه:

أَنَّا هُــو زَجَّال و السَــــــلَامْ،

لَــــس بعدْ زجَلي شَــــي تَمـــــــامْ

أَطيبْ هُو عنْدي من كَلَام ابنَ بقِي.[4]

–ابن نمارة: عاب عليه كثيرا لأنه استعمل المد الفاحش[5]، و كذلك ابن راشد رغم انه امتدحه كونه من السباقين في الزجل بالقوي من الكلام حتى أنه وصف بالإمام فيه غير أن ابن قزمان بعدما نظم

[1]– ليفي بروفنسال، سلسلة محاضرات... ، ص: 29.

[2]– هو يحي بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي، كان أية في النثر والنظم، تخصص في نظم الموشحة، إلا أن براعته حكمت عليه بحرمانه، توفي في، 450هـ/ 1158م، أخذ عليه ابن قزمان، من بين موشحاته:

عَبثْ الشَوقُ بِقلبِي فَاشتَكى ألَم الوُجد فلبث أدْمعِي.

أنظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ج6، تح:إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص: 2820–2823. أيضا توجد الترجمة عند ابن سعيد في المغرب، ج2، ص:25.

[3]– مركَزهُ مِن مَركَزِ التَوْشِيع لإبن بَـــــقِـــــي

أنظر: ابن قزمان، نفسه، ص:84.

[4]– ابن قزمان، المصدر السابق ، ص: 448.

[5]– ابن حجة الحموي، المصدر السابق، ص:13.

البسيط من الكلام صار هو الإمام[1]فيقول ابن قزمان:

أَسحَار دَّا الزَّجـــل كُـــلِـــه

ابْـــن راشِد عَلـــى نُبـــــلِه

لَّن يَـــــقدِر أَنْ يقولْ مِثلِـــه

وْيحافِظْ فِي العَروضْ زَجلًا قُزمانِي

لكِن هَـــــــــذَا جا أَبْـــدَّع[2]

معنى ذلك أنه بالرغم من ابن راشد له زجل قوي لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله، إلا أن صاحبنا تفنن وأبدع فيه حسب قوله كما قال أيضا استهزاءا به:

زَجلُكَّ يا ابْنَ راشِدْ قَوِي مَتيْنْ

وَّ إن كَانَّ هُو بالقُوة فَالحَملَينْ[3]

شهرة ابن قزمان من خلال الزجل:

طارت شهرة هذا الأخير لا في قرطبة وحدها، بل تعدت إلى كافة المدن الأندلسية، وحتى في المشرق و المغرب[4]، وربما انتقل الزجل من الأندلس إلى المدن الأخرى عن طريق وافدات الحجاج كما أن البعض منهم بقي بالبلاد التي تعجبه فاستقر به المقام هناك فأدى إلى انتشاره بقوة كذلك دور الرحلة التي قام بها المغنيين و الفنانين و الموسيقيين الذين حملوا معهم التراث الزجلي لتلك البلاد التي

[1]- المصدر نفسه، ص:26.

[2]- ابن قزمان، نفسه، ص: 401.

[3]- نفسه، ص: 402.

[4]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 170.

قصدوها[1]، كما كان للفقهاء دور في ذلك بأن بعض الفقهاء من كان شاعرا لكن مكانته بالأندلس لم تسمح له بقوله، كما كان الشعر مقيدا في مواضيعه نظرا للطابع الديني الظاهري الذي كان عليه أهل الأندلس ولذلك من المحتمل أن الفقهاء المحبين للشعر عندما غادروا البلاد نقلوه وبما في ذلك أزجال ابن قزمان[2]، فبرع البعض منهم فيه وأصبح ينظمه وسمي "الملحون"[3]، وبخاصة في منطقة ليبيا[4] درنة[5]، التي قصدوها كثيرا وبلغ فيهم من الزجل مبلغا، فظهر فيهم من الزجالين العدد الكبير وكلهم برعوا فيه[6]، كما[7]انتشر في مصر[8]، فاستحسنوا موارده بعذوبة ألفاظهم ورشاقتها ورفعوا كلامه

كلامه

بحلو ذوقهم فأصبح زجلا قاهريا[9].

-كما دخل من هناك إلي بلاد المشرق من الشام[1]، وحتى[2]أنه أصبح يسمع ببغداد [3]كثيرا[4]، وحتى وحتى أن ابن قزمان يذكر الأمر نفسه: **الضَّرُورَ تَدفَعنِي أَنْ نَدَلَّلْ**

---

[1]- أنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص: 166.

[2]- عيسى الودادي، سلطة الفقهاء على الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، مجلة العلوم الإنسانية،ع:20، 2001، ص:10-14.

[3]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص: 224.

[4]- كانت تعرف بطرابلس، قيل عنها أنها للجهل مأتم وما للعلوم بها من عرس، أفقرت ظاهرا وباطنا، ومن بين الأشعار التي قيلت عن سكانها: **كَأنهُم مِن ضِيقِ أفْهَامِهِمْ لمْ يخْرجوا بَعدْ إلى العَالمْ**

وربما لهذا السبب راج عندهم الزجل لما ليس لهم من العلم.أنظر:العبدري(أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن سعود)، رحلة العبدري، تح:علي إبراهيم الكودي، ط1، ط2، دار سعد الدين، مصر، دس، ص:184.

[5]- موقع بالمغرب قرب أنطابلس وهي موجودة بليبيا. أنظر: أبي الفضل العمري، المصدر السابق، ص:525.

[6]- شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص:171.

[7]- ابن حجة، المصدر السابق، ص:28-29.

[8]- تقع على ضفتي نهر النيل،يعود تاريخها إلى العصر الإسلامي ففتحت على يد الصحابي الجليل عمروا بن العاص في 21هـ/642م، وأصبحت بذلك عاصمة إسلامية تابعة للخلافة بالمشرق وكانت تسمى بجزلة. أنظر: المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية، ج1، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 1998، ص: 53، 76.

[9]- هي قاعدة الديار المصرية ومدينة المملكة بالبلاد الشرقية،فهي كبيرة القطر، كما أنها مدينة السلطان لإتساعها، محدثة البناء تم إختطاطها أيام العبيديين على يد جوهر الصقلي، فيها من القصور و المباني.أنظر:العبدري، المصدر السابق، ص:274، مجهول،

ذِكْرِي فِي العِرَاقْ مَسْمُوعْ والعِرَاقْ قَلِيل[5]

عن طريق الطبيب أبو مروان بن زهر[6] الذي مارس الطب ونشر الأزجال هناك[7]،كما نجد زجالا آخر

وابن مدغليس[8] الذي اشتهر في الزجل بعد وفاة ابن قزمان، إذ عدّ زجالا بحق في اللفظ؛ وبن قزمان بالمعنى حتى لأن صاحبنا هو بمنزلة المتنبي[1] فيقوله الشعر[2]، كما شاع في في كامل الجزيرة الأيبيرية[3].

الإستبصار في عجائب الأمصار بوصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تح: عبد الحميد زغلول، د.ط، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.س، ص:82، ابن جبير(أبي الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي)، رحلة ابن جبير، د.ط، مركز ودود للمخطوطات، د.د، د.س، ص:48.

[1]- إقليم عظيم، حتى أنها تشكل مملكة لوحدها، بها من الخيرات، ولها من الكور العظيمة أهمها مدينة دمشق، والشام 5شامات من بينها: غزة وفلسطين والأردن.أنظر: ابن الوردي (سراج الدين أبي حفص)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب،د.ط،مركز ودود للمخطوطات، مصر، ر:20، ص:22-23.

[2]- ابن حجة الحموي، المصدر السابق، ص:21-22.

[3]- قاعدة بلاد العراق، فهي أم الدنيا وسيدة البلاد،كانت مجرد قرية زمن الفرس ثم تحولت إلى مدينة عظيمة أيام العباسيين، أنشأها الخليفة أبو جعفر المنصور، ويضرب بها المثل في العلم، فمجاله بها واسع وثقافته بها غير محدودة، خربت على يد الإنجليز.أنظر:البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع و هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي، تح:علي محمد البجاوي، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت، 1925، ص:209، بن الوردي، المصدر نفسه، ص:26.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 826.

[5]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:187.

[6]- هو أبو مروان عبد الملك بن الفقيه محمد بن زهر الإيادي، له من الخبرة في صناعة الطب، وله أفكار شاذة فيه، كمنع الحمام اعتقادا منه أنه يعفن الجسم، كما تقلد الوزارة وكان دينا عادلا قوي النفس مليح النسك برع في نظم الشعر، انتقل من دانية إلى إشبيلية وبقي هناك إلى غاية وفاته.أنظر: ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دون معلومات،ص:464-465، الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف و محي هلال السرحان، ج21، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984، ص: 326-237.

[7]- محمد عباسة، المرجع السابق، ص:133.

[8]- أحمد بن الحاج المعروف بمدغليس الزجال، أزجاله مطبوعة كان وجوده أيام الموحدين عهد عبد المؤمن بن علي، وهو خليفة ابن قزمان من أزجاله:

مَحاضرُكُم لو كَتَّبتهْ حرفًا ولَو بـِاليَـسارِ
إذْ أنـْتهْ نورَ عـيْنيْ ومَطلَبي وإخْتيـَارِي

أنظر:ابن سعيد المغربي، المغرب...،ج2، ص:214.

ديوان ابن قزمان بين دراسة المسلمين و المستشرقين:

إن ديوان بن قزمان لم يلقى هذا الديوان أهمية في سلسلة الدراسات الإسلامية بالرغم من حق أولويتهم لدراسته، مقارنة بدراسة الغربيين له و اهتمامهم به وربما يرجع ذلك إلى سبب وجيه تمثل في: -أنهم أول المتحصلين على التراث المغربي الأندلسي المخطوط وأقبلوا بقوة على تحقيقه، وأولوه أهمية بالغة فتصفحوا كلماته بالدقة المتناهية[4]، وربطوا بين تطور الأغنية الإسبانية والبرتغالية فاحتل مكانا عاليا لا في إسبانيا وحدها بل في العالم كله[5]، إلا أننا لو نقرأ قليلا عن نظرتهم في أنهم أقبلوا على دراسته بقوة لوجدنا أنهم أرجعوا السبب إلى أن العرب استصغروا الديوان كونه مؤلف باللهجة العامية، وأن ابن قزمان له من العبث والمجون أي(كما ذكرنا في شخصيته)فإن أهل الخير عكفوا عن دراسته لهذا السبب، وهذا استنادا على مقدمة محقق الديوان[6].

إلا أن عبد العزيز الأهواني في كتابه "الزجل في الأندلس" من بين أهم العرب الذين درسوا ديوان ابن قزمان دراسة وافية وكافية؛ ومن الذين تخصصوا فيه بدراسة علمية دقيقة[7]، إلا أني وللأسف الشديد لم الحصول عليه رغم كل المجهودات.

ومن بين أهم الدراسات الإستشراقية حول الديوان:

نشر الديوان المستشرق ريبيرا[1]، لأول مرة مع دراسته لشخصية لابن قزمان ثم نيكل[2] إلا أن

---

[1]- ولد في 303هـ/915م، وهو شاعر عظيم الذكاء راجح العقل، مطلع على اللغة له في النظم والشعر، سميَّ كذلك لأنه ادعى النبوة، فأسر، من قوله في الشعر:

أبْلى الهَوى أسَفًا يَوم النـَوى بَدنِي ... وَفرَقَ الهَجْر بين الْجَفنِ و الوَسنِ

روحَ تَـــردُد في مَثل الـــحلَال إذَا ... أطَارتْ الرِيح عَنه الثَوب لَم يَبنِ

أنظر: المتنبي، ديوان المتنبي، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.س، ص:5،7.

[2]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص:166

[3]-ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب...، ، ص: 284.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:8-9.

[5]- قيصر مصطفى، المرجع السابق، ص:110.

[6]- ابن قزمان، نفسه، ص:9-10.

[7]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص:205.

المحقق ج.س كولان[3] انتقدها و عدها مليئة بالأخطاء، ونشر الديوان من جديد من طرف المستشرق غرسيية غوميث[4]، و كذلك فديريكوا كورينتي وهو الموجود بين أيدينا اليوم[5].

ومن الأسباب النموذجية التي جعلت المغاربة يعزفون عن دراسته:

يظن المغاربة و العرب أن الزجل شعر شعبي فقط وهذا خطأ.كما يظن البعض أن وجوبا عليهم أن يعرفوا اللغة الإسبانية لدراسة الزجل إلا أن الأمر ليس محسوما فيه[6]، ولقول ابن قزمان مثلا:

إنَـــما نتوب أنَـــا فمَـحالْ

وَبقَا لـِي بلا شُريـــبَة ضَلالْ

بِيْنْ بِيْن وَدَعْني مِما يُقالْ[7]

و بين بين (vino vino) بالإسبانية تعني الخمرة الخمرة[8].

ورغم هذا أو ذاك يبقى ديوان ابن قزمان من أنفس دواوين الأزجال والتي لم يصلنا من تلك الدواوين سواه، رغم أنه غير مكتمل ففيه من الأزجال الساقطة، ونتأسف لضياع ديوانه الكبير، فلا بأس أن

---

[1]–مستشرق إسباني، تعلم في المدارس الآباء الإسكالبيين، له شهادة ليسانس في الحقوق والدكتوراه في الأدب والفلسفة ، درس اللغة العربية واختير عضوا في أكاديمية اللغة والتاريخ تتلمذ على يده عدد كبير من المستشرقين أمثال بالنثيا. أنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط4، المؤسسة العربية، الأردن، 2003، ص:276.

[2]– مستشرق تشيكي كتب عنه دراسة باللاتينية، ثم نشر بعضها بالإسبانية. أنظر: قيصر مصطفى، المرجع السابق، ص:111.

[3]– مستشرق فرنسي، له ديبلوم في اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية في المشرق والتركية والفارسية والحبشية، أقام في القاهرة ثم وضع تحت الحماية الفرنسية في مراكش، وبعدها اختار لأن يكون مساعدا لرئيس قسم الدراسات الإجتماعية في طنجة، وبعدها امتهن الترجمة. أنظر: عبد الرحمن بدوي، المرجع نفسه، ص:489.

[4]–له الفضل الكبير في تحقيق الديوان وفي إثارة اللهجة الأندلسية، إلا أنه أفرط في تحقيق المخطوطة بعدم التزامه بروايتها وله كتب أخرى بالأجنبية حول الديوان وشخصية ابن قزمان: «TODO BEN QUZMAN »

أنظر: الترجمة مأخوذة من خلال مترجم ديوان ابن قزمان، ص:7.

[5]– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص:169.

[6]– سليم زيدان، منابع الشعر في الزجل الأندلسي، مجلة الدراسات الأندلسية، ع23، 2002، ص:99-94.

[7]– ابن قزمان، المصدر السابق، ص:100.

[8]– سليم زيدان، المرجع السابق، ص:94.

ديوانه الصغير فقط هو الذي وصلنا[1]، و مما ظهر لنا مسبقا في شخصيته من حب الغلمان والخمر و الملذات، إلا أنه لم يخفي تلك العيوب التي وجدت في ذاته و أفصح عن ذلك مرارا دون اعتبارها نقصا أو عيبا في حياته، وغير ذلك نجده زجالا و فنانا و أديبا[2]ويقول عن هـــــذا:

وأنَا وَشاّح و زّجالْ وأَنا كَاتبْ و شَاعرْ[3]

تكمن ميزة ابن قزمان الكبرى في النقل الواقعي والتصوير التحليلي الدقيق بإدخال الحركة القصصية في أزجاله وتمثيله في المواقف الدرامية، وبالتالي فهو من أهم الدواوين التي يجب أن يدرس بتفاصيله، وتمنح له العناية الكافية وبخاصة من طرف الباحثين العرب إذ أنه يمنح الإضافة في كامل المظاهر الحضارية التي وجدت بالأندلس ولا سيما المجتمع.

[1]- إحسان عباس، المرجع السابق، ص:204.
[2]- شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص:169.
[3]- ابن قزمان، نفسه، ص:113.

المبحث الأول: بناء المجتمع الأندلسي

سكن ببلاد الأندلس أو الجزيرة الأيبيرية العديد من الأجناس التي توافدت على المنطقة فسكنت أقطارها وتبوأت ديارها[1]، ولهذا السبب سنجد عددا من العناصر التي تزاوجت فيما بينها لتعطينا مجتمعا جديدا امتزجت فيه مختلف العادات والتقاليد، وعليه سنتحدث عن السكان الأصلين لها وكيف انصهروا مع الفاتحين:

1-العرب: يختلف نسبهم من العدناني[2] والقرشي[3] إلى الحميري[4] والأنصاري[5]، بالإضافة إلى أنساب أخرى[6]، إلا أنهم لم يبقوا كتلة واحدة بل انقسموا علـــى أنفسهم باعتبار من دخلها أولا، فسميت النواة الأولى بالبلدين[7]، أما الفئة الثانية فعرفوا بالشامـين[8]،إلا أن ذلك لم يبق مجرد انقسام إسمي فقط بل تطور ليصبح صراعات ونزاعات كبرى شغلت كل مرحلة حكم الولاة[9]، ولهذا الأمر كان حضورهم قويا و الثابت في القول أن وضعيتهم بقيت نفسها؛ لتخف هذه الخلافات في عهد الإمارة لكن

[1]- لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ،نش: محب الدين الخطيب، د.ط، مطبعة السلفية، د.ب، 1374، ص: 16.

[2]- نسبة إلى عدنان من واد إسماعيل، فاندثر كامل أبناءه و لم يبق إلا عدنان الذي تنسب إليه الكثير من العرب. أنظر:ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، نش وتع وتح: ليفي بروفنسال، د.ط، دار المعارف، مصر، 1948، ص:7-8.

[3]- نسبة إلى قريش، الذين جمعهم قصي بن كلاب فسُموا قريشا،كما يعرفون بآل البيت أو حيران الله، أو سكان الله.نظر: ابن عبد ربه(محمد بن أحمد)، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترجي، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1983، ص: 276.

[4]- إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولها عدة بطون. أنظر: المصدر نفسه، ص: 320.

[5]- من الأوس و الخزرج و غسان غيرهما من الأنساب. أنظر:ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص: 16.

[6]- شكيب أرسلان، االمرجع السابق، ج1، ص:277-289،278. أيضا عند :ابن الخطيب ،الإحاطة...،ج1، ص:220 .

[7]- يعرفون أيضا بالداخلين نسبة لدخولهم مع طارق بن زياد وموسى بن النصير، مما يأخذ عنهم أنهم حصلوا على أجود الأراضي وأخصبها، إلا أن هذا الأمر لا يمكن التسليم به كميزان الصحة، بل سكنوا في المناطق التي رغبوا فيها.أنظر:ابن الخطيب، اللمحة...، ص:17.

[8]- من أهل الشام، يعرفون بأهل الشام كما يدعون بالطائفة البلجية لأنهم جاءوا إلى الأندلس مع بشر بن بلج. جمعت الفئتين (البلدين والشامين) صراعات بأرض المشرق ، وإنتقل ذلك الخلاف معهما للأندلس.أنظر: المصدر نفسه، ص:16، محمد حسن العيدوس، العصر الأندلسي تاريخ العرب في بلاد الأندلس دراسة في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي، د.ط، دار الطليعة، بيروت،1997، ص: 20-21.

[9]- ابن الخطيب، الإحاطة...،ج1 ، ص: 41-42.

سرعان ما عادت بينهما وبقيت كذلك حتى عصر المرابطين الذي حمل معهم أنباء جديدة تفصح على زوال تلك الخلافات العصبية التي كانت تطبع سمة تواجدهم فتناسوا أصولهم وانصهروا مع بعضهم البعض وسكنوا السهول والمدن موزعين على كافة البلاد[1]، وكانت نسبتهم تتزايد بمرور الوقت الوقت في الأندلس.[2]

2-البربر[3]: إن ذكرهم لا يقل أهمية عن سابقه، فقد كان لهم دور هام في عملية الفتح دخلوا مع طارق بن زياد[4].

ينقسم البربر بدورهم إلى قسمين: البتر[5] والبرانس[6]، وبعض الاختلاف الذي بينهما[7]، فقد لعبوا

لعبوا

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي، د.ط، دار الطليعة، بيروت، 1997، ص:41-42.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة...، ج1، ص: 42.

[3]- من ولد حام بن نوح عليه السلام، إلا أن البعض ينسبهم إلى بر بن قيس بن عيلان وهذا باطل،كانوا بأرضهم فلسطين وقدموا من هناك إلى المغرب فطاب لهم المقام هناك، فسكنوا المدن و الأرياف، وسموا بالبربر لكثرة كلامهم، و اسم أبيهم مازيغ و بالتالي فهم من أعظم الشعوب في البأس والقوة. أنظر: ابن حزم ، جمهرة...، ص:495، الناصري (أحمد بن خالد السلاوي)، الإستقصاالأخبار المغرب الأقصى، تح:جعفر الناصري و محمد الناصري، ج1، د.ط، دار لكتاب، المغرب، 1954، ص: 30-31.

[4]- محمد حسن العيدوس، المرجع السابق، ص:21.

[5]- نسبة لمادغيس الأبتر وهو جد البرابرة، ولهم عدة بطون:نفوسة، أداس، ضرا، لوا، وهم بدوا. أنظر:ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص:149.

[6]- يرجعون إلى برنس بن حام، و لهم عدة بطون:كتامة، صنهاجة، عجيسة، مصمودة، أوربة، أزداجة، أوريغة، وهم بطون كثيرة وعظيمة جدا، وهم أهل مدينة. أنظر: ابن حزم، جمهرة...، ص: 495.

[7]- خليل إبراهيم السامرائي و عبد الواحد طه ذنون وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2000، ص: 80.

البربر دورا مميزا في بناء المجتمع ولهم فضل كبير في بناء حضارة الأندلس، فدخلوا في ثلاث دفعات:

– الأولى: هي التي دخلت مع الفتح واندمجت عبر الوقت في المجتمع ودخلوا مـــع طارق بن زياد.

– الثانية: كانت أيام الحاجب المنصور (الدولة العامرية) تولوا قيادة الجيش وتميزوا بالزي والشـارة[1].

–الثالثة: ارتبط وجود هذه الفئة بدخول المرابطين الأندلس، وشكلوا طبقة جديدة تدعى"بالملثمين"[2] الصحراويين خرجوا منها بفتوحاتهم حتى تسيدت هذه الطبقة الحكم و الرياسة، كمـا تولت أعـمال حكم الأمير وقيادة أركان الجيش[3]، وتمكنت من حصد أموال، وهّذا ما ظهر واضحا في صدى التطور الاجتماعي فبعدما كان البربر أقلية صاروا شعبا له مبادئه وركائزه[4]، وعرفـوا بالقوة والبأس فإذا غضبوا جرحوا لعصبيتهم نظرا لطباعهم الخشنة فهم أهل بداوة[5]، ولهذه الأسباب قيل فيهم مثلا:"**البَرْبَرِي وْ الهَارْ لاَ تْعَلمْ بَابْ الدَارْ**" ، وهو كناية أيضا على غياب الأمان فيهم[6]،وسرعان ما كرههم أهل الأندلس واعتبروهم دخلاء وكان الموقف متبادلا من الطرفين[7] بعدما قال صاحبنا:

وَأَنتمْ فَـخرُ القَبايْلْ فَـأَنتمْ خيْرُ قَبيلَـة

قَد اجْمعْتمْ فَضايْـلْ فَضيلَة لفَضـــيلَة[8]

---

[1]– عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص: 260-261.

[2]– نسبة إلى اللثام الذي كانوا يلبسونه ليلا و نهارا ولكي لا يعرف صغيرهم من شيخهم، أما سبب ذلك سأتطرق له فيما بعد.أنظر:الدهلاني (أحمد بن الزياني)، تهذيب تاريخ الدول الإسلامية بالجذوم المرضية، ط2، دار المشاريع، بيروت، 2006، ص:309 .

[3]– لسان الدين ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، د.ط، المطبعة العمومية، تونس، 1316، ص: 52-53.

[4]– حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س، ص:414.

[5]– ابن عبدون التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تح: ليفي بروفنسال، د.ط، المعهد الفرنسي للاثار الشرقية، مصر، 1955، ص:58.

[6]– الزجالي (أبي يحي عبيد الله بن أحمد القرطبي)، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، ج1، د.ط، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليم الأصلي، د.ب، د.س، ص:45.

[7]– حسن أحمد محمود، المرجع نفسه، ص:415.

[8]– ابن قزمان، المصدر السابق، ص:152.

وفي زجل آخر يفصح عن حب أهل الأندلس للمرابطين قائلا:

وَيُحبُوكَ الأنْدَلُوس و أَنَا

ربما نتجاوز أمر كرههم لهم، إلا أن الكثير منهم تقرب وتودد لهم لكسب تأييدهم كما يفعل صاحبنا في محولاته العديدة للاقتراب منهم[1].

وحاصل القول من ذكر العنصرين العربي و البربري يمكن القول أنهم:شريحة واحدة تدين بالإسلام حملت رسالة نبيلة.

3-**الموالي**:غيبت هاته الأخيرة كثير في الكتابات التاريخية فربما يرجع السبب إلى أنها فئة غير قائمة بذاتها، إلا أنها وجدت بالمنطقة أوائل الفتح مع بلج ابن بشر القشيري[2]، في124هـ/742م دخلوا طاعة بني أمية عصر الولاة و هم من المغرب،أما البقية فهم من أهل الشام و العراق، وزاد عددهم أيام الإمارة حتى اعتبروا أنفسهم عربا[3]وعموما كان حضورهم قويا حتى بلغوا مناصب مرموقة عهد بني بني أمية[4]، وجاء ذكرهم عند ابن قزمان:

ابْنَ المُغيثْ[5] يَا مَولَى المَوالِي

أَنتْ هُو ضِيائِي وأَنتْ هُو مَالِي[6]

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 146.

[2]- شجاع فارس، كان واليا على طنجة، دخل الأندلس وكان عليها عبد الملك ، وسمي أتباعه بالبلجيين. أنظر: أبي زرع الفاسي، الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، دار المنصور، المغرب، 1972، ص: 306.

[3]- محمد حسن العيدوس، المرجع السابق، ص:32،29.

[4] -Mohammed hammam, L'occident musulman et L'occident chrétien au Moyen Moyen Age, Publication de faculté des lettre, Rabat, 1995, p : 206.

[5]- من أهل قرطبة، تولى القضاء بها عرف بدينه وفضله، وهو من أهل الفقه. أنظر: ابن الزبير(أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي)، صلة الصلة، تح: شريف أبو العلا، ط1، د.د، مصر، 2008، ص: 94.

[6]- ابن قزمان، نفسه، ص:54.

ورغم أن الرجل الذي يتكلم عنه صاحبنا ليس من الموالي وإنما هو وزير، إلا انه جاء في كلامه حديث عن الموالـــي دليلا على تواجدهم في العصر المرابطي أيضا، و لو أن حضورهم كان ضعيفا، ويبدوا من خـــلال حديثة أنهم ملكوا قوة وشراسة في القتال حسب ما قاله ابن قزمان لزجل التالي:

فَـــأَنْتْ هُـوَّ سَيفِي وَأَنْتْ هُوَّ رُمحِي[1]

أما العنـصر الآخر الذي لا يقل أهمية عن سابقيه وهو عنصر هام في بناء المجتمع الأنـدلـسي.

4- المولدين: ينحدرون من أب مسلم وأم نصرانية وهم نتاج ذلك الزواج و المصاهرة بين الصنفين يسمون كذلك بالأندلسيين لأنهم نشئوا على الدين الإسلامي[2]، فتراوحت أسماهم بين الاسم العربي والاسباني[3] ومنهم من اختار الاندماج في المجتمع الاسباني والآخر من حبذ حياة الإسلام[4]، وخدم ثقافته، و كان لهم لغة خاصة بهم تداخلت مع اللغة العربية[5]، وظلت وضعيتهم متدينة لا ترقى لما وصلت له الأجناس الأخرى، لكن هدوئهم ما لبث أن تحول إلى ضجيج أواخر عصر المرابطين فشهدت البلاد بهم ثورات ضد الحكم وبقي الأمر كذلك إلى غاية سقوطهم[6].

5- أهل الذمة: وهم النصارى واليهود، وسنبدأ الحديث عن:

LES MOZORABE أ: **النصارى:** تعرف أيضا بالمعاهدين كما أطلق عليهم اسم المستعربين ظلوا بعد الفتح تحت الحكم الإسلامي[7]، تعايشوا مع المسلمين إلا أنهم كانوا يدفعون الجزية[8]، وبقوا

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 54.

[2]- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص:422.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص: 43-44.

[4]- محمد حسن العيدوس، المرجع السابق، ص:38.

[5]- المرجع نفسه، ص:32.

[6]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص:44.

[7]- أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ و حضارة ، د.ط، شباب الجامعة، مصر، 1989، ص:70.

[8]- قال تعالى:"**حَتَّى يُعطُوا الجِزيَةَ عَنْ يَدٍ وَهمْ صَاغِرونْ**"، فبناء على ما جاء في القرآن فإنها تدفع إلى دار الإسلام،ويدفعها من دعي إلى الإسلام ولم يجب الدعوة مع المحافظة على ماله وأهله و كل ممتلكاته، فالدين لم يرغم أحدا للدخول فيه لقوله تعالى:"**لَا إكْراه فِي الدِينْ**"، ثم إن الغرض منها هو إعزاز الدين وإذلال الكفر. أنظر: التوبة: 29، عبيد الله القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تح: محمد عمارة، ط1، دار الشروق، بيروت، 1989، ص: 91، 96، المائدة :256، العقباني التلمساني (أبي

في مناطقهم التي وجدت بالمعاقل المنيعة والجبال العالية[1]، ولما كانوا تحت راية الإسلام و أدّوا كل طقوسهم الدينية بحرية تامة وزادوا عليها حتى سجل المسلمين إعجابهم بهم وبمواكبهم المشـــهودة نظرا لفخامتها وتميزوا وعن المسلمين بالملبس[2]، أجادوا اللغة العربية وتذوقوا فنونها وآدابها مما جعلهـم يحظون في العديد من المرات بالمكانة الخاصة لدى الأمير.

ترَأسُهم رجل يسمى بالقومس الذي عُـــدَّ واسطة بينهم وبين الحاكم[3]، حتى دفعتم الحرية التي وجدوها إلى بناء الكنائس الفريدة في عمارتها وشكلها[4]، لكن لقوله صلى الله وعليه وسلم:" **لاَتُرفَعُ فيكُمْ يَهُودِيةً ولاَ نصْرانِيةً**"[5]، ولأنه لا تبنى كنائـــس في ديار الإسلام ولا في حريمه[6] أمر الحكام بهدمها[7] مع المحافظة و الإبقاء على الكنائس التي وجـدت عند فتح البلاد[8] كالتي وجدت بقرطبة طيلة الحكم الإسلامي[9]، وهذا يدل على مدى التسامـح الكبير الذي عرفه النصارى حتى دخل البعض منهم في الإسلام فأطلق عليهم"المسالمة"والذين بقوا على دينهم سموا"بالعجم"[10]،وجاء ذكر النصارى عند ابن قزمان:

عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد، تحفة الناظر غنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، د.ط، خزانة التراث العربي، فرنسا، 1967، ص: 192.

[1]- محمد الغساني، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير، تحر: نوري الجراح، ط1، دار السويدي ودار فارس و المؤسسة العربية، الإمارات، الأردن، بيروت، 2002، ص:14.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس نهاية...،ص:254.

[3]- أحمد فكري، المرجع السابق، ص:244-245.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة..، ج1، ص: 114.

[5]- البخاري، المصدر السابق، ص:1015 .

[6]- ابن سهل(أبي الأصبغ عيسى بن سهل)، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، مر: محمود علي مكي، د.ط، المركز العربي، مصر، د.س، ص: 77.

[7]- نفسه، ص:78.

[8]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص: 260. ابن الخطيب،الإحاطة...،ج1، ص:114 .

[9]- القزويني(زكرياء بن محمد بن محمود)، أثار البلاد و أخبار العباد، د.ط، دار صادر، بيروت، د.س، ص:552.

[10]- عصمت عبد اللطيف دندش،المرجع نفسه، ص:261.

لِلْنصَارى مُروا واحْملُوهْ وَ اليَهُودْ[1]

لكن كلامنا هاذ لا نعني به أنَّ هؤلاء غفلوا على ما اعتبروه ملكا لهم بل تحينوا الفرص للانقضاض على المدن وظلوا في حروب دائمة مع المسلمين و لا سيما في العهد المرابطي إذ يذكر ابن قزمان في حديثة عنهم:

وَالنَصَّـارَى كَـــالمِدَادْ وَنحنُ مثْـــــلَ القُطُـــونْ

كَان لِقتْلِ النَصارَى بِالمِرصَدْ وَقَعوا تَحتَ السَيفِ مِثلَ الجَرادْ[2]

ب: اليهود: أما عن تاريخ اليهود فلا يعرف زمن وجودهم بالأندلس لكن الأكيد في الأمر أنهم كانـوا منذ أيام الفتح الإسلامي للأندلس[3]؛ وعَرفوا عهدهم الذهبي و عاشوا في أحياءا خاصة بهم[4]، بهم[4]، فبرعوا في الطـب عصر الطوائف[5]؛ وواصلوا في ذلك أيام المرابطين، حتى ابن قزمان تحدث عنهم واصفا براعتهم فيه:

يَا أَبُـوا بَكْرْ، لَا غِنَّى أَن تَعـــــمَلْ مَا عَمل كُـلَّ أَحَـد

أَبِي عَرفْ يَهـوذَا بأَخْـبـارْكْ وْهوَّ طبِيبْ البَلدْ[6]

كما تعاطوا التجارة، وعرفوا الرخاء التام في عهد علي بن يوسف عكس أبيه الذي أدب مسارهـــم وأوقف نفوذهم ومنعهم المبيت مع المسلمين، وسار اليهود كغيرهم من أهل الذمة على دفع الجزيـــة[7]

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 100.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق،ص:334،277-335.

[3]- أحمد شحلان، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي التسامح الحق، ط1،دار أبي الرقراق، المغرب، 2006، ص: 16.

[4]- محمد حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د.ط، دار المعرفة الجامعية، د.ب، 1997،ص:336

[5]- ابن بلكين بن حبوس، المصدر السابق، ص:57.

[6]- ابن قزمان، نفسه ،ص: 242

الجزيـــة[1] فأتيحت لهم فرص ممارسة معتقداتهم الدينية بأريحية تامة كأداء الجنائز بصمت، وكذلـك تـبـــــادل

أطباق عيد الفطر مع المسلمين وهذا ما يعكس مدى التعايش السلمي الذي حظوا به، مع مـــنع اختلاطهم بالمسلمين في الملبس مثلا[2]، ودخل البعض منهم في الإسلام[3].

5- فئة العبيد أو الرقيق: إن المعروف عن المرابطين فهم جد متعصبين لدينهم، واعتبروا أعدائهم كفارا لذلك كثر الأسرى عندهم و ما كان بالأندلس من رق على عكس ما كان بالمغرب، فبالأندلس وجد الرق غير المسلم سبب ذلك الصدامات المتكررة و ذات النشاط الحـــــربي الجهادي الذي جمعتهم مع أعداء الدين، فوجد العبيد على أنواع: الصقالبة، الروم[4] السودانيين، والـغـز[5] ، وإنه يتبادر لذهن الباحث كيف عامل المرابطين العبيد؟ نجيب على ذلك بأن المرابطين كانوا أشداء على دينهم رُحماء بغيرهم معنى هذا أنهم لقوا معاملة طيبة و احتفظوا بهم كرأسمال لـــهم عوض قتلهم[6]، كما يعرفون أيضا بفئة الأقليات كان لهم الأثر البالغ في المجتمع، ونبدأ بالحديث عن:

أ-الصقالبة[7]: يعرفون باسم الخرص و الخصيان و الجاييب و الخلفاء وتطلق تسمية الخلفاء على

---

[1]- من الأمثال الصادرة في هذا الصدد: "**عربة البطاح تغرم الجزي لليهود**". أنظر : الزجالي، المصدر السابق، ج1، ص:387.

[2]- الونشريسي (أبوا العباس أحمد بن يحي)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس و المغرب، ج6، د.ط، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب، 1983، ص:69.

[3]- ابن دحية، المصدر السابق،ص:170.

[4]- عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب و الأندلس، ط1،مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2004، ص: 148.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش ،مباحث...، ص:45.

[6]- عبد الإله بنمليح، المرجع نفسه، ص: 136.

[7]- هم من ولد مار بن يافث بن نوح عليه السلام، وإليه ترجع كافة أخناس الصقالبة، وهذه التسمية أطلقها عليهم العرب تحريفا تحريفا لكلمة الـــسلاف ، و أول من استعملهم في الجيش هم البيزنطيين، وهم المجلوبين من أوروبا في العصور الوسطى نظرا للأحداث التي كانت تعيشها، واستعملهم المسلمون بعد الفتح في الجيش. أنظر:المسعودي (أبي الحسن بن علي)، مروج الذهب و معادن الجوهر، مر: كمال حسن مرعى، ج6، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ص:30،

Mohammed hammam ,ob cit ,p :203-204

أكابرهم أما الخرس فإنهم لا يعرفون لغة الأندلس، كما سموا بأرستقراطية العبيد[1]، أما التسمية الشائعة عنهم الفتيان[2].

وترجع أصولهم إلى البلاد الجرمانية[3]، واستعملهم المسلمون على الجيـــش والحاشية والحرس وتزايدت أعدادهم بوتيرة هائلة خدموا القصور[4]، واستفاد من خبراتهم العسكرية كثيرا إذ اعتاد اللمتونيون[5] القتال بواسطة الكر والفر[6] وهم بدورهم تفانوا في تقديم معارفهـم في هذا المجال نتيجة الحاجة الماسة للدولة لهم لتدعيم الجانب العسكري في المنطقة بحكم مجاورتهم للنصارى[7]، إلا أنهم كانوا محل استهزاء استهزاء ومسخرة لأنهم لم يجيدوا الغنـــاء ولا الرقص، وهو ما كان يحبه الرعية[8]، لكن قولنا هذا لا ننفي أنه من المجتمع من أحبهم مثال ذلك ابن قزمان[9]، فدخل بعضهم الإسلام ودافع مع المرابطين ولفظ أنفاسه وهو يقاتل في سبيل ذلك[10].

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس نهاية...، ص:258.

[2] - حَتَّى رَيت فَتى أَكحَل وَمليحْ فِي جنبي جَالسْ

أنظر: ابن قزمان، المصدر السابق، ص:111.

[3]- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1،ص:46.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس نهاية...،ص:259.

[5]- من أقوى القبائل البربرية وهي من إحدى عصبيات دولة المرابطين،خرج منها يوسف بن تاشفين ،وظلت ملازمة الدولة إلى غاية سقوطها. أنظر:

Mohammed hammam, obid, p :182.

[6]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس عصر المرابطين و الموحدين،ط1،كلية دار العلوم، مصر، ص: 323.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:48.

[8]- عن الاستهزاء بهم: "**لَمَنَى الفِتيَانْ:عَشرة يْقفَز ووَاحْد يْستَمعْ**". أنظر: الزجالي، ج1، المصدر السابق، ص: 215.

[9]- ابن قزمان، نفسه، ص:290.

[10]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص: 48.

ب– السودانيون: لم تذكر الكتابات عنهم الكثير إلا بذكر أنه كان لهم دور كبير الجانب العسكري وعملوا كحرس للأمير يوسف بن تاشفين[1]، وإنه من الطبيعي أن يكون لهم حضور بالمنطقة نظرا لتواجدهم بالمغرب الأقصى[2] القريب من السودان الغربي، أين ازدهرت تجارة العبيد السود وأظهروا الصبر وقوة التحمل[3].

وهو ما أهلهم للانتقال لبلاد الأندلس فامتلأت القصور بهم[4].

ج– الغز: هم من الجنس التركي[5]، أجادوا القتال بواسطة النبال و التفنن في الرمي بالأقواس[6] لكن لكن في الجانب الاجتماعي غاب حضورهم فلم يتركوا بصمة لوجودهم تمكن لهم الذِكْر[7].

خلاصة القول تفي بأن هذه الفئة عامة استعملت في الحروب وأُدمجوا في المؤسسات العسكرية والإدارية، كما أسندت لهم العديد من المهام داخل القصر[8] وخارجه، ومع ذلك هم جد كسالى وغير وغير جادين في أعمالهم وقيل عنهم" **يَأْكُل العَبدْ فَارهًا ويَعمَل كَارهًا**"[9]، بالإضافة أنهم أداة في

---

[1]– حسن علي حسن، المرجع نفسه، ص: 323.

[2]– فيه من المدن الكثيرة و من الأقطار الواسعة،وبها من العمائر المتصلة، وقاعدته فاس، ومن مدنه سجلماسة. أنظر: مجهول، الإستبصار...، ص:279.

[3]– عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين و الموحدين، تح:حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1997، ص:337–338.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:48–49.

[5]– كان لهم سيطرة على بلاد المشرق واهم من البلاد الواسعة، والغز من قبائل الترك يدينون بالنصرانية. أنظر: ابن الفقيه(أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني)، نصوص لم تحقق من كتاب البلدان (السواد، الأهواز،الترك)، تح: ضيف الله يحي الزهراني و مريزن سعيد عسيري، د.ط، جامعة أم القرى، السعودية، 1997، ص:116–117.

[6]– أبو بكر الزهري، المصدر السابق، ص:60–61.

[7]–إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص:52–53.

[8]– فَـــالذي ا قبلوا علينا عَبيدْ
وَالذي ولَـــــوْا علينا حُـــدَّهْ

أنظر: ابن قزمان، المصدر السابق، ص:59–60

[9]– الأبشيهي(شهاب الدين محمد المحلي)، المستظرف في كل فن مستظرف، ج1، ط الأخيرة، دار إحياء التراث العربي، د.د، د.س، ص: 86.

في أيدي ملاكهم بالأعمال التي تعطى لهم[1]، وكان الناس يشترون العبيد لأن تجارتهم كانت جد رائجة: **تبْنِي الدَّوْ وتَشتَري العَبِيدْ**[2]

وهو ما يجعل العبد يقوم بتعجيل انعتاقه ليعيش كفرد له حقوق وواجبات[3]، ولأنه لا يسمح له بالزواج إلا في حالة ما إذا حرر، وبسبب ذلك كثرت الزنا[4] في أواسطهم[5]، ومثلما كان لهم أدوار إيجابية كذلك كان لهم أدوار سلبية تمثلت في السرقة وشرب الخمر و القذف[6]، كما شاع فيهم عدة عيوب كالبرص، العمى، القمل، الحدب وبذلك شكلوا نوع من لا استقرار و لا أمن[7]، حتى قيل قيل عنهم:" **أَسْوَدْ عَلى أَسوَدْ هَوْ أَن لاَ يَرفَدْ**" فهم مزيج بين الرقيق الأبيض والأسود[8]. ومما يأخذ عنهم كتجاوزات خطيرة أنهم لبسوا اللثام تقليداً بالمرابطين رغم أنهم منعوا من ذلك[9]، كما عرف العبيد بالجشع إذ ظلت طلباتهم في تزايد مستمر والمثل التالي يبن ذلك " **أَعْطِي العَبدَ خِرقَــا يَـطلُـب كُراعًا** "[10]؛ خاصة إذا أُحسن له يزيد تمرده وإذا أسأت له ذل و خضع[11]، لذا يبقى العبيد من أهم الفئات التي لعبت أدوار هامة في المجتمع.

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس نهاية...،ص:260.

[2]- ابن قزمان، نفسه، ص:289.

[3]- عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص:443.

[4]- للإطلاع أكثر على آفة الزنا أنظر: عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص:334.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ط1، رؤية للنشر، د.ب، ص:298-300.

[6]- عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص:336-338.

[7]- الونشريسي، المعيار...، ج3، ص:48-49.

[8]- الزجالي ، المصدر السابق، ج2، ص:218.

[9]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:28.

[10]- ابن سهل العسكري(أبي الهلال حسن بن عبد الله)، جمهرة الأمثال، ظب: أحمد عبد السلام، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988، ص:14.

[11]- ومن الأمثال التي ضربت عن جشعهم أيضا"**الحُرْ حُر وَإِنْ مَسَه الضُر و العَبدْ عَبدْ و إِنْ أَلْبِسْتَه الدُّرْ**". أنظر: الأبشهي، المصدر السابق، ص:86-87.

أما الفئة الأخرى التي لها دور كبير يتحدث عن نفسه والذي تعمدت أن أضعه كفئة مستلقة بذاتها:

4-المرأة: أثبت وجودها في مختلف مجالات الحياة ولاسيما في دورها البارز في المجتمع فيصفها ابن الخطيب المرأة بأنها: "حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسم، واسترسال الشعور ونقاء الثغور وخفة الحركة ونبل الكلام وحسن المحاورة ..."[1] كما نالت حظا وفيرا في أزجال صاحبنا فقال أنها جد أنيقة و جميلة فصورها في أبهى حلة لزينتها:

رقْبةً شَطَّة بِيضْ مِثْـلَ القُطُـونْ
عَـيـنا أكْحلْ ، وَحَاجِباً مَقـرُون

وفي أزجال متفرقة يقول عن بهائها و يصف شعرها:

وَفِـــي خَدَّيها ورْدَة كَالحَـيَا

وَسَـــوالِفه تَرى شُعاعْ الضَـيَا

وَ ضُـرَيـسَات كَأنهَا الكَّافُورْ

وَ شُـفيفَاتْ كَأنَهَا الزَهْـرُوْرْ[2]

كما مدحها في الكثير من أزجاله وسجل شدة إعجابه بها و بجمالها فشبهها بالغزال، والأمثلة من الديوان حول المرأة جد متعددة لأن ابن قزمان كان جد معجب بهن و عشـــق الخروج معهن فقال:

سُـبْحانَّ اللهْ أَش، هَذا الجَمَالْ؟
يسْحـرْ العَـــالَم بِـــعينَين غَـــزالْ
وحَـواجِـــبَ عُـرفَت بِاعْـتِـــدالْ[1]

بِاعْـــتِـــدالْ[1]

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة...،ج1 ،ص:139.
[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:280-281.

أما عن درجة تصنيفها فتختلف حسب التفاوت لها فئة درجة تواجدها بالمجتمع فوجـدت :

أ- نساء الخاصة: حظيت هذه الأخيرة بالوصف الجميل عن غيرها من النساء، وبالكلام المستفيض كونها تخص بنسوة الأمراء و الأعيان والخلفاء أي كبار للدولة[2] ، يدعون بالأميرات لأنهن من أسرة بني تاشفين[3] ، وهن من البربريات في غالبهن فكن أحسن الزوجات على الطاعة و الحـكـــمـــة[4].

عاشت في القصر معززة مكرمة، وفي منأى عما يحدث خارج أسوار القصر نظـــرا لمكانتها وثرائها الفاحش[5]، كما لعبت دورا حساسا بالتدخل في الشؤون السياسية[6]، وشاركـت أيضا في مجالس العلم و الأدب و الشعر[7]، والمثال على هذا ما حدث أيام الطوائف واستمر مع المرابطين، فلا يكتمل الحديث إلا بذكر ولادة[8] التي كانت مشهورة كثيرا بالأندلس وكان لها ثقلا كبيرا في المجتمع[9]، وكذلك حفصة[10] التي كان لها دور كبير في المجتمع[11]، أيضا نساء المرابطين لها حضور في القيام

---

[1]- نفسه، ص:361، 382، 404.

[2]- سناء الشعيري، المرأة في الأندلس ،ط1، مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، المغرب، 2009 ، ص:77.

[3]- محمد حسن العيدوس، المرجع السابق، ص: 145.

[4]- السقطي (أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي)، في أداب الحسبة، تح:ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، د.ط، د.د، فرنسا، د.س، ص:50.

[5]- سناء الشعيري، المرجع السابق، ص:37.

[6]- نفسه، ص:39.

[7]- محمد حسن العيدوس، المرجع السابق، ص:145.

[8]بنت المستكفي بالله، وهي أديبة وشاعرة ،جزلة القول ودائمة الاختلاط بالشعراء و الأدباء ولها من البراعة التي لا يصلها فيها أحد، مجلسها بقرطبة برعت في النظم والنثر حتى قيل عنها"فلها من ذكاء خاطرها و حرارة نوادرها، فهي أية من ، آيات فاطرها".ابن بشكوال، المصدر السابق، ص: 326-327.

[9]- ابن دحية، المصدر السابق، ص:22-23. أيضا :سناء الشعيري، المرجع نفسه،ص:95

[10]- كاتبة نبيلة، جيدة الشعر سريعة الفهم، عملت أستاذة في تعليم النساء. أنظر: ابن الزبير، المصدر السابق، ص: 459.

[11]- سناء الشعيري، المرجع السابق، ص: 91.

بالأعمال الخيرية بالتصدق على الفقراء و اليتامى، وقامت زوجة الأمير سير بعد وفاته بخطوة جريئة تمثلت في عتق عدد هائل من الرقيق[1]، ولحركتها الكثيرة حظيت بحب الرجل لها إذ قال ابن قزمان:

مَا أَحْمَقَ العَاشِقْ المِسْكِين مَا أَجهَلَه[2]

كما أن بنات الطبقة الخاصة يحظون بالدلال والعناية الفائقة أكثر من الولد لأن البنت في نظر المرابطين هي التي ستحمل الموروث الدموي للعائلة فمن المهم أن تحافظ على شرفها، ولا يتم ذلك إلا بحسن التربية من الأم فحظيت هذه الأخيرة بالتقدير، ومنحت حرية التصرف والملفت في هذا العصر أن الأمراء و الولاة والقادة عرفوا بأسماء أمهاتهم، مما يدل على المكانة التي حظيت بها وبقيت هذه السمة حتى دخول المرابطين[3].

ب– الجواري: كانوا على أنواع فـ:" الخادم البربرية للذة،و الرومية لحيطة المال والخزانة والتركية والزنجية للرضاع، والمكية للغناء و المدينة للشكل ، والعراقية للطرب و الانكسار...والزنج والأرمن للكد و الخدمة ومعها العطاء والترك و الصقالبة للحرب والشجاعة"[4]، والمعنى مـــن هذا أن درجات الجواري كانت متفاوتة والتي سنقسمهن إلى قسمين:

1– جواري اللذة: تمتعت بمكانة لا بأس بها نوعا ما عن الصنف الأخير فتسلحت بالأدب واعتنت به[5] ورافقت سيدها إذ استفادت كثيرا من مرافقتها لأصحاب العلم برسم مسار لحياتها[6]، فكثيرا من الجواري من أجدن كتابة الشعر ونظمه[7]؛ كما عملت مربية لأولاد الأمراء والتدبر في شؤونهم[1]، وهو

---

[1]– إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين المجتمع الذهنيات الأولياء، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1993، ص:44

[2]– ابن قزمان، المصدر السابق، ص:239.

[3]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص: 50.

[4]– السقطي، المصدر السابق، ص:49-50.

[5]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص: 50.

[6]– نفسه، ص: 51.

[7]– السمرقندي (يحي)، رسالة في نوادر العلماء المسلمين في الأندلس، رقم المخطوط: 2232، ص: 1 أظهر.

مكن لهم لاهتمام في القصر وجعلت الأمير شغوفا بجلب المزيد منهن[2]، حتى أن الكثير أصبحن من محضياته فشغف بجمالها ورقة جسمها[3] ولجمالها وحسن كلامها[4] ، فيذكر أن أحدهم أحب جارية اسمها وداد فقال عنها:

اشْرَبْ الكَأس فِي وِدَادْ وِدَادَكْ وتَأنسْ بِذِكْرِهَا فِي إنْفِرادَكْ[5]

وفي بعض الأحيان كانت تطلب يد الجارية من سيدها فيعتقها ويتزوجها[6]، ونلاحظ أنها ميزة وجدت

ذكر لنا هذا بدليل ذكره لأسماء البعض منهن فيقول:

أيام ملوك الطوائف واستمرت مع المرابطين بهيامهم بحب هذا الصنف من الجواري، إذ أن ابن قزمان

يَرَوءا قُطُوعً قَلبِي مَرْيَمْ وَأَلِيفْ

الوَحْدَ مِن سُكَر وَالأُخْرَى قَرفَة

وأيضا:

زَهرْ مَريَم عَيشَة [7]

كما أن البعض من شدة هيامه بالجارية فكفَّ عن أشغاله وأهملها بسبب إرضائها والأخر من ترك عمله باللحاق بها وبعدها عاد معتذرا لإتمام عمله[1]، وهناك من عشقها عشقا أسودا فتخلى

[1]- عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص:457،455، 376.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص:51.

[3]- ابن دحية ، المصدر السابق، ص:127.

[4]_ السمرقندي، نفسه، ص: 2أوجه.

[5]- ابن دحية ،المصدر نفسه ،ص:30.

[6]- ابن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة و الألاف رسالة في أوصاف الحب،ومعانيه، وأسبابه، وأعراضه، مر: ياسين الأيوبي، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 2010، ص:103.

[7]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 71، 422.

عـــلى كل أهله وإخوانه وما يملك من أجلها[2]، وفي صور أخرى من أحبها للتسلية دون ذلك[3]، وللإشارة عن الجواري كانوا متمكنات من كافة الأعمال التي تسند لهن و على إختلاف سنهن[4]، وهي الأخرى إذا عشقت أحدهم فصعب عليها مفارقتها له، ففي قصة تذكر أنها ماتت بسبب بغض سيدها لها لأمور كرهها فيها[5].

2- جواري العامة: انحصر عمل جواري هذا الصنف في أداء الأعمال المنزلية[6]،و هن من السوداوات كانت أداة في يد صاحب القصر أو المكان الذي توجد به، ،نظرا للعمل الشاق المنسوب لها في خدمة البيت مـن العجين والطبخ والكنس وعمل السرير واستقاء الماء وغيرها من الأعمال كـــمـــا تدعى بالخـادمة[7]، وجاء ذكرها عند صاحبنا:

وَالَذِي وَلَـــوْا عَلَينَا خُـــدَّمْ[8]

و في بعض الأحيان لقيت الشفقة من سيدها فنذكر حادثة أن الخادمة لقيت استحسانا من مالكها أنها ذهبت لاستقاء الماء فتعبت وسط الطريق فنامت ووجدها على تلك الحال فوضع سراويله تحـــت رأسها وأخذ الوعاء وسقى لها وعندما قامت من نومها شكرت له ذلك[9]، لكن جعلها في العديـد

[1]- ابن حزم، طوق الحمامة...، ص:96-97.
[2]- نفسه، ص:182-183.
[3]- ابن دحية، المصدر السابق،ص:131.
[4]- ابن حزم، المصدر نفسه، ص: 189.
[5]- نفسه، ص: 199.
[6]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص: 43.
[7]- ابن دحية، المصدر نفسه، ص:67.
[8]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:59.
[9]- عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص:392.

من المرات تلوذ بالفرار[1]، لأنها في أغلب الأحيان ما كانت تكلَفُ فوق طاقتها، وكثيرا ما يحكم عليها عليها فتُأدَب[2].

كما عرف عن المرأة أمورا سلبية أساءت إلى سمعتها كالكذب والغدر والخيانة[3]، وقال عنها ابن قزمان قزمان أنها قليلة الوفاء لرجل أو حبيب واحد:

خُـلِقْ مَعْشُوقَـكْ وَيَصحـب سِـوَاكْ

وَيـنفر عَنْك أَنْ وَيمضِـي لِذاكْ[4].

وبالتالي نقول أن المجتمع الأندلسي امتزجت فيه العديد من العناصر المختلفة الأسماء و الأعراق، عاشوا تحت حكم المرابطين، وكل عنصر له ما يميزه عن غيره، وكل ترك بصمته الخاصة في هاذ المجتمع بطرق ووسائل مختلفة، إلا أنهم لم ينصهروا في بوتقة واحدة وعاشوا في طبقات متمايزة، وهو ما سنعرفه في المبحث الآتي.

المبحث الثاني: عناصر المجتمع.

يضم المجتمع الأندلسي عدة عناصر متفاوتة ماديا ومختلفة عرقيا، وذلك بسبب الفئات المكونة له كما رأينا مسبقا، فوجدت ثلاث عناصر أو طبقات وسنتطرق إليهم واحدة تلوى الأخرى.

[1]- ابن دحية، المصدر السابق ، ص:68.

[2]- عبد الإله بنمليح، المرجع نفسه، ص:380، 393.

[3]- ابن قزمان، نفسه، ص: 209،241،422.

[4]- نفسه، ص: 129،121-130.

1- الطبقة الارستقراطية أو الخاصة: تضم كل من الأمراء والقواد والفقهاء والقضاة والوزراء والكتاب[1]، وكذا فئة الشعراء إلا أن هذه الأخيرة تختلف الكتابات في تصنيفها بين الطبقة المتوسطة وها الطبقة وبعد أن درست الموضوع ارتأيت أن أضعها ضمن الخاصة.

أ- الأمراء والقواد: هم من طبقة الملثمين فطبيعي أن يكونوا ضمن فئة الارستقراطية الحاكمة المسيطرة صاحبه الريادة في الأندلس واتخذوا من اللثام ما يميزهم عن باقي شرائح هذه الطبقة، وتمتعوا بالنفوذ والسلطة والمال[2]، وبخاصة الجيل الثاني من المرابطين لأننا كما نعلم أنها دولة مرت بفترتين متباينتين في الحكم، فالجيل الأول هم أتباع يوسف بن تاشفين الذين ظلوا متمسكين بورعهم وزهدهم بعيد بن عن حب والدنيا وملذاتها أي أن لهم عصبية تجاه الدين ونيتهم صالحة لم تفسدها مباهج الحضارة الأندلسية[3]،عكس الجيل الثاني أصحاب علي بن يوسف[4] الذين انفتحوا على أبهة الحضارة الجديدة وانغمسوا في ملذات الدنيا وهنا وقع الاختلاف بين الجيلين.

فَهَمَّ الأمراء إلي بناء القصور وتشييدها وتفنن المهندسون في ذلك، وجلبوا لأبنائهم المؤَدبين داخل القصر دليل على الثراء والترف الفاحش الذي تمتعوا به، كما اكتظت قصورهم بالعبيد والحشم[5]، فطبيعي أن يحظوا بالاحترام والتقدير والمثال مأخوذ من عند ابن قزمان وأبرز الممدوحين هم أمراء المرابطين:

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:267.

[2]- محمد حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص:326.

[3]- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد الله زمامة، د.ط، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979، ص:82.

[4]-حكم بعد أبيه، رتب أحوال الأندلس، غلب النصارى في عدة معارك، أجاز البحر أربعة مرات، واصل الفتوح في مدينة طلبيرة وقلمرية، وفي المرة الأخيرة رتب أحوال قرطبة، وترك ولاية العهد لابنه تاشفين، توفي في 533هـ/1139م. أنظر، ابن الخطيب، تاريخ إسبانية...، ، ص:247.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش،مباحث...، ص:131-134.

مَثَلُ ابْنْ تَاشْفِينْ يُقَالُ أَمِيرْ[1]

وأيضا: يْسعِدَكْ، يَا رَئِيسْ، تَقومْ أَنْفَاسْ الإِسْلاَمْ

أَدامَّ اللّ ذَا الأَيَامْ[2].

و ما يلفت النظر في شخصية الأمراء وهو ما يجعل الكل يمتدحهم حسب ابن قزمان هو رجولتهم وشهامتهم لأنهم أفنوا حياتهم في الجهاد فيقول:

جُنْدَكْ يَاابْنَ رُذَمِيرْ مَرو خَسَارَة

وَاللهْ لَقَد عَلَق عَلَى النَصَّارة

مِن تاشْفِين تْطْمَع يْظْفر بِطَاعَة

مما يتضح لنا أن ابن قزمان كانت له علاقة طيبة مع أمراء المرابطين[3]، كما كان للأمير صلاحيات فيتدخل في كافه الأمور فهو الآمر الناهي، و هذا ما يظهر لنا من خلال إعطاء ولاية العهد من يوسف لابنه[4]، ليجعل الخلافة وراثية كما أوردها ابن قزمان:

مَثَلُ ابن تَاشْفِينْ يُقَالُ أَمِير،

وَالخِلاَفَة مِنْ بَعدُ تَّادتْ تَصِيرْ[5].

ولما لهذه الطبقة من سلطة وافقت على الأمر دون تردد(سنعالج الموضوع أكثر عند الحديث عن الفقهاء[1].

[1]- ابن قزمان،المصدر السابق، ص:142.

[2]- يقصد الأمير ابن سير المترجم له سابقا. نفسه ، ص:151

[3]- نفسه، ص: 156، 171.

[4]- مجهول، الحلل...، ، ص:84.

[5]- ابن قزمان، نفسه، ص:142.

كما كان للأمراء والقادة جوانب إيجابية كان لهم أيضا أدوارا سلبية من خلال مشاركتهم في مجالس الأنس والطرب[2]، ودليل هذا من عند صاحبنا:

مَوكِبُ الوَرْدِ أقبَلْ قَد رَفَع أعْلاَمه
مَرْحَبَا بِالسُلطانْ أدَام اللهُ أيَامَه
مَسْكٌ هِي ذِي الأرْوَاحِ التِي قُدامَه
يَاسُكَارى شُمُوه ثُفتَحُوا عَينيكُم[3]

ورغم هذا إلا أن مقامه يبقى كما هو فلا يتعدى أحد معه حدوده"**السُلطانْ مَنْ لاَ يَعرِفه سُلطَانْ**"[4]، كما أن القواد شكلوا اليد اليمنى للأمير، وظلوا ملازمين له كارتباط الجانب السياسي والعسكري الذي أشرنا له في مدخل الموضوع، ولأن الدولة تحتاج في وجودها إلى قوة السيف في أولها وآخرها، حتى أهداهم إقطاعات وأراضي وأقاموا في الدور الضخمة[5]، ومثلوا أجهزة الدولة ودعامتها الأولى واختاروا الموت على الانهزام فطبيعي أن يضعهم الأمير في أكتافه ويغدق عليهم المال[6]، وميز القواد بالخصوصية في كل أمورها كاللباس مثلا[7]، ومن بين ما يتعرضون له تنحيتهم هو من قبل الأمير[8].

[1]- محمد حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص:253-254.
[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:134.
[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:421.
[4]- الزجالي، المصدر السابق، ج1، ص:224.
[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص:135-136.
[6]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص:418-420.
[7]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص:257.
[8]- ابن زرع الفاسي، المصدر السابق، ص:158.

ب– الفقهاء: ما نعرفه عن دولة المرابطين أنها قامت على أساس ديني تزعمه عبد الله بن ياسين[1]، ولذلك[2] ظلت محتفظة بطابعها طيلة فترة وجودها[3] ولذلك ظلت في استشارة دائمة لهم، فمثلا أن يوسف بن تاشفين ظل بين قبول دعوة ملوك الطوائف ورفضها حتى قضت فتواهم[4]بوجوب الجهاد[5]، الجهاد[5]، ولما وصل الأندلس استقبله فقهائها ورؤسائها[6]، وظل يأخذ برأيهم ويقضي بفتواهم[7]، فلم فلم يقطع أمرا دونهم[8]، وهو ما فعله قبل أن يمنح ولاية العهد لإبنه وبعد موافقتهم تم ذلك[9]، كما أبدى الأمراء حبهم و إهتمامهم بهم[10]، فحازوا على ثروات إقطاعية و عقارية فتصدروا الهرم الاجتماعي وعاشوا حياة البذخ و الترف،فسكنوا القصور وملكوا العبيد و المماليك[11]، امتدحهم الشعراء، إلا أن هذا المدح أقل ما يذكر عنهم، سبب هذا كثرة تعاطيهم للرشاوى[12]، بالإضافة إلى الرياء و النفاق و أكل مال اليتامى والحسد و الشذوذ الجنسي والمجون فتكالبوا على ملذات الدنيا

[1]– فقيه ومجاهد ومرابط ورع، مهدي المرابطين أول من قاد الدعوة الإصلاحية في القبائل التي خرجت عن الإسلام، فشدد عليهم في ترك المنكرات، وهو أول من دعي إلى الجهاد. أنظر: أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص:121.

[2]– عبد الجليل ملاخ، قبائل الملثمين الصحراويين ودورها في التمهيد لقيام دولة المرابطين، مجلة الواحات و الدراسات،ع15، د.س، ص:29.

[3]– عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص:411.

[4]– الفتيا أو الفتوى وهو ما أفتى به الفقيه ، ونقول أفتاه في الأمر أي أبانه له بإظهار الحكم الشرعي بالاستناد على القرآن والسنة والسنة والقياس والإجماع ،والمفتي هو كالمترجم عن الله سبحانه وتعالى.أنظر: اللورقي (أحمد بن سعيد بن بشتغير)، نوازل اللورقي، تح: قطب الريسوني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2008، ص:17-19.

[5]– لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ المغرب الوسيط جزء من أعلام الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، د.ط، دار الكتاب، المغرب، 1964، ص:251. أيضا: Ernest Mercier ,Ob cit ,p :48

[6]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص:48.

[7]– مجهول، الحلل...، ص: 82.

[8]– عبد الواحد المراكشي، المعجب...، ص:31.

[9]– ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني)، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص:99. أيضا: أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص:156.

[10]– أبي زرع الفاسي، نفسه، ص:137.

[11]– أنور محمود زناتي، دور الفقهاء في الحياة الإجتماعية خلال عهد المرابطين، مجلة كان التاريخية، ع: 25، 2008، ص:16-17.

[12]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص: 145-146.

حتى سموا بتجار الدين و بخاصة في الفترة الثانية من الحكم[1]، ومن بين الأمثال التي قيلت عنهم:"**خَافِ اللّٰه واتَقِيْه ولاَ تْعَامِل فَقِيه**"[2]، وبهذا كانوا بعيدين عن الدين إلا القلة القليلة منهم ورغم ذلك كانت لهم سلطة كبيرة في دولة المرابطين[3]، وهو ما جعل الرعية تنفر منهم ولا تتعامل معهم، فعوض أن يكونوا قدوة لمجتمعهم وصورة حسنة عن دينهم، وأصبحوا يتدخلون في كافة الأمور، وهذا حسب ابن قزمان:

أَسْمَعْ أَشْ قَال الفِقِيِ :تُوبِهْ إِنْ ذَا فُضُولِي أَحمَقْ

ويعتبر أن ظاهرهم ليس كباطنهم، وأن الرعية لا تحبهم ولا ترضى حتى الالتقاء بهم:

وَإِنْ رَيتْ فَقِيه نَقُوهْ وْنْهْرُبْ

كما استهزأ بهم صاحبنا ويرى بأن مزاجهم في تقلب مستمر:

تَّراهُ أَمسْ دِيكْ وْاليُومْ قُبَاعة

والمراد من هذا الزجل أن ما صار عليه الفقهاء هو بمثابة الانحطاط، فعوض أن تعلوهم قلانس حمراء فوق رؤوسهم أصبحت تتصدرهم حمرة في خدودهم من كثرة الشرب[4].

ثم إن الفقهاء هم من أمر بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي[5] سنة503 هـ /1110م ، لأن محتواه ليس في صالحهم فيفضح مدى استغلالهم للدين لتحقيق مبتغاهم، وإلا لم

---

[1]- محمد حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص: 328-329.

[2]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص:230.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب...، ص: 131.

[4]- نفسه، ص: 431، 108..

[5]- ولد في 450هـ/1058م، له في الفقه وعلم الكلام، كما أنه مصلح اجتماعي وصوفي، كرم من قبل الأمراء و الوزراء في بغداد، له عدد كبير من المصنفات أهمها إحياء علوم الدين وهو أعجوبة الزمان، وقبل وفاته كتب المنقذ من الضلال، توفي505هـ/1112م. أنظر: إبن قنفذ القسنطيني(أبي العباس أحمد بن الحسن بن علي بن علي بن الخطيب)، الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4، دار الأوقاف الجديدة، بيروت، 1983، ص:266، الذهبي (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحق بن أحمد

يكن السبب وجيها فلماذا كان الغزالي أحد المؤيدين بفتواه بعبور يوسف بن تاشفين للأندلس وقتاله للنصارى؟ ومنه يظهر لنا أن الفقهاء لم يجدوا ما يخدم مصالحهم فيه[1]، وآثروا على الأمير برأيهم لحرقه بداعي نبذ وتحريم علم الكلام واعتبروه من البدع المستحدثة في الدين[2].

ومن بين ما تعسفوا به على الرعية هو الضرائب الباهظة، إذ أثقلوا كاهلهم بها وبخاصة أيام المحن والأزمات الاقتصادية، وهو ما ذكره زجالنا في الديوان:

يَا فِـقِيْ، القَمْحْ غَالِيْ وَالدَقِيقْ أَغْلَى وْ أَغْلَى

وْالبَطْنْ كَمَا فِي عِلْمَكْ بِلَا خُـبـز لَّس يخـلَى[3]

و من خلال ما ذكرناه يمكن للباحث أن يتساءل على ردة فعل الأمير حيال جبروت الفقهاء؟فنجيب أن الأمير لم تكن له الطاقة الكافية ليس من الجانب المالي أو ما شابه ذلك بل لنفوذهم القوي وكذا خوفا من اتهامه بالفساد والخروج عن الدين و الشرع ولهذا السبب تفادى الصدام معهم، كما أنهم القوة الروحية التي قامت عليها الدولة[4]، وبالتالي أمر طبيعي أن يبلغوا مرتبة عليا حتى إتخذوا لأنفسهم ألقابا[5]، ومع ذلك من الفقهاء المعدودين من ظلوا السند الداعم للمجتمع[6].

بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، ج6، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1989، ص: 18، 20-21.

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج4، ص:250.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص: 412.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:221-222.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص:274.

[5]- عبد الواحد المراكشي، المعجب...، ص:131.

[6]- أنور محمد الزناتي، المرجع السابق، ص:16.

ج- القضاة: مما لا شك فيه أن القضاء في القرن5هـ/11م، من أهم الخطط في الأندلس التي أوْلَوْهَا أهمية كبرى، ولا ينال القضاء إلا من توفرت فيه الشروط كالرجل البالغ و العادل و الصادق والعلم بكتاب الله، ويتم تعيين القضاة من قبل الأمير بعبارة"إني قد وليتك وقلدتك" لتكون أكثر مصداقية[1]،

ومنهم من تولى القضاء أبا عن جد كعائلة ابن حمدين[2] ويقول عنها ابن قزمان:

السَلَفْ مَـــرْدُود وْالعَـاري تْرجَعْ

ولإبْـــــنْ حَمدِين لْقرطُبه نْقتَطعْ

وأيضا: شَّرفاً مَوروثْ عَنْ وَالِدٍ و عَنْ جـدْ[3]

و مع ذلك هناك من ابتعد عن منصب القضاء فلا أحد يطمع فيه لحساسيته، كما يقول صاحبنا:

وْلـدَهْ يْكـونْ مَكانَـهْ لَس لأَحَدْ فِي الخُطَّ مَطمَع

هَذا هُوَ واللهِ مُرادِي ومُـراد العَـالـم أجْمَـعْ[4]

لأن الحاكم أوردهم أحكام البلاد[5]، ولأنه لا شرف في الدنيا بعد الخلافة إلا القضاء[1].

وهم الأخريين الذين أُغدق عليهم بالأموال و العطايا للمكانة التي احتلوها[2]، أعطاهم

---

[1]- الماوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب)، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، تح:أحمد مبارك البغدادي، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص:88-92.

[2]- عائلة كبيرة ومشهورة بالأندلس، ذات علم وأدب ودين وفضل وجلالة، تولى أبنائها القضاء، ومن الأفراد الذين ذكرهم ابن قزمان أبو جعفر ابن حمدين، تولى القضاء وبعد وفاته بقيت قرطبة دون قاضي أشهرا طويلة، وكذلك أبو القاسم كان قاضي الجماعة بقرطبة، وشهد له الناس على صدقة في الأحكام فلم يظلم أحدا، توفي في521هـ/1127م. أنظر: النباهي الأندلسي (أبي الحسن)، تاريخ قضاة الأندلس أو المرتبة العليا لمن استحق القضاء و الفتيا، شر: مريم طويل قاسم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص:135، ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص: 243.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:47،50.

[4]- نفسه، ص:223-324.

[5]- ابن زرع الفاسي، المصدر السابق، ص:157.

أعطاهم الأمير حكما نافذا لا يرد[3]، كما أنهم لم يجدوا صعوبة في تأدية عملهم سبب ذلك حب الرعية لهم كونهم من الأندلسيين[4] ويقول صاحبنا:

اعْمَلوا لِلـقَاضِي مِنْ مَـخادِدْ كُرسِـي

فَبرُورُه وَاجِـبْ مِنْ يَكونْ مِن جِنسِـي

وبالتالي فإن كلمتهم مسموعة بين الناس وكسبوا محبتهم[5]، ولذلك يجب أن يكون محقا فيحكمه، ومن بين ما منع على القضاة هو انبساطهم مع الفقهاء أو غيرهم لكي لا تنقص هيبته بين العام والخاص، ومما يصاغ إليه أن يجلس يوميا مع فقيهين ليتشاور معهم في عدة من الأمور[6]، وكان لا يقوم بأية تجاوزات ، ولهاته الأسباب حظي القضاة بمدح الشعراء لهم لاسيما ابن قزمان الذي كثيرا ما تردد في الديوان أسمائهم ونالوا الحظ الأوفر عنده نتيجة أن القضاة بدورهم قربوا الرعية منهم،من بين ما جاء ذكرهم القاضي ابن الحاج[7]، فيقول أنه سار على السنة والقرآن، وأنصف المظلوم وأعطى حق الفقير فساوى بينه و بين الغني؛ وبالتالي فاستقام أمر الأندلس على يده لأنه اشتمل على الورع والعلم إذ يقول عن خصاله الحميدة:

ظَـهَـرَتْ سُنَّة مَحَـمَـدْ وَانـصَـقَـل مِـرَا الإسْـلاَمْ

---

[1]- النباهي ، نفسه، ص:17.

[2]- المقري، نفح الطيب...،ج1، ص:217.

[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص:414-415.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص:416.

[5]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:146

[6]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:7-10.

[7]- هو محمد ابن أحمد بن خلف ابن إبراهيم التجيبي المعروف بابن الحاج، كان قاضي الجماعة بقرطبة، له في الفقه واللغة و الأدب، جلس لمظالم الناس وسمع لهم، كان لينا طيبا حليما جزلا، لم يحفظ له التاريخ ظلمه لأحد، حكم بالعدل دون ميل لطرف، بقي على قضائها لغاية وفاته إذ قتل على أيدي بعض الناس ظلما في 529هـ/1132م. أنظر: النباهي، المصدر السابق، ص:134.

رَّجع ابن الحَّاج قّـــاَضي فَـأدامَ اللهُ ذَا الأيَّـــــام

وَّصـــلَ المَظلومَ حـــقـهْ وَانْـــصـفهْ غـنـي وَمسكِينْ[1]

كما لجأ الرعية في كامل أمورهم إلى حكم القاضي وعن هذا قيل مثل"**افْتِنا يا قَاضِي يْرْحَمكَ اللهْ**"، ولا يدل على شيء إلا لعدله[2].

كما نال القاضي ابن حمدين[3] الـقســط الوافر مـــن أزجال بن قزمان، وأفرده ببعض الصفات و اعتبره عدة الجليس وأُنس المسافر:

قَالْ لي مَن يَعملْ مَعْك ذِي النـَوادِر؟

قُلتْ:"ابْنْ حَمدِينْ وَحيـدْ الـــمَفانِـــر

عُدَّة المَاضرْ و أُنسَ الـمُســـــــافـــرْ

الـذِي يْكسْبْ فَضايل وَ يْـــــبْمـــعْ[4]

وفي بعض المقاطع الأخرى ذكر اسمه وناجاه بالنظر في حاله بحيث قال:

يَـــا أبُو القَّاسمْ يا طَوَّد المَعَالِـي

يَا عِمادَ الدِينْ يا مَولَى المَوالِـي

جِيتْ إلِيْكْ قَاصِداً أن تَنظر لِحالِيْ[5]

ولم ينس فضله عليه، لأنه قال فيه شعرا بعد وفاته توقيرا لشخصيته العادلة:

رَحمَـة اللهْ كَثـيرْ عَلى مَنْ مَضَى

عَلى أبُـــوا القَّاسم الزَّكيْ الرِضَى

---

[1]- ابن قزمان ، نفسه، ص:145.

[2]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص:91.

[3]- ترجمنا له سابقا

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:49.

[5]- نفسه، ص:50

حَـاكِمُ المُسْلمِيْنَ و قَاضِي القُضَا

فَنْـهَار فَقَدْ نْهَارا عَسـيْـرْ[1]

كما تطرق صاحبنا إلى ظلم بعض القضاة، فهجا أحدهم لأنه أدخله السجن وشارف بذلك الموت ولولا تدخل الأمير لكان أعدم:

لِلـقَتلْ كَانْ رَفعْـنِـي وْلد ابنْ المْنَاصْفْ

وعَدَّني مُـنَافِـــــقْ وْحْسبنِي مُـخالِفْ[2]

و رغم ما ذكره صاحبنا من إيجابيات على القضاة إلا أنه لم يتوالى أو يغفل عن سلبياتهم فيقول:

جَمعُوا بَيـنَ الإثْنَـين بَينَ الدُنـيا و الدِيـنْ[3]

ومن أهم المسائل التي غلبت في الأندلس والتي رفعت إلى القضاء هي: النكاح و المواريث و الدين والغصْب: وَأنْت تَـحكمْ في المَّناكِح و الغَّصْب و الدّينْ و الأحْباسْ

والمَوارِيـثْ و الجِـنـايَات والنَـظَر في أَموالْ الأيْتـامْ[4]

د- المحتسب: هو الآمر بالمعروف إذا ظهر تركه والناهي عن المنكر إذا ظهر فعله[5]، تنفيذا لما قاله الله سبحانه وتعالى:"**وَلتَّكُنْ مِنكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَير وَ يأمُرونَ بالمَعروفْ وَينْهونَ عنِ المُنْكَرْ**"[6].ومن شروطها أن يكون المحتسب حرا عادلا ذا رأي وصرامة و خشونة عالما بالمنكرات الظاهرة[7] وفطنا محنكا غنيا نبيلا لا يميل للرشاوى لكي يهابه الناس ولا تسقط منزلته في أعينهم،

---

[1]- نفسه، ص:150.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:155.

[3]- نفسه، ص:165

[4]- نفسه، ص:324.

[5]- الماوردي، الأحكام السلطانية...، ص:115.

[6]- سورة آل عمران، الآية: 104.

[7]- الماوردي، نفس المصدر، ص:115.

والمحتسب يعين من قبل القاضي بعلم من الأمير لأنه لسان القاضي ووزيره و خليفته وإن اعتذر القاضي فيجلس مكانه[1]، وقد ذكر صاحبنا المحتسب لكن وللأسف ما أورده ينافي ما ذكرناه قبل حين إذ يقول:

وَرشِيدْ تغْطَس ، مُهيَّج تَعوهْ

قَبلْ كِيجِينَا هَارونْ الرَشِيْدْ

وهو كناية على السخرية من المرابطين لأنهم أعادوا العمل بالحسبة بعد تراخيها أيام الطوائف لكن الأمور لا تزال كما هي[2]، و ذهب إلى أكثر من هذا وقال بأن المحتسب يفـــــعل المنـكرات و أنـــه زاني ويقول عن الأمر:

شَرِبَ الخَمْر المحْتسِب وَزنَا:[3]

د- الوزراء و الكتاب: هم من أهم الخطط السلطانية والرتب الملوكية(الوزارة و الكتابة)، فهما وظيفتان متداخلتان إلى حد يصعب التفريق بينهما[4]لذلك ارتأيت أن أضعهما في سطر واحد إلا أني سأتطرق إلى تعريف كل واحدة على حدا،فالوزارة كما جاء ذكرها في كتاب الله العزيز:"**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِن أَهلِي هَارونَ أَخِي أَشُد بِهِ أَزْرِي**"[5]، فهي من التفويض في الأمر والتنفيذ،أما التفويض يكون باستشارة الإمام وتكون لصالح الأمة في تدبير أمورها ومن يستوزر يكون ذا خصال خَيرَة وعفة في الأخلاق و الطباع،وإن وزارة التنفيذ هي أقل شأنا من سابقتها لأن حكمها أضعف وشروطها أقل فهي مقصورة عن رأي الإمام، ومن مهامها مثلا تقليد الولاة[6]، وفيما يخص الكتابة فهي أيضا جاء

[1]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:20-21.
[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:178.
[3]- نفسه، ص:454.
[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص:294.
[5]- سورة طه، الآية: 29-31.
[6]- الماوردي، الأحكام السلطانية...، ص:30،32.

ذكرها في القرآن:"**وَإِنَّ عَلَيكُم لحَافِظِين كِراماً كَاتِبِينْ**"[1]، وهي على ضربين:كتابة الرسائل الديوانية، والأخرى كاتب الزمام[2]، أما الأولى فلها حظ في القلوب وعيون أهل الأندلس،والثانية هي هي التي ازدهرت عهد يوسف بن تاشفين لأن الكاتب في عهده كان لسان الأمير لـــــدى الشعـــب[3]

والكتابة والوزارة تفيد الخلافة، بأنها أجل ما طلب وأشرف ما عمل وأحسن ما يُعمل[4]، لهذه الأسباب الأسباب علا شأنها، وكل من الكاتب والوزير يجلس بين يدي السلطان ليوقع ويدون في مجالسه و يبعث ويوجه الأوامر للرعية وبعث الرسائل الملوكية وتحديد الأراضي و السهر على الموازين[5]، ويدبرون ويدبرون مع السلطان في الأمور قبل أن يقرر فيها، وباتفاقهما مع الأمير يكون صلاح الدولة[6]، لذا جُمع بين الخطتين بعبارة ذي الوزارتين لأنه يعمل بالوزارة و الكتابة[7]، وما جاء ذكره بالديوان:

قُل لَهُ: يَا ذَا الوَزارتَـــــــينْ الأَجَلْ،[8]

كما نالوا جاها عريضا،وتكدست لديهم الأموال نتيجة الأعطيات و الهبات فسكنوا المباني و الدور الفخمة وحظوا بمدح الشعراء[9]، وقال عنهم صاحبنا:

يَا وَزِيرَ العُـلى وَ عين الزَّمانْ

---

[1]- سورة الانفطار، الآية:10 -12..

[2]- ابن خلدون، نفس المصدر، ص:305.

[3]- البونسي(الفهري الشريشي)، كنز الكتاب ومنتخب الآداب، تح: حياة قارة، ج1، دط، المجمع الثقافي،أبوا ظبي، 2007، ص:147.

[4]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص:417.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:139-140..

[6]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:14.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:139-141.

[8]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:313.

[9]- إبراهيم القادري بوتشيش، نفس المرجع، ص:141.

وثِيابَ الغَريبِ في كُل مَكانْ

و الــحُلو المُذاقْ بِكُلْ لِـسَان[1]

وأيضا: فَلَكَ المَجد و العُلى و النَظَّر

ولكَّ الفِطنةُ و البَها وَ الجَســرْ

ولك العزمة و النفع والضــــرر

ولك الصدق و الوفا بالذّمــــم[2]

بالإضافة إلى هذا المدح كله نجد صاحبنا يسترسل في بعض الأزجال في مدح الوزير و يريد الإفصاح أن لا أحد بقي يفي بالعهد غير الوزير:

حَبِيبِي وَزيــــرْ وَأنــــتَ جارِي [3]

كما يضيف أنه ليس لصالح الرعية أن تعادي الوزير فمن الأحسن طاعته:

أَنتَّ هُو، يَا أَخي وَزِيرْ وَغيرك هَمــَنْ

مَـن يْعادِيكْ لَقد يْكونْ انْــــدَمِنْ

فَرأيتُه رَاحةٌ و الحَديث معَه سـؤدُدْ

مَــن رَاكْ يا وَزيرْ...و لَّم يَــستــرِح

سَــــلط اللهُ في خَصْـوتَيــه الجَّعَـم[4]

وحفظ لنا ابن قزمان عددا من وزراء عصره ابن زهر، ابن الأبرش، وقال عن هذا الأخير أنه من الناس الطيبين المحبين لعمل الخير المصلحين بين المتخاصمين وله من جمال المظهر و المنظر فقال صاحبنا عن ابن الأبرش:

---

[1]- ابن قزمان، نفسه، ص:58.

[2]- نفسه، ص:59.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:109.

[4]- نفسه، ص:60-61.

أي مَدينَة الشَمسُ فِيها فَضْـلٌ

والقَمر يَدْ عَن إقامَة شَكْـــلْ

كما ذكر مكانته العلمية وثقافته الواسعة فقال عنه:

ابْن الابْرَشْ لِذَا الأُمُور الصِعابْ

قَاري كَاتِبْ حَامل مُرُوَة أَدِيبْ

فِي التَنَـــاظر يْجِي بِكُل عَجيبْ

وَروَى انـْــظَم إليه بِكِل كُتَّابْ[1]

كما أن الوزير أبو إسحاق حظي هو الأخر مدح صاحبنا فقال عنه أنه طاهر النفس و مجيـــــد الشرف و الوفاء:

إلاَّ أَبو إسحَاقْ ابْن المَوصِلِـــي

يَا وَزيرَ الدُنيَا، أَقْررتَ العُيونْ

بِنُـــبْلاً طاَهِراً وعِرضاً مَصــونْ

ومَبْـدأً عَاليْ أَعلى مَا يْكُوْنْ

لَـــمْ يَنتهِي غَيرك لِذَا العُلي[2]

وأيضا أثنى عليه في بعض الأزجال الأخرى فيقول عنه أنه سيد الوزراء من كثرة ما تغنى به الشعراء :

يَا أَبُو إسْحاقَ ، يَا سَيدَ الـوُزَرا

زَهـــــرَة الدُنيَا ، سَيدَ الأُمَرا

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:101-102

[2]- نفسه، ص: 58-59.

مثْلُكَ أَحْيَا الشِعرَ للشُعـــرَاء[1]

والأمر الواضح والبَين من كثرة حبه للوزراء أن صاحبنا كان وزيرا و شهد تودد العامة للتقرب منه:

يَا وَزِيرْ، لَو أن غَيـــركَ لِـو لِعمْرِيْ يمضِي بِيهَا
قُـلتُ لَه، سَهِلْ عَـــلَـيَّ فِي الفَضْل ونَـشرِيْـــهَا
قَـال لِي القَصدْ نُفـــوسْ للنَهي إليكَ مِنِي هَدِيـة[2]

و يعني من هذا الكلام أنه لما كان وزيرا كان يذهب إلى السوق ليشتري بعض اللوازم وفي بعض الأحيان تمنح له كهدايا[3]، كما يرى أن الانتماء إلى الوزارة أمر جيد:

جَيِـــد هُو أن نَنتَمِي إلَـــى الـــوِزارَة[4]

ويرى أن ابن الوزير يكبر على مثل أبيه، كمثل ولده أن يكون وزيرا كأبيه البكر ابن قزمان:

ألوزيْر كَما تَدرِيهْ يُعطِي دُونْ عُـــذْر
والـوَلد على التَّشبيْه مِثلُه إن كَـــبُـــرْ،[5]

والأكيد لسبب أنه وزير وكاتب لم يذكر الخصال السيئة فيهم، إلا أننا وجدنا في بعض الأمثلة ما يفي بالغرض، فيقول المثل عنهم:"**بَقيةْ خَليعْ أَخيْر مِن بَقيةْ كَاتبْ**"[6].

هـ- الشعراء: لم نجد المعلومات الكافية حول هذه الفئة، فما وجدناه أن الأمير يوسف كان يقربهم ويستقبلهم في بلاطه، ويجزل عليهم بالعطايا[1]، وإن لم يكن الأمر صحيحا فلما نجد ابن قزمان

[1]- نفسه، ص:302.
[2]- نفسه، ص:192.
[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:192.
[4]- نفسه، ص:258.
[5]- نفسه، ص:187.
[6]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص:71، 131.

يمتدحهم ويتقرب منهم حتى أنه تقريبا ذكر كل أبناء و أحفاد ابن تاشفين الذين تولوا الحكم فمثلا ذكر الأمير محمد سير ، فيقول عنه:

لقد يا أنت يا أخي، شامة فما أعدم قرينك

تصاحبـــــك الســـــلامة وجند الله يعينك[2]

2- الطبقة المتوسطة: وهي التي ظلت تطمح باللحاق بسابقتها وتضم كل من:التجار، السماسرة، أصحاب الشركات و المهن الحرة، و أعوان الدولة و السواد الأعظم من الرعية[3]، كانت تسكن المدن لتظل بقرب ذوي المال و الجاه، وما إن يتوفر لهم الأمن و الاستقرار يستقر وضعهم أكثر و يقوى نشاطهم، فملكوا المصانع و الدكاكين وغيرها[4]، حتى بلغ البعض منهم مراتب عليا في التجارة مثلا، ونالوا مدح الشعراء كابن قزمان:

قُلْ وْزِيدْ، يَا لِسانِي الوَصَافْ

فِي البلَنسِي أَبجعْفرْ الصَّرَّافْ،

واحْتفَل فِيهْ وقلْ كَلاماً جَزَلْ[5]

اهتمت هذه الطبقة بما يخدم مصالحها الشخصية دون مراعاة الغير[6]، كما كثرت الأنانية والحسد بينهم و بخاصة أصحاب الصنعة الواحدة كمثل القول التالي:"**صَاحبْ صَنعَتَكْ عَدوكْ ولو كَانْ**

---

[1]- مجهول، الحلل...، ص:85.

[2]- ابن قزمان، نفسه، ص:151.

[3]- أنور الزناتي، المرجع السابق، ص:70.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:279-280.

[5]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:319.

[6]- محمد حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص:238.

أَخولكْ"[1]، كما عملوا على التقرب من السلطان وارتبطت مصالحهم به، فأصبحوا يتمتعون بالمكانة لديه فلبسوا الثياب الجميلة فوق البالية للقائه[2]، وهو الآخر أيضا استعمل فيهم المهندس مثل لتزين قصره والطبيب للعمل داخل القصر، وكذا التاجر في الانتقال والربط بين العدوتين من خلال ما تفرضه عليه تجارته، لكن كثيرا ما تعرضت هذه الطبقة إلى الضرائب الباهظة من قبل الفقهاء وبخاصة أواخر العهد المرابطي[3]، وقال صاحبنا عن القضية:

أَو عَمِي الفِقِـــــــي يـَمـر فِي شَانَـــــكْ

واللهْ لاَيْـــــــــــزُولْ حَـــتَى يْجْيبَـــــكْ[4]

وبالتالي يمكن القول أن هذه الطبقة المتوسطة حظيت بالاهتمام من قبل ذوي النفوذ نظرا للأعمال التي تقدمها وبغض النظر عن الأعراق المنتسبة إليها، فمثلوا حلقة وصل بين الإنتاج والمستهلك[5].

3- طبقة العامة أو الطبقة الدنيا: وهي من تأتي في آخر سلم الترتيب تحتوي على العبيد والعوام من جميع الأصناف[6]، تميزت بالمستوى المنحط فاحتاجت إلى أدنى لزوميات الحياة وهي أولى الطبقات عرضة للكوارث و الأزمات والمجاعات[7]، وأشار لها ابن قزمان وصرح أنهم لا يملكون لا الذهب ولا القطاع فيتمكن صاحبها من رهنه أو بيعه فيستطيع بذلك أن يشتري خبزا، ولشدة فقرهم لا يستطيعون تدبير قوت يومهم:

بِـــأَربـعَة نَشـكوا من الشَـبْـــــــعْ

[1]- الزجالي، المصدر السابق، ج1، ص:248.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:160-163.

[3]- المرجع نفسه، ص:164-165.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:257.

[5]- حسن محمود، المرجع السابق، ص:344.

[6]- أنور الزناتي، المرجع السابق، ص:71.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:199.

لَـسْ بَاه ذَهَـبية ولَا قطَـــــــــاعْ
وَلَا عَـصـــايِـدْ مَا نَبـــــــــتَلعْ
ولا دُشَـــيـشَاتْ بِهَا نَفِيـــــــــقْ[1]

حتى إذا جاءتهم قطة جائعة لا يعطونها شيئا تأكله من شدة فقرهم:

قَـــطْ مَضَـى لَه بِحـــالْ خَـــــرُوفْ
لَم يَـــرَى عَندِي عَلى اَشْ يْـحُـــوفْ[2]

كما تكثر معاناتهم في الشتاء حيث البرودة ترتفع فلا مكان يحويهم:

وْ جَـعَلكْ اللّه تَرَانِي نْـــبـرْدَقْ
والرِيحْ الشَرقِي قَد بَنَى يْسَـرْدَقْ
وْرجَعْ صُلبِي بِالبُرودْ فْـطَـــرَق
مُرْ قُدامِي وَمُر والجُرخْ غَطانِـي
مُر قُدامِي ومُـرْ وَرانِـــــي[3]

كما تضطر هذه الطبقة إلى التسول لسد رمق الجوع، في حين ترى الغني يأكل اللحم الفقير لا يعرف مذاقه حتى:

أَكَـــلْـتمْ لحْمْ وْأنَّا بلاَ شَـــيءْ
نْشُـــوْ الشُوي وْلـــسْ نَرى شَّي

و الحديث له أيضا معناً آخر تمثل في عدم تعاطف الغني مع الفقير نتيجة غياب الرحمة من قلوب الناس[1].

[1]- ابن قزمان، نفسه، ص:305-306.
[2]- نفسه، ص:306.
[3]- ابن قزمان، المصدر السابق ، ص:50-51.

وما نفهمه أن المجتمع الأندلسي مكون من عدة طبقات، لم تتواصل فيما بينها و بخاصة من طبقة لأخرى، كان منها لها سلبياتها وإيجابياتها، فصنع المال والجاه الفارق بينهما، وكان أولى المتضررين الطبقة الدنيا فالوسطى، وعاشت الطبقة الأرستقراطية الرفاهية والتنعم في خيرات الدنيا ومباهج الحضارة.

المبحث الثالث: العادات والتقاليد

إنَّ المتعارف عليه أنّ لكل مجتمع عاداته وتقاليده الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات حتى وإن تحت راية واحدة، وإن الحديث عن المجتمع يؤكد على هذا القول، وسنبرزه من خلال العناصر التالية:

1- **الزواج**: تعد الأسرة بالفعل هي النواة الأساسية لتكوين المجتمعات ولكي يتأسس المجتمع ويخلف لنفسه حضارة تعبر عنه وعن طريقة عيشه لابد له من بناء عائلة، ولا يتم إلا بالنكاح[2]الذي لا يكتمل إلا بحضور الزوجة والزوج والولي والشهود والصداق[3]، وأُولى هذه الخطوات أن يختار الفتى

[1]- نفسه، ص:257.

[2]- هو في اللغة الضم والإجماع واصطلاحا اسم لذلك العقد الشرعي، وبالتالي هو سنة مطلقة، وإذا تاق الرجل للشهوة وجب عليه النكاح حتى لا يقع في المفاسد، ركنه الإيجاب والقبول وحكمه العقد وحضور الشهود. أنظر: السمرقندي (أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم)، فتاوى النوازل، تح: يوسف أحمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص:160-161.

[3]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:79،81.

عروسا مناسبة[1]، وغالبا ما تتم بواسطة حب مسبق بينهما أي أنه يعرفها أو أنه رآها معنى هذا بالإرادة والاختيار و الرغبة وهو الأمر الغالب على هذه الفترة[2]، أو عن طريق تدخل الأم أو بواسطة بواسطة الأهل و الأقارب أو عن طريق الخاطبة التي تتوسط بينهما والتي كان لها دور كبير[3]، و بعد هذه الخطوة يتفق الزوجين على الصداق[4]، تبدأ المرأة بتجهيز نفسها وأهل الزوج أيضا والذي هو عادة عادة ما يكون مدعاة للتنافس بين العائلتين فقط[5]، وهو مكلف جدا[6]، وكما قال ابن قزمان:

أَنفَقْتُ فِي زواجِي وَ أرفَيتْ

وبالتالي فإن تكاليفه جد باهظة وصاحبنا يصر على الأمر في كل مرة يتحدث فيها عن الزواج:

وَربْعْ بِثلثْ مِثقـــال: اشْ أرَّدتْ أَناَ نزوَّج[7]

ورغم ذلك إن الزواج أوصى به رسول الله(صلى الله عليه وسلم)للحد من المفاسد ولكي لا ينساق الرجل في اتباع اللذة لقوله:" **يَا مَعْشَر الشَبابِ مَن اسْتطاعَ منْكُم البَاءة فَليتزَوج فَإنه أغَضَّ للْبصَر وأحْصنْ للفرجْ...**"[8]؛ بعد الاتفاق والتحضير يتم إجراء حفل الزواج الذي يختلط فيه الجميع الجميع وحدث فيه الكثير من المنكرات، كتراقص النساء على أنغام الموسيقى كاشفات الشعر[9]، كما

---

[1]- سامية مصطفى محمد مسعد، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الثقافة، مصر، 2003، ص:252.

[2]- البونسي، المصدر السابق، ص:672.

[3]- سامية مصطفى محمد مسعد، المرجع نفسه، ص:253.

[4]- السمرقندي، المصدر نفسه، ص:161.

[5]- سامية مصطفى محمد مسعد، المرجع نفسه، ص:253.

[6]- "**مَا أطْيبَ العرْسَ لولا النَفاقة**". أنظر: الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص:94.

[7]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:86.

[8]- البخاري، المصدر السابق، ص: 1152، أيضا عند السندي (ابن الحسن الحنفي)، شرح سنن بن ماجة، ج1، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.س ، ص:566-567.

[9]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:331.

كما تلحن الأغاني حسب صوت الآلة ابتهاجا بالمناسبة، وفي نفس الوقت يتم تحضير الطعام من أجل المدعوين[1]، وتذكر النصوص التاريخية أن علي بن يوسف لما تزوج أقام حفلا مليئا باللهو والطرب والطرب ابتهاجا بتلك المناسبة[2]، مما يتضح لنا أن كل أهل الأندلس اتبع طريقة المرح في أعراسهم. لكن هذا لا يعني أن كل الشباب أقبل على الزواج إذ يقول صاحبنا عن الأمر:

صِرتُ عَازبْ وكَان لعُمرِي صَوابْ
لَّس نْزَوج حتَّى يشِيبْ الغُرابْ[3]

لأن الزواج أصبح بمثابة المشكل الذي يأتي منه صداع كبير حسب رأي صاحبنا الذي يحبب العزوبية:

إِذْ قد كَفانِي اللهْ صُداعَهْ
فمَا حَيْيْتُ لَس نْحطهَا مَاعَه
زَايِق هُو ذَا العُرسْ بْطبَاعَهْ[4]
بْطبَاعَهْ[4]

كما ذهب ابن قزمان إلى أبعد من هذا وحذر من ينوي الزواج بالتراجع كي يتفادى أخطاء قبل الوقوع فيها وطبعا على حد تعبيره:

اَشْ ذَا العَمى، يَا مَن مَاعُ عيْنينْ
إِيَاكْ يغُرك الغَّلط والزِينْ
وَمَّع بنْتْ قُندِيل بغُميَنْ[5]

وحتى الأفضل البقاء دون ولد يحمل اسم أبيه:

[1]- الونشريسي(أحمد بن يحي)، الأحكام الجامعة، تح: شريف المرسي، ط1، دار الأفاق العربية، د.ب، 2011، ص:213.
[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة على دولة المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص:172.
[2]ص:172.
[3]- ابن قزمان، نفسه، ص:162.
[4]- نفسه، ص:86.
[5]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:86-87.

ومَـــنْ لَـــسْ مَـــائِ أَولادْ اسْتَـــــــــرائِ[1].

وبطبيعة الحال كما أن الزواج هو سنة الله ورسوله فإن الطلاق[2]هو أبغض الحلال عنده سبحانه وتعالى، إلا أنه أنسب حل إذا استحال العيش بين الزوجين، لذلك لجأ له أهل الأندلس وقال عنه صاحبنا أنه لما يطلقها يعطيها نفقة ذلك حسب قوله:

كَما يَجبْ عَلى مَـــن يطَّلـقْ
ابن مُغيثْ تَرى وتَرى الحَـقْ
اشْما يْقولْ لِي نَعطِي انْطيثْ[3]

ونفهم من خلال حديثه أن الطلاق يتم بعد الحديث مع القاضي وبالحكم ليكون بائناً، وكذلك يكون مرفقا بالنفقة إذا كان لها أولاد[4].

2- اللباس: كان على شاكلة من التنوع والاختلاف ومظاهر الجمال فيرد ابن الخطيب أنه غلب عليهم لبس الكتان والحرير والأردية الإفريقية والمقاطع التونسية صيفا[5]ذات اللون الأبيض،أما الشتاء الصوف والكتان الملون[6]وفيما يخص الربيع والخريف فيتميز باللباس ألا بطائن له و لا أكمام[7]، كما كما اشتهر أهل الأندلس بلباس العمائم والغفائر والتي لم تعرفها المنطقة إلا في عهد المرابطين[8]، والمثل

[1]- نفسه، ص:232.

[2]- هو في الشرع رفع القيد الثابت على المرأة، فتصبح بذلك مطلقة، والطلاق يكون بصيغة أنت طالق أو بلفظ مطلقة أو طلقتك. أنظر:الكاساني (علاء الدين أبي بكر مسعود)، بدائع الصنائع وترتيب الشرائع، د.م، ص: 1090، السمرقندي، فتاوى...، ص:196.

[3]- ابن قزمان، نفسه، ص:87.

[4]- المقري التلمساني(محمد بن أحمد)، عمل طب لمن أحب، تح: أبي الفضل عبد الإله العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص:115.

[5]- ابن الخطيب، الإحاطة...، ج1، ص:135.

[6]- أبي الفضل العمري، المصدر السابق، ص:231.

[7]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:317.

[8]- أبي الفضل العمري، المصدر نفسه، ص:231.

والمثل التالي يبين شهرة لبس العمائم في هذا العصر:"**طَالع هَابطْ بْحلْ عْماهْ فِي رأْسْ مرابْطْ**"[1]ويقول ابن قزمان عن الغفائر و العمائم أن الناس كانوا يرتدونها :

وْأنَا انْسَى منْذْ كنْت لَباسْ
ثِيابِي لاَذ عَلى بَطاينْ لاسْ
وغَــفايْرْ مِلاح عَلى أجْناسْ
وعَمايمْ دَبيقْ تْساويْ مَالْ[2]

و أغلب من لبس العمائم هم الأمراء ربما لتبيين شأنهم ، وتميزت بها الطبقة الخاصة دلالة على وجوب احترامها وتقديرها[3] ويقول عن ذلك ابن قزمان:

إن أرخيت العَمامَة وسْبقَك فِي يمِيــنْك
وْتهْجم في الخَميسْ تصْير أيْديهمْ أكْمامْ

يقصد هنا الأمير عندما كان يقاتل النصارى رفقة جيشه[4]، كما أن الفقهاء والقضاة والشيوخ ارتدوها

ارتدوها

أيضا[5]وبخاصة في شرق الأندلس وغربها فلا تكاد تجد فقيها دون عمامة[6]؛ كما لبسوا البرنوس المغربي المغربي الذي أدخله المرابطين، والطيلسان و الغفارة و الطويشر و العباءة[7]، وارتدوا السروال ويقول بن بن قزمان:

---

[1]- الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص:246.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:279.

[3]- الحسن عبد محمود ثريا، أزياء المجتمع الأندلسي من 92هـ - 625هـ، مجلة كلية الآداب، ع:202، د.س، ص: 196.

[4]- ابن قزمان، نفسه، ص:151.

[5]-لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية...، ص:28.

[6]- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص:256.

[7]- **لَس مْشى إلا بْبُرنسْ مْقنَع**

وأنَا عرْيانْ فِي السَّراولْ أو فِي مِنديل خُبزْ مِلويْ[1]

كما حفظ لنا صاحبنا عدَّة من أنواع الملابس التي كانوا يلبسونها كثيرا كلبس الفنك وهو لباس على لون الفنك يظهر صاحبه وكأنه عاري كما هو حال لباس اليوم في البلاد الإسلامية عامة فيقول:

أوَذاَ الجَورَبه مْجَـرَدْ وَالرُد أَمْري الـفَنكْ

وأيضا استعملوا الأقمشة على اختلاف أنواعها:

وهـُـو لابْـسْ خلْـدِيْ بعْد مَا كُـــامِـــل

و فيما يخص لباس كل فئة فقد تميزت كل واحدة بلباس خاص بها وحافظت عليها لكي لا تضيع تقاليدها وسط الفئة الأخرى، فالعرب كما أودها ابن قزمان خصت بلبس العمائم على ألوانها:

وعَـــمامَـــة بِيضـــــاً وخِـــمَارًا أَحْمَـــــــر

فـــي العَرب لِي صولَة لا عْـــنَى أنْ تظْـــهَر.[2]

أما سائر البربر فقد خصوا بلباس البرنوس ولا زالوا يشترون به:

باللَّ، لَو أَن يْحـــفَظْ البَـــربَليَّة

لسْ مْشَى إلَا بِـــبرْنُس مْـــقنَعْ[3]

فيما يخص المرابطين فقد اشتهروا باللثام[1]، وهو الأمر الجديد الذي لم تشهده المنطقة من قبل، فإذا وجدوا رجلا ملثَّماً فأنه من عِليَة القوم فاحترموه إلا أن اللثام لبسه العبيد متجاوزين بذلك كل الفتاوى

أيضا: وطُويشَر خِفارَة المْركلةْ مقطَع

أنظر: ابن قزمان، المصدر السابق، ص:339،264.

[1]- نفسه، ص:295.

[2]- نفسه، ص:70-72.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 264.

وارتكبوا تحته أنواع الفجور والكفر وهو ما سنشير له فيما بعد[2]، ويضيف صاحبنا أنهم لبسوا العمائم إلى جانب اللثام فيقول:

فَبالعَـــمَامة بِالله نْـــغيْـــــر
إِيَّالكْ تْلتَّـــــــوْ إلاَّ كْبـِيـرْ
لِـــمَا هُـــوَّ فمَك تحْت لثَّامكْ
مَا هـو لِـــثامَـــك إلا عَـــدُّ

وعن احترامهم وخوفهم:

وْيقُولْ ليْ قَلبِي:"أُهجُم" ونْخافْ مْنْ المْلَثَّـــــــوْ[3]

أما أهل الذمة فلبسوا الرقاع ويسدلوه على الأكتاف ويشدوا الزِنَّار إلى الوسط[4]، وفيما يخص الجنـد فقد عرف بزيين:

أ- الجند المرابطين: ارتدى اللثام والغفارة القرمزية.

ب- جند العامة: فقد خُصَّ بلبس الزي النصراني بارتداء التراس الحامي للجسم[5]، كما علقت عليهم أزرار من ذهب على كتفهم وذلك حسب مراتبهم[6].

---

[1]- عالجنا قبلا مسألة تسميتهم بالملثمين نسبة للثام، والآن سنتطرق إلى سبب لبسهم له، فيذكر النويري أنهم تلثموا لعدة أسباب أبرزها : حر الصحراء و قيل أن طائفة منعم خرجت للإغارة على العدو فباهتهم وهاجمهم من ورائهم أي في ديارهم بلمتونة ولم يبقى بها سوى الصبيان والنساء فتلثمت النساء وخرجن له ففر العدو خوفا منهم ومن ذلك الحين أصبح الرجال يلبسون اللثام واتخذوه شعارا لهم يميزهم عن غيرهم. أنظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص:145، البرزلي (أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تح: محمد حبيب الهيلة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002، ص:369.

[2]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:28، البرزلي، المصدر نفسه، ج1، ص:369.

[3]- ابن قزمان، نفسه، ص:228.

[4]-الحسن ثريا، المرجع السابق، ص: 180.

[5]- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص:257-258.

[6]- أبي الفضل العمري، المصدر السابق، ص:231.

وفيما يخص **ثياب المرأة** ارتدت اللباس المصنوع من القطيفة والكتان والملحفة، والجوارب الطويلة حتى الساق لتقيها برد الموسم، والنعال المبطنة من الجلد، وفي الصيف تلبس نعالا من الخشب جميل وأنيق، لأنهن لبسن الزي الذي يظهرهن في أبهى منظر جمالي[1]، إلا أن اللباس هو الأخر خُصَّ في درجة النساء أيضا لأنه وكما ذكرنا مسبقا في بناء المجتمع لم تكن المرأة ابنة طبقة واحدة:

أ- الحرائر: انقسمن إلى قسمين:

-مرأة المرابطين: كانت تخرج حاسرة الوجه مرتدية أجمل الثياب.

-المرأة الحرة دون المرابطين: تلبس الحجاب و البرقع أو العِجَار كما فضلت الألوان الزاهية كالأحمر[2] و البنيقة كما ذكرها صاحبنا:

نْشتِـــري لَكْ غَدا بنِيقَة شَـقيق[3]

ب- الخادمة: لها ملابس خاصة تساعدها في شغل المنزل بأريحية كالضيقة في الأفواه و البلغة[4] أما زينة المرأة عامة فقد تزينت بالحلي و الزمرد و الجوهر والقلائد والخلاخل[5]، بالإضافة إلى طلي الحناء إذا غلب الشيب على شعرها[6].

إن أهل الأندلس لبسوا الثياب المطرزة ويحاكونها عند أمهر الخياطين:

الطُروزْ تكُونْ نَقية ويْكونْ الذَيلْ ضْيْغْ

وأيضا: فْتقَن الخِياطْ مُحَكَّم قَد حَرزْ وَارِي وْمْقدمْ[1]

---

[1]- الحسن ثريا، المرجع السابق، ص:199.

[2]- عصمت عبد الطيف دندش، الأندلس...، ص: 320-321.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 271.

[4]- الحسن ثريا، المرجع نفسه، ص:200.

[5]- لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية...، ص:29.

[6]- أبي الفضل العمري، المصدر نفسه، ص:231.

بل وأكثر من هذا فقد اهتموا بأبسط التفاصيل فيما يخص لباسهم وأناقتهم، فحرصوا على ارتداء الألبسة ذات الألوان المتناسقة يقول بن قزمان:

مَن لَبسَ ثَوباً سمَاوِي مِن اقَامة المُريـــــة
لا تْكونْ علشَيه ثَّفارَة إلا خَضرَا فُستقِيـــــة
كـنرِيد نلبْس ثَّفارَة وتكُون عَلى اخْتِيارِي

كما يلبسون ما يناسب قامتهم و عرضهم ويقول صاحبنا:

أَبعِد القَصيْر عَـــني إنَّ قَـامتِي طَويلـَة[2]

كما عرف المجتمع ملابس خاصة بالمناسبات الخاصة كالأعياد (سنشير لها فيما بعد)[3].

3- **الأطعمة و الأشربة:** إن الأصل في أنواع الطعام المتعارف عليها هي تسعة الحلو والمر والحامض والمالح و الحرّيف و العفص و القابض و الدسم والتفة والأصل فيها حلاوة وملوحة و حموضة و مرارة[4] وكلها عرفها أهل الأندلس، ومن بين الأطباق التي عرفوها واشتهروا بها:

أ-الكسكسو أو السكسو: وهو نوع من الطعام عرفه المغاربة عامة ثم انتقل إلى الأندلس؛ اتخذه الناس من الدقيق[5]، ويوضع في المعجنة ويرش بالماء ثم يفتل بتحريك أصابع اليد فيه، ثم يحك بين الكفين برفق حتى يصير كرؤوس النمل، ثم ينفض بالغربال، وبعدها يوضع في الكسكاس على قدر فوق النار، وعندما يطلع بخاره يوضع في الملحفة أي القصعة ويضرب باليد ويرش بالماء حسب الحاجة ويرد ثانية على النار، وفي المرة الثالثة يسقى بالمرقة[6].

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:110، 224-225.

[2]- نفسه، ص :110-111.

[3]- نفسه، ص: 325.

[4]- الجونفودي (عبد الأول ابن علي)، الطريف الأديب الظريف، د.ط، طبع في مطبع أصح المطابع، د.ب، 1313، ص: 6.

[5]- الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس، تح:محمود محمد الطناحي، مر: مصطفى حجاري و عبد الستار أحمد فراح، ج16، د.ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 2004، ص:446.

[6]- ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام و الألوان، تح: محمد بن شقرون، نش: إحسان عباس، ط2، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، 2012، ص:88-89.

ب: الثريد: يتكون من أنواع من اللحم أو الدجاج وبكثير من التوابل[1]، ويطبخ على أنواع بالخبز أو اللحوم فقط[2]، وقد ذكرها ابن قزمان إلا إنه ذكر البيض معه:

وَذُقَ فإن رَأيتهُ ينضُج بِصفَار ضَربهْ بعْد بيضَّك،اثْردْ ثرْيدَك[3]

ج- طهي أنواع اللحوم كلحم البقر الدجاج الأسماك: اشتهرت به العائلات الغنية[4]، لأن ابن قزمان قال عن اللحوم الذي كان يحضر بطرق مختلفة:

أكَّلتُم اللَّحْمَ وَأنَا بلا شَيء[5]

شَيء[5]

فمثلا الدجاجة تقطع على مفاصلها، ثم توضع عليها التوابل و الثوم و تطهى أو تحمر[6]، أما أما لحم البقر فتوضع أضلاعه في قدر مع التوابل والخضار يطهى جيدا ويأكل في كل المواسم[7]، وعادة وعادة ما تحمر هذه اللحوم وبن قزمان يقول عن الأمر:

وَخرُوفاً سَمينْ وَحملَينْ فلِيقْ

ويقصد بالفليق الحطب على لغة أهل الأندلس[8].

---

[1]- دايفد وينز، فنون الطبخ في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحر: سلمى خضراء الجيوسي، ج2، بيروت، 1999، ص:1021.

[2]- ابن رزين التجيبي، المصدر نفسه، ص:40.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:273.

[4]- سهام الدبابي الميساوي، الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة ق5-7هـ/ 11-13م، مجلة الدراسات الأندلسية، ع:06 ، 1991، ص:69.

[5]- ابن قزمان، نفسه، ص:274.

[6]-البغدادي (محمد بن الحسن بن محمد الكاتب)، كتاب الطبيخ، نش: فخري البارودي، ط1، دار الكتاب الجديد، د.ب، 1964، ص:51.

[7]- دايفد وينز، المرجع نفسه، ص:1034.

[8]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:295.

د- طبخة المثلث التي حفظها لنا صاحبنا والتي يستعمل فيها البقوليات والخضروات وتكون مفعـــمة باللحوم كما يذكرها ابن قزمان:

وَهِي تَجعل مِنَّ المُثلَّث قَليلْ[1]

كما عرفوا العديد من الأكلات وتفننوا في تحضيرها مثل العصيدة والمرقاس والبرانية والفطائر[2] و الزلابية الزلابية و الكنافة والبديعة و الأحراش والقطائف[3] والقلية[4]، وبالتالي[5] يتضح لنا أن الأندلسيون استعملوا التوابل والبهارات[6] في مختلف أكلاتهم كالزنجبير والخردل و الرند والزعفران[7]، بالإضافة إلى الزيت الذي اعتمدوه للقلي والزبدة[8]، والشحم[9]، بالإضافة إلى الحشائش كالكسبور، ولم يفارقهم الملح الملح في مختلف طعامهم[10].

---

[1]- نفسه ، ص:148.

[2]- نوع من العجائن، يعمل رقيقا ثم يقلى أقراصا ثم يخرج ويغمس في الجلاب وينذر عليه السكر.أنظر: البغدادي، الطبيخ...، ص:81.

[3]- هي على أنواع تخبز مستطيل و تحشى باللوز والسكر المدقوق، ثم تلف وتقلى، ويوضع عليها الشيرج والجلاب وماء الورد والفستق. أنظر: نفسه، ص:80.

[4]- تؤخذ الكرش والدوارة، تسلق بالماء الساخن حتى تبيض، وتنقى الدوارة وتشق؛ ثم تقطع فيها قصبة الرئة و الكرش والدورة قطعا صغيرة، ثم ترمى في طاجين من فخار أو حديد ويوضع عليها الملح و الزيت و الكزبرة وبصلة مقطعة، ويبقى على النار إلى غاية استوائه وبعد طبخها تخلل قدر الحاجة . أنظر: ابن رزين التجيبي، المصدر السابق، ص:128.

[5]- محمد البشير العامري، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، ط1، دار غيداء، عمان، 2012، ص:274.

[6]- سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص:262-263.

[7]- سهام الدبابي الميساوي، المرجع السابق، ص:70.

[8]- سامية مصطفى مسعد، المرجع نفسه، ص:264.

[9]- **أَرقيصَرِية فَش يْكونْ ذَا الشَّحم**

أنظر: ابن قزمان، نفسه، ص:369.

[10]- **والمْـلـحْ والكُسبورْ وفَضلة ابْزارْ**

أنظر: نفسه، ص:273.

كما احتوت مائدتهم العديد من الخضروات أهمها الباذنجان و الخرشوف و الترفاس و اللفت[1]والفلفل[2]، وتزينت بأنواع الفواكة من السفرجل والرمان و اللوز و البرقوق كما أوردها ابن قزمان:

وَلابُدَّ ثُمَّ رُمَّـــــان سفْري رُبَّما مُـــــوز

واشْ خَبر لَوزاً مْنقـَى وكَثيراً ما ناكُلْ اللَّوزْ؟[3]

وفيما يخص طعام كل طائفة التي اشتهرت به: فالمرابطين ما عرف عن جيل يوسف ابن تاشفين اشتهروا بتقديم الألبان و خبز الشعير و بعض اللحوم على مائدتهم، أما الجيل الذي بعده فعرف بالفخامة كسائر الأندلسيين[4]، أما الخاصة على غير المرابطين فكانوا يحشون لحوم الطيور ببعض ببعض لحمها وفتات الخبز أو الدقيق واللوز، أما السمك يدهن بالزيت والدقيق واللوز والخل[5]، كما كانوا يقدمون أطباقا كثيرة واد تلوى الآخر، أما اليهود قدموا الفروج اليهودي والحجلة اليهودية[6]، العامة من الناس وخاصة الطبقة الفقيرة كان غذائها اليومي الذرة وهي أساس قوتهم[7].

أما عن طهي الخبز فقد كان المتصدر الأول للمائدة الأندلسية وكان على أنواع: كالخبز المستدير الرقيق يوضع داخله البيض والجبن، كذلك الخبز الأرق من النوع الأول ويعرف بالرقاق يحشى بفُتات الدجاج ويسقى باللبن أو العسل والحليب، أما النوع الأخير فيصنع من القمح المنقع في الماء لمدة يومين ثم يقلى ويأكل فتيتا مخلوطا بالعسل و الفلفل[8]، ويطلق أهل الأندلس على الخبز عليه"الكسرة" حسب ما ذكرها ابن قزمان:

---

[1]- سهام الدبابي الميساوي، المرجع السابق، ص:69.

[2]- ولا ،فـــَـــوفَر الفـــــــلفْلْ

أنظر: ابن قزمان، المصدر السابق، ص:369.

[3]- نفسه، ص:295.

[4]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص:136.

[5]- سهام الدبابي الميساوي، المرجع نفسه، ص:69.

[6]- سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص:265.

[7]- محمد جسن العيدوس، المرجع السابق، ص:194.

[8]- سهام الدبابي الميساوي،المرجع نفسه، ص:70-72.

النَاسْ للسَميـــــدْ وأنَّا للْكُـــــــسْـرةَ

ويأكل الخبز على حسب الطبخة المجهزة فإذا كانت إدام يأكل معها الخبز اليابس والعكس، معنى هذا أن الخبز نوعين إدام ويابس، وقد أورها صاحبنا أيضا:

النَـــاس في إِدَامْ وخُبزِي يَابـــــــسْ [1]

وعادة مادته الأساسية السميد فيخلط بالملح والماء ويترك قليلا ثم يخبز ويوضع في طرف قماش أو كتان ويترك حتى يخمر[2] ثم يطهى في الفرن أو وفوق النار أيضاً[3].

ولِما عُرف عن المجتمع عن حرصهم للمحافظة على صحة جسمهم قدموا طبخات سهلة الهضم مع أخرى عسيرة ليتجنبوا التخمة أو أمراض المعدة[4].

ب– الأشربة: فيما يخص مشروباتهم فهي الأخرى كانت على شاكلة من التنوع و الاختلاف، وأبرزها الماء الذي يروي عطشهم بعد الأكل[5] أما الشائع الذي كان يهواه أهل الأندلس هو الخمر، وكانت مشروباتهم على أنواع العصير المصنوع من الورد الأخضر والزبيب و الورد اليابس و التمر والجزر وكل الخضروات والفواكه الأخرى التي تفيد الجسم[6]، أما المشروب الشائع بينهم شراب العنب وكان على نوعين منه ما يسكر والعكس ولابن قزمان قول في هذا:

مَن أكْل مِنْ ذا العِنبْ عُنقُودْ فَقد ظَلَـــمْ

إنَّما هَو عَهدِي المَحمُـــــود شَربْ الاثَـم[7]

---

[1]– ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 257.

[2]– بن رزين التجيبي، المصدر السابق، ص:36.

[3]– السقطي، المصدر السابق، ص:28.

[4] – سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص:266.

[5]– ابن بلقين، المصدر السابق، ص:178.

[6]– نفسه، ص:266-267.

[7]– ابن قزمان، نفسه، ص:82.

لأن العنب هو أكثر الفاكهة التي استعملوها لأمرين، ولأنه من أحسن ما يستخرج منه الشراب[1]، ومن الأشربة المفضلة لدى المرابطين هو الألبان[2]، والمسكرة المصنوعة من الرُب، ومن المشروبات التي كانوا يقبلون عليها أيضا[3] المستخرجة من العسل المضاف له الزعفران والزنجبيل، ولأن العسل شفاء لكل الأمراض تعدد استعماله بوصفات مختلفة وبخاصة في تقوية القلب، كذلك شراب الحلاب المصنوع من ماء الورد المضاف له السكر، كذلك عصير التفاح القارص[4]و الحلو إذا أضيف له السكر السكر علاج لكافة الأمراض[5]، كما هناك العديد من المشروبات الغير مسكرة، أمـــا المسكر منها سنتـــطرق إلية عند الحديث عن الخمر.

4-الجنائز والدفن: إن الموت هو قضاء الله المقدر في الإنسان فيسمع أخبارها القريب و البعيد[6]؛ وحسب قول ابن قزمان: **وْمشَى خبَرَك شَرقْ وغَربْ**[7]

فيعتبر هاجسا لدى الأندلسيين وغيرهم فيتأهبون له[8]لقوله جلَّ وعلى:"**كُلُّ نفْسٍ ذائِقَة الْمَوتِ**"[9]، ولذلك ارتبطت به عادات وتقاليد إذ يقوم الشخص بالوصية وتجهيز الكفن وأحيـانا يوصي بمكان الذي يرغب في دفنه فيه[10]، ويوم موت الشخص يفزع له الكل لقول صاحبنا:

---

[1]- يوحنا أفندي أبكاريوس، المصدر السابق، ص:414.

[2]- ابن أبو زرع الفاسي، المصدر السابق، ص:136.

[3]- سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص:266.

[4]- البغدادي (ابن المرأة محمد بن أبي الفتوح)، مفرح النفس، نش: مكتبة الشاذلي النيفر، تونس، رقم:61. ولأنه غير محقق فهو من دون صفحات حصلت عليه من موقع الدكتور يوسف زيدان للتراث و المخطوطات.

[5]- سامية مصطفى مسعد، المرجع نفسه ، ص:269

[6]- جمعة شيخة، من مظاهر الحياة الاجتماعية بالأندلس طقوس الجنائز، مجلة الدراسات الأندلسية، ع: 13، 1995، ص:20-22.

[7]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 263.

[8]- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس...، ص:105.

[9] -سورة الأنبياء، الآية: 35.

[10]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص:105.

كُل أحَدٍ بِالله، يفْزعْ للشَّدايْد[1]

يكفن الميت على عادة المسلمين بالكتان لعامة الناس، وبالحرير لذوي المباهاة والمفاخرة[2] بعد أن تغمض عيناه ويتأكد الكل من وفاته:

سُـــد لَهُ عينيـــــــك فَليس فيهَا مَـا يَـنْـــظُـر

وألبْـس فِيه أُذُنـــيـكْ فَـلس فِيه مَا يْـــسـمـــعُ[3]

ثم يقف رجلا من أهل الميت ليتقبل التعازي، أما النساء فللبكاء والندب[4] برفع الأصوات على الفقيد الفقيد وهن حاسرات كاشفات الشعر ضاربات بأيديهم على أجسادهن، وعند إخراج الجنازة من البيت نحو المقبرة[5]وكما يسميها أهل الأندلس"القرافة"[6]، يحمله الناس وهم يهللون و ينذرون على على صوت واحد[7]، بالرغم من أن الحسبة نهت على ذلك واعتبرته من الأمور المبتدعة في الدين[8] .

.

وإن كان الميت أعزبا يودعونه بالزغاريد، ويلبسون الأبيض حزنا منهم على فراقه، وفي الطبقة الخاصة تصل عائلة الميت رسائل تعازي، كما يخصص مكان واحد لدفن أبناء الطبقة والمنتمين لها، كما يعمل على قبورهم زخارف من الرخام التي تعلوها كتابة اسم المتوفى وهو الأمر الذي لا يزال في عاداتنا حتى اليوم المنقول عن الأندلس، وفي اليوم الثاني يأتي أهله عند قبره يبكون ويقرئون القرآن[9]، ويقول ابن قزمان عن البكاء:

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:262.

[2]- جمعة شيخة، المرجع السابق، ص:27.

[3]- ابن قزمان ، نفسه ، ص:263.

[4]- ملحق رقم (4)، ص:160.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس...، ص:105-106.

[6]- ابن دحية ، المصدر السابق، ص:185.

[7]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص:106-109.

[8]- عبد الرؤوف، ثلاث رسائل في آداب...، المصدر السابق، ص:76.

[9]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص:106-109.

البُكَا وَاجبٌ وصَبرنَا أنْفَـــع

أنَّ مَن قَد مَات لَم يعُد لِيرجعْ[1]

لـكن ابن قزمان أوصى على طريقة دفنه، إذ يقول أنها تكن بين أشجار الكروم كناية على أن يوضع عند رأسه قارورة خمر لتتساقط عليه ويكون براحة:

وإذَا مُـت مَـذهَبِـي في الدَفـنْ

أنِي أرقُـد فِـي كـرَمٍ بيْن الجِفـانْ

وتَضـمُوا الوَرق عَـلى كَفـنْ

و فِي راسِـي عَمـامٍ مـن زربُـونْ

ويقُم صَاحـبْ سَـو ثُـو كُـلْ وَدودْ

واذْكـرُوني عَليه قِـيـامْ وقُعـودْ

والعِنَب كُـل مـن أكَـل عُـنـقُـودْ

فَـيغْـرسْ فـي قَـبـريْ عـرجـونْ[2]

تلك العادات أعتمدها أهل الأندلس، أما عن دفن العبيد فما أشارت فيهم الآراء الفقهية بأن يدفنوا كسائر الناس[3].

5- الاحتفالات: إن الحديث عنها يطول لأنها كثيرة ومتعددة لذلك سنقسمها إلى قسمين:

أ- الأعياد الدينية: تمثلت في عدة مناسبات: كشعبان، رمضان وليلة 27 منه، شوال، عاشوراء، مولد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، والعيدين[1]، الاحتفال بالمولود الجديد وبختانه...، فهذه المناسبات كان يقيم لها أهل الأندلس عادات وتقاليد ويحتفلون بها، ففي أخر الأيام من شعبان تصنع

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:262.

[2]- نفسه، ص:297-298.

[3]- عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص:290.

الحلوى التي سماها صاحبنا"رمح الضيف"، ليترقبوا بذلك هلال رمضان:

جَوذَابه، رُمَح الضَّيـفِ، أينُكُم، إخْـوانِـي؟

رَمضان ذابه مقـبـل، ألخبر قد جـــاني

وأيضا: وأنَـا بَس نكْـــــذبْ وبْعينِي ريـتَـــه،

وإذَا هُـو قَد جَانَـــا ... [2]

ليحل بعده رمضان الذي يحضر له مسبقا، فينظفون الأواني وبخاصة أنية النبيذ ويخبئونها لأنهم سيحتاجونها بعد انقضاء الشهر الكريم، و يفرشون الحنابل على الأرض، ويطهرون الطرق المؤدية للجامع:

رَمضانْ فيْ الـدُنيا ارْتبعْ فَوق انْـــزلْ

أَرا ذاك المطْـرخْ ابسُط انْت الحنْبـلْ

مَـــن لُ خمرَاً يهْرق فَأنا نَنْصحُكُـــــمْ

فَـرغوا دَّا الأكْواسْ ارفعوا قطعانـكُـم

ساتـْجيكُـــم أيَام تَـحتاجُـوا الأوَانِـي[3]

وعن طريق الجامع يقول:

وطَرِيْـــقْ الجَامعْ لـــسْ شَياً يخْـطيه

وكانوا يغسلون ثيابهم أيضا ترحيبا به ، ودليلا على التقدير لهذا الشهر المعظم، فيقومون بغسل الثياب وتنقية أنفسهم وحتى منازلهم:

مَـن لُ ثـوبا يغْسلُ الصَابون يُنظـرْ فِيه

هَـــذَا شَهـرا فَاضِل، وَهُـو، واللّه يَعلـمْ[4]

---

[1]- محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص:22، 24.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:406. .

[3]- نفسه، ص:405-406.

[4]- نفسه، ص :406.

إلا أن هناك من كرهه واعتبره بمثابة الهم، مع العلم بانقضائه فربما لعدة أسباب أولها لفـــقر الطبقتين الأخيرتين خاصة طبقة العامة[1]، وأيضا المدمنين على الخمر واحتساءه في كل الأوقات وعنه يقول:

الصِيامْ تبْكِي هَمـــــه؟

وأيضا: بالنَبيْ يا جَماعَـــــــة

أيَامْ الصَّوم فِي سَاعَة يْتـُـــــــــمُ[2]

ومن الآثام التي ارتكبوها في هذا الشهر هو شربهم الخمر بعد الفطور ولا يتوقفون عنه إلا عند سماع صوت الديك وهو بمثابة آذان الإمساك:

أمْليْ كَاسكْ وْ[اشربه] وانْضَربْ واتْفرشَـــــــنْ

بَخْ بَخ، كَانْ كَـانْ كَان قَعْ قع قَع قــعْ قَـــــــعْ

واسْمع الدِيك يـَــذَّن "واشْ باللهْ يْصبَـــــــع"[3]

أما ليلة 27 من لرمضان توقد الشموع في الجامع[4]، ليحل شهر شوال الذي ترى فيه الدنيا في إقبال بهجة بقدومه عن طريق الاحتفال بشرب الخمر:

وْيـــــــجِي شَهـــــــرُ شَـــــوَّال

وتَـــــــرىْ الدُنيا فِي إقـــــــبَـالْ

كُـلُ أحَدْ وهِلالْ فِي كـــــــــؤُ

---

[1]- يَا سيَدَ الدنْـيـَـا أبْدل ليْ حالِـي

واعْطِني ما نْنمُـــق فِي ذِي البَطالةْ

بِـالصيام قَد صِرتْ نَاحل ضَعيـــفْ

أنظر: ابن قزمان، المصدر السابق، ص:303.

[2]- نفسه، ص:404-405

[3]- نفسه، ص: 170.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:76.

وأيضا: فَـهو يــسُوق السُرورْ للنَاس والمَسرَجَان

وقُل لُ: أين كُنتْ؟ لمْ تظْهرْ اليَوم زَمانْ[1]

وفيما يخص احتفال العيدين، فقد أسهب ابن قزمان في وصفهم وبخاصة العيد الصغير فذكر أنهم يخرجون للسوق لشراء الملابس يوما قبله وبخاصة الأطفال وينتظرون قدومه مبتهجين فرحا وسرورا به:

وكِنقُول:ليْتَ شِعرِي العِيد مَتى نَراه

وعن شراء الملابس يرد: العــيـد هُو أعْطني مَكَن نَصيــبَك

شَـراً حَوايجْ عَـليَّ مِن السُـــــــوقْ[2]

ويوم العيد يلبسون ثيابهم الجديدة[3]، أما عيد الأضحى الذي يصادف العاشر من ذي الحجة[4] يتم التحضير له مسبقا بأربعة أيام وحتى عشرة أيام ويعلمون الزرايب لبيع الكباش لمن يملكها، كما يسنون سكاكينهم[5]، وبعدها يخرج الرجل ليشتري الأضحية، والغني يحمله له الحمال والفقير يحمله هو على ظهره لكي يتجنب بعض التكاليف:

مِــنْ أَوَّل العَاشُور فَكَّر فِي عِيدَك

الــحَبلْ وقْت الطَبق لَيْسْ تفـيدكْ

مَّــرَّ اشتَري كَبش عَلى اخْتيارك

واحْملْه عَلَى حَمالْ والقِيه فِي دَارك[6]

و يوم العيد يذهبون للصلاة لأن رسول الله قال:" إِنَّ أَوَّل مَا نبدأُ مِن يَومنَا هَذا أَنْ نُصلي ثمَّ

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:371،405

[2]- نفسه، ص:169،372

[3]- نفسه، ص:324.

[4]- محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص:22.

[5]- مَن غَدا يرْشو السُور والزَرايِب تسْمر

أنظر: ابن قزمان، المصدر السابق، ص:259.

[6]- نفسه، ص: 272-273.

نَرْجِعُ فَننحِر فَمن فَعل فَقدْ أَصَابَ سُنتَنا"[1] النحر يربطون رجليه ويديه ويوجهونه نحو الـــقبلة ويذبحونه:

خُذْ الحَبلْ وارْبطْ يديه ورِجـــليـــه

ورُدْ القـبلةَ وْسدْ عينَيـــــــــــه

وَأبْرُكْ عَلَى صدره وألْقي حَديـدَك[2]

وبعدها يشوون اللحم ويقون كذلك لمدة ثلاث أيام:

مَن يَرانِي ثَالث عيْد وَاَنَّ نْقطعْ ونْشويْ[3]

أما الفقراء فيكتفون بذبح ماشية صغيرة حتى لا يستطيعون سلخها فيشبه أضحيتهم بحبة البصل:

عَن ضَحِية ذَّبحْتْ رأسْ مِنْ البَصَّل

حيْثُ لسَلخه فَلمْ نجِدلَه كُـــرائْ[4]

لكن يعود ليذكر أن العيد مصاريفه جد مكلفة:

ثَقلَة العِيدِ في حَملانْ الكِباشْ والقَرايبْ[5]

ويجمع العيدين عدة تقاليد تمثلت في الخروج لصلاة العيد،كما يذهب أهل الأندلس للتصافح وزيارة القبور:

بِالخُروجْ للمُصلَى تْنطفِي ذِي الحَرارَة

كما يخرجون في كامل زينتهم وبخاصة يبالغن فيها ويذهبن للمقابر ظاهرا فيهم زيارة موتاهم، وباطنهم التبرج وإثارة الرجال:

كَلّ وجـهاً مزيَن ليْلة العِيدِ هُو بَـــره

والبُكا بالمقَابـرْ على الأحْبابْ ذُمـــرَه

---

[1]- البخاري، المصدر السابق، ص: 199.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص273.

[3]- نفسه، ص:295.

[4]- نفسه، ص: 369.

[5]- نفسه، ص:173.

احْـتفَالُ المَبَايِعْ فاحتفال المسَـــــرةِ

ودُمُـوعُ التـرَحم فِي ثيَـابِ الشَطـارة

وعن تبادل الزيارات:

ثُم نْلبسْ ثِيابِي ونْجيكْ للزِيارةْ[1]

وفي بعض الأحيان يتضايق المجتمع الأندلسي من العيد ويعتبرونه مجددا لأحزانهم لا غير:

قُل لِي: يَا عِيد: فِيما يَسُرني جِيتْ

وتْجدَدْ عليَّ ما قَد نسِيـــــــتْ؟[2]

وفيما يخص عيد عاشوراء فهو للحلوى و الفواكه[3]، مناسبة عظيمة يصادف ذكرى استشهاد الحسين بن أبي طالب، تلقى القصائد والخطب ، كما يصوم البعض منهم في هذا اليوم[4]، أما يوم الجمعة فهو بمثابة عيد الأسبوع يقيمونه بالصلاة لأن واجبة وتاركها لا يقضيها بمثلها[5]، كما نال المولد النبوي حظا وافرا من الاحتفال لأن له مكانة دينية فهو عيد مولد أشرف الخلق لقوله سبحانه وتعالى:"**وإنكَّ لعَلَى خُلقٍ عَظِيم**"[6]، إلا أن أهل الأندلس ضخموا فيه وجعلوه مناسبة رسمية خالدة فيقيمون في يومه الولائم ويقسمون الطعام على الفقراء، كما يجتمعون للمديح في رسول الله صلى الله عليه وسلم،كما يجتمع فيه الأهل و الأقارب، بالإضافة إلى الاحتفال بالمولود الجديد وختانه[7]، وكما يره ابن قزمان أن له تقاليده الخاصة بحيث يأتي الأقارب للتهنئة وبعد اجتماعهم يخبئونه يخبئونه وراء الستور ويقولون بعض الكلام ويضعون البخور ويكتبون بعض التعويذات حول المهد:

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:174.

[2]- نفسه، ص:453.

[3]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:76.

[4]- محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص:24.

[5]- ابن عبدون، المصدر نفسه، ص:76.

[6]- سورة القلم، الآية:04.

[7]- محمد بشير العامري، المرجع نفسه، ص:17.

مَا أَحْسنْ أَخْلاقَه تَجدْ

مَن يهنِي بولَـــدْ

اخْبِيُوه خَلفَ السُتورْ،

وَاكْثِروا من النُدورْ

واطْلقُوا حَولُ البُخورْ

واكْتبُو بالزَنجفُـور

مِن حوالين المهْـد:

قُل هَوَّ اللهُ أحـــــدْ.[1]

وإن كل تلك الاحتفالات يتوسطها باللهو والطرب ويصطحبه احتساء الخمر وعادة ما يتم التحضير المسبق لهاته المواسم لتقام في أبهى حلة[2].

ب–الأعياد الموسمية: وهي التي ذمها الفقهاء واعتبروها من البدع، ويتم الاحتفال بها في المنازل فاشتروا التماثيل[3]، والحلويات في عيد يناير مثلا ويقول عنها صاحبنا:

الـحَلوَى يْعجْن والغـِزلانْ تُباعْ

يفْرح لِينِيـــــرْ مَـن مَاعهْ قِطاعْ

ويكثرون من شراءها وشراء الأثمار:

تَرتِيبَ الأثْمـارْ هُوَّ شَياً غـرِيـبْ

اللَّوزْ و القَسطلْ[4] و التَمر العَجيبْ

[1]– ابن قزمان، المصدر السابق، ص:448-449.

[2]– ابن الخطيب، اللمحة...، المصدر السابق، ص:28

[3]– محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص:44.

[4]– شجر مثمر من فصيلة البلوط، له ثمر يأكل مشويا، كما يعرف بالأندلس باسم القسطون، وهو أصناف منه البرجي، كما يستعمل أهل الأندلس منه الخبز وقت المجاعات عن طريق طبخه بالماء بعد تنقيعه. أنظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، د.ط، دار غريب، مصر، 2001، ص:30.

الجَوزْ و البَّلوطْ والتِينْ والزَبيبْ[1]

ويسمى يناير بعيد لعجوز، فترتب المائدة بكل أنواع مقلدين بذلك النصارى المكسرات والفواكه[2].

كما يلبسون الثيـاب الفاخرة وكأنه عيد المسلمين، كما يدعون بعضهم البعض وهو متوارث عن السلف:

إنْ جَّانِي يَنيرْ وْجانِي الاحْتيـارْ

بُدَّ لِي أنْ نَلبس ثِيابِي الكِبارْ

ونَعمل دَعوة وْنَنذِر كُل جـارْ

وحَسبَك يَّنِير ونْعملْ مِن العِيد[3]

ومن الأمور التي اهتم بها أهل الأندلس ورافقتهم في كل الأحيان هي النظافة والمظهر الذي يدل على ذلك وجود الحمامات فقرطبة وحدها فيها العدد الكثير من الحمامات المزينة ذات الأبراج الجميلة[4]، فكثيرا ما ترددوا عليها ويقول ابن قزمان:

عَجبْتنِي نَفسيْتيْ أيَـــــــــاهْ

حتَى كَسرتْ شَّعرِي فِي الحَماهْ[5]

---

[1]-ابن قزمان، نفسه، ص:232.

[2]- كَان الميْـدَة دَار فِيها زَوافْ

والحلُون فيْها عَروسة بـتَّـــاع

أنظر: ابن قزمان، المصدر السابق ص:233.

[3]- نفسه، ص:155.

[4]- ابن سهل(أبي الأصبغ عيسى)، وثائق في شؤون العمران في الأندلس" المساجد والدور"، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، مر: مصطفى كامل إسماعيل و محمود علي مكي، معهد التربية للمعلمين، الكويت، 1981، ص:133.

[5]- ابن قزمان، نفسه، ص:278.

لأنهم أشد الناس اعتناء بالنظافة سواء في اللباس أو أجسامهم فيصبرون للجوع لكي يشتري قطعة صابون ليغسل ثيابه فيقول:

مَن لهُ ثوْبا يْغسَلُ الصَّابونْ ينْظر فِيهْ[1]

وبالتالي كان للمجتمع الأندلسي عدد من التقاليد و العادات التي تميزوا بها عن غيرهم، من الخصوصية في الزواج و اللباس و كذا تقاليدهم الخاصة في الجنائز و تحضير الطعام، وعرفت احتفالاتهم اللهو و المرح وتوسطها العديد من المفاسد التي سنتطرق لها بالتفصيل في الفصل الآتي.

1- نفسه، ص: 407.

الفصل الثالث:

اللهو والترف:" أسبابه ومظاهره:

- المبحث الأول: أسباب اللهو و الترف
- المبحث الثاني: مظاهر اللهو و الترف

1- الخلاعة و المجون

2 - التأثر السلبي بالنصارى

المبحث الأول: أسباب اللهو و الترف

لقد ظهر بالمجتمع الأندلسي عدة من المفاسد الأخلاقية التي لا تمد للإسلام بصلة، إلا أن الأمر لم تنشأ هذه المفاسد والمنكرات من العدم فقد جاء ذلك نتيجة الترف[1] والرخاء الذي وصلوا إليه، وبالتالي يجرنا الحديث إلى التطرق **للأسباب الحقيقية التي أدت إلى تلك المنكرات:**

1- الميول الدنيوية للفقهاء:

إن المتهم الأول في هذا الصدد هو عزلة الفقهاء والعلماء عن المجتمع فأهملوا الوعظ فيه، وكذلك الاهتمام بفروع المذهب المالكي دون الأصول فحدثت الفجوة بينها وانزلق المجتمع في المعاصي و الخطايا، كما انشغل الفقهاء بملذات الدنيا حتى أنهم اكتسبوا الجواري الحسان وجلس البعض منهم في مجالس اللهو والشراب[2]، وعن الأمر يذكر بن قزمان أنَّ الفقهاء في النهار على أمر الطاعة والدين وفي الليل على شاكلة الخمر وكأسه:

فقيي أن خمَّارْ من رُوحيْ نعـملْ
فـلسْ كِتَّكوْن عِمامْ أَشْكُـــلْ:
إن لمْ نلقىْ قَالِسْ نلْقى جُـلجُـل
تَراهْ أَمسْ ديـلكْ واليومْ قباعـةْ

والديك هنا مستعار في الفقيه وعلى القلنسوة التي تعلوه دون فائدة، وبالتالي تذهب هيبته وسلطته في إصدار الفتاوى التي تنهى عن النكرات فكيف تنقاد له الحاشية وهو أصلا ليس أهلا لما يصدره[3]، وعليه تغيب الرقابة: نَّـــشربْ المَليحْ وتَّسقيْـــنِـي

[1]- هو التنعم في الدنيا بمختلف مظاهرها، والمترف هو من أبطرته النعمة وإطلاق للشهوة، و الترف هو سعة العيش والطغيان فيه. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص:429

[2]- راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح حتى السقوط، ج1، ط1، مؤسسة اقرأ، مصر، 2011، ص:528.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 108.

لاَ رقيْبه عَلينَا ولَا حاكِم: كَذا أملعْ[1]

بل والأدهى من هذا جلس الفقهاء مع العامة لترشق كأس، ومن الأكيد أن تذهب هيبتهم:

وَفـقِـيـه النـُـــوَّار إنَّـــما هُو الخَيـــرِي

بِالـنهَار يُـوري وَقــارْ وتـَرى بَـــيـــع مـُــري

وإذاَ كـــانَ اللَـّيـــلْ يمْضي لِلكـــأسْ يْجـرِي[2]

أما السبب الأقوى هو ابتعاد العامة والخاصة عن الدين لا سيما أن العامة غالبا ما كانت تقتدي بالخاصة وهذه الأخيرة كانوا منغمسين في حياة اللهو والمجون على الرغم من مكتسباتهم الدينية الجليلة وهو الأمر الذي لم يلق له العامة تفسيرا، فطبيعي أن تضيع الأخلاق بين الخمر والهتك في الأعراض[3].

فلا بد أنَّ هذين السببين وجيهين لتمزق حال المجتمع و بغض النظر عن الأسباب الأخرى، فظهر عدد من الفواحش وانهارت القيم الأخلاقية، كما ساد في البلاد المنكرات نتيجة سيطرة الطبقة الأرستقراطية وكانت أفعالهم دعوة للاستبداد[4]، ولما رأى المسلمين حالهم من التنعم وطيب الأرزاق[5]، ظهر الترف بمختلف مظاهره[6]، وقيس على ذلك قوله تعالى:"**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**"[7]، وهو ما وقع فعلا وكان سببا في سقوطهم، وحتى أكابر القبائل المرابطية كلمتونة، تولت قطع الطريق ومصاحبة الخمر[8]، برغم ما عُرف عُرف عن المرابطين بشكل عام في تطبيق حدود الله سبحانه وتعالى، وبخاصة في الأندلس كونه مجاور لبلـد

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:416.

[2]- نفسه، ص: 420.

[3]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ج1، ص:529.

[4]-أنور محمود الزناتي، المرجع السابق، ص: 88.

[5]- يوحنا أفندي أبكاريوس، المصدر السابق، ص:27.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المعجب...، ص:241.

[7]- سورة الإسراء، الآية: 16.

[8]- عبد الواحد المراكشي، المعجب... ، ص:125.

النصارى، وحتى النوازل[1] عملت على الحد من تلك المنكرات، و ظلت تندد بتحريمها وإبطالها قطعيا[2]، كما أن بن قزمان أورد لنا زجلا في هذا الصدد:

حَاكِم المُسلمِين وقَاضي القُـــضاْ،
وَ وجَدناه عندَ الأُمُور العــِظــاْمْ،
وإذَا الْـــــتَّمَسَ لِلنَوازِل ظَـــــلاَم
قـَـام لُ فِيه رَايي مِثلَ السِراج ألمُنيرْ[3]

وحتى أن الفقهاء ورغم سلطتهم فشلوا في أحكام القبضة على تلك الآفات فبانت الانحرافات و كثرت الأهواء[4]، ويجب أن نشير إلى أن هذه المفاسد وجدت جنبا إلى جنب مع الجهاد ضد النصارى[5]، و ربما كان لمجاورتهم لهم الإقتداء بهم وكان من أهم أسباب الانحلال الخلقي بالرغم من الحروب التي لم تنقطع (سنتطرق إلية بتفاصيله في المبحث الخاص بالتأثر بالنصارى)[6]، وللأسف هم الأمر الذي يُظهر لنا أن المرابطين اهتموا بجانب و أغفلوا الجوانب الأخرى التي تسببت في إضعاف دولتهم وزوالها فيما بعد[7]، ولأنهم انصرفوا إلى التمتع بمباهج الدنيا فانحرفوا عن جادة الصواب وقضوا

[1]- هي تلك الحوادث الفقهية اليومية التي تنزل على الناس فتوجه الفقهاء في البحث عن الحلول الشرعية لها، وهي مدعاة للاجتهاد ولاستنباط الأحكام، وتكون قاطعة لتلك المسائل، وتقع أو تنزل تدريجيا حسب المشاكل التي تقع بالمجتمع، وأبرز تلك النوازل الأندلسية كانت لابن سهل بن الأصبغ و نوازل عبد الله بن الحاج. أنظر: ابن لب الغرناطي(أبي سعيد)، تقريب الأمـــل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، تح، حسين مختاري وهشام الرامي، إش: مصطفى الصميدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص:36-40.

[2]-كنوازل الونشريسي، ابن عبدون و عبد الرؤوف في الحسبة، العزفي، ابن سهل، ابن لب...

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:150.

[4]- أنور محمود الزناتي، المرجع السابق، ص: 88-89.

[5]-راغب السرجاني، المرجع السابق، ج1، ص:561.

[6]- يوحنا افندي أبكاريوس، المصدر السابق، ص:48.

[7]- راغب السرجاني، المرجع نفسه، ص:525-526.

أيام حياتهم في مجالس خمر و ملاح وصيد ولهو وليالي طرب وغناء ورقص دون حـــرج[1]، ولـــذلـــك

2- الخمر ومجالسه: لقد شاع بين العامة والخاصة، رغم أن الله سبحانه وتعالى حرمها في كتـابـه العزيز بقوله:"**يَا أَيُهَا الذِين آمَنوا إنَّما الخَمر والمَيسِر والأنْصابُ والأَزلام رِجْسٌ مِن عَمل الشَيطَانِ فَاجْتَنِبوهُ لَعلَكم تُفلِحون**"[2]، وكما أن الفتاوى جاءت بوجوب تخريب دياره التي كان يباع ويشترى منها في البلاد فأُمر بحرق منازل بائعيها[3]، بالإضافة إلى الرسائل الأميرية للقضاة والفقهاء والفقهاء لتكسير دنان الخمر في البداية وكأنه محاولة من المرابطين الأوائل للفصل بين المظاهر الفاسدة لعصر ملوك الطوائف وعصرهم[4]، لأن شرب الخمر قد شاع خلال نهاية القرن4-6هـ/10-11م، ولا ولا أستثني بكلامي هذا أحد بل الحاكم والمحكوم على حد السواء؛ لأنهم وُلعوا به ووصل الحال بالأمراء في شرب الخمر في المجالس أمام الحاشية والموجودين كلهم، ولم لا يجد في الأمر حرجا ولا عيبا[5]، فمثلا المتوكل الذي كان يُبعث له الخمر والورد كهدايا ويقبلها دون حياء واستعمل تلك الهدية الهدية أنسا ليلته[6]، وكذلك المعتضد[7] الرجل المثقف المهذب والمحبوب من طرف الحاشية كان لا يغفوا يغفوا من سكره ساعة ولا يبقى برهة دون احتساء خمر؛ لا في المجالس ولا على كرسي الملك بل وحتى

---

[1]- محمد مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص:246-248.

[2]- سورة المائدة، الآية: 90.

[3]- الونشريسي، الأحكام...، ص:409،528.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:333.

[5]- رينهارت دوزي، نظرات في تاريخ الإسلام عصري صدر الإسلام وملوك الطوائف بالأندلس، د.ط، دار ومكتبة بيبليون، بيروت، 2005، ص:102.

[6]- ابن دحية، المصدر السابق، ص: 34-35.

[7]- هو قطب رحى الفتنة، ومنتهى غاية المحنة، قسم فترة حكمه إلى عهدين تمثل الأول في حماية حدوده وتوسيع رقعته، والثاني خصصها لمجالس المرح والخمر والمنكرات، وله لأبيات في الخمر منها:

شَربْنا وَ جَفْنُ اللَيْل يَغسلُ كُحلهُ بِماء صَباحِ النسِيم رقِـــيقُ

مُعتقة صَفراءُ أمَّا نجَارهَـــا فَضةٌ وأما جِسمها فَدقيقٌ

أنظر: ابن دحية، المصدر نفسه، ص:26.

أمام الرعية أجمع[1]، كما رأى الملوك أن الشرب يسلي الهموم ويفرح النفس[2]، واستمروا في شربه غير مكترثين للأحكام الدينية[3]

وحتى الرعية أطلقوا العنان في احتسائها لأنهم وجدوا المسئول يعانق الزجاجة يوميا فأصبح أمرا طبيعيا[4]، والمثل التالي يؤكد ذلك"**القطاع والقراع، ويجي الشرابة من سباع**"[5].

ومما شجعهم على ذلك أيضا هو تساهل بعض القضاة مع شاربيه فمن بين ما حفظته لنا النوازل أن القاضي ابن حمدين جاءوه برجل وجدوا بين يديه الخمر[6] فقضى الحكم بالعفو عنه[7]عوض أن تكون تكون عقوبته ثمانين جلدة لأن في ذلك مضرة فشارب الخمر يسكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فتحدث الفتنة[8]، نتيجة غياب العقل لأنه إذا غاب العقل قبح الفعل[9] وهو ما أقره ابن قزمان في حالة السكر والهذيان في الطرقات بالفواحش والسوء ولا يترك نساء و لا رجالا لأنه لا يعي ما يفعله:

ثُم نَشتِم لالـيْف إذَا نلتهـــِمْ

ما كَفى الغَيرة إلاَّ عادْ الشَتمْ[10]

حتى أنهم تجاوزوا قول رسول (الله صلى الله عليه وسلم)، عندما نهانا عن الجلوس بالطرقات فقال: "**إيَاكُم وَ الجُلوسْ بالطُرقاتْ**"[11]، وبالتالي فإن الخمر مفتاح للآثام ويجمع القباح من التصرفات

---

[1]- رينهارت دوزي، المرجع نفسه، ص:102-103.

[2]- ابن بلقين، المصدر السابق، ص:186-187.

[3]- قال (صلى الله عليه وسلم):"**مَن شَربَ الخَمر فِي الدُنيَا ثُمَّ مَاتَ ولَم يَتُب حُرمَها فِي الآخِرةْ**" أنظر: البخاري، المصدر السابق، ص: 1176.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:333.

[5]- الزجالي، المصدر السابق، ج1، ص: 258.

[6]- أنظر ملحق رقم(6)، ص:

[7]- الونشريسي، المعيار...، ج2، ص:410.

[8]- الماوردي (أبي الحسن)، نصيحة الملوك، تح:فؤاد عبد المنعم أحمد، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1988، ص:25.

[9]- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج7، ص:1166.

[10]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 101.

[11]- البخاري، المصدر السابق، ص:1274.

حتى ولو كان متخذا من التمر فهو خمر[1]، لأنه (صلى الله عليه وسلم) قال: **"كُلَّ شرابٍ أسْكَر فَهوَ حَرام"**[2].

كما أن شاربها هو شارب لها وإن سماها بغير أسمائها[3]، ودليل هذا ما أورده بن قزمان في تعديد وإحصاء أسمائها و كأنه يحصي فيها واحدة تلو الأخرى:

وْيسْكُبُوا لعَين الأكْحل اَشْ ذنْب الكُحولْ؟

بِـــينُوا بِـــينُوا ودعْنى مِمايقَـــالْ

يْـــحـــلَى لِـــي شـــرْبه العُـــقـــارْ [4]

وهو حقيقة ما أخبرنا به رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **"يَأتِي أنَاس مِنْ أمَتي يشْرَبونَ الخَمْر ويُسمونهَا بغَيــر إسْمِها"**[5]، وديوان بن قزمان صورة عن قوله عليه الصلاة والسلام؛ ففي أزجال أخرى جاء الكثير من أسمائها، كذلك أوردها صاحب المُطرب بـ: الشمول والصهباء[6] و قهوة[7]، وللإشارة أن هذه التسميات كلها كانت شائعة و متداولة في المجتمع الأندلسي حسب قول قول صاحبنا الذي يحفظ أسمائها كلها ويعلمها لمن يجهلها:

تَحفَظ أسْماهَا؟ سَـــأقول لَـــكْ "لاَ"

---

[1]- ابن تومرت (محمد المهدي)، أعز ما يطلب، تح، عمار طالبي، د.ط، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،2007 ، ص: 256 ، 354.

[2]- البخاري، المصدر نفسه، ص:1177.

[3]- العبدلي (عبد الله بن سعد الغامدي)، عقيدة الموحدين في الرد على الظلال والمبتدعين، تح:سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط2، دار الطرفين، مكة، 1419، ص:18.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 114، 296، 461.

[5]- البخاري، المصدر السابق، ص:1175.

[6]- نسبة للونها الأصفر المائل إلى البياض. أنظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المرجع السابق، ص:92.

[7]- ابن دحية، المصدر السابق، ص،99.

قُل لِ:"خذ، نَملا مِنهَا أُذُنيك مــلَا:

هِـيَّ هِيَّ القَهوةُ والمُدامُ والطَـلا[1]

والــحِميا وَالخَندَريسْ[2] والـــرَاحْ[3]

ولم يكن التغني بأسمائها في هذا العهد فقط[4] بل شاع ذلك أيضا أيام ملوك الطوائف ومثال ذلك ما جاء على لسان الشاعر ابن زيدون[5] في إحدى أبيات له:

وشَادنٌ أسْأَلُه قَهْوةْ فِي دَ القَهْوةِ والوَردِ

والشادن يقصد به الخمَّار أو ساقي الخمر[6]، كما ذكرها بالمدام والحمراء و المراح والصفراء[7].

بالإضافة إلى هذا برعوا في وصف كأس الخمر وسقاته فمن قول ابن عبد ربه[8]:

لَكُما عَلَنِي مِنَ الرَاحِ صَرفـاً عَلَنِي بالرِضابْ مِن شفَتَيـهْ

بِـأوَل الكَأسِ وإسْتَهَال بِخَلْطِ فَسقَتنِي عَينَاه قَبل يَدَيــهْ

ولما نعرفه عن ابن عبد ربه أنه عاش في عصر ملوك الطوائف[9] إلا أن حب الخمر ووصفه استمر حتى عهد المرابطين ولم تفرق حتى الكلمات في وصف ساقيها وحتى شربها فيطربنا بهذا بن قزمان قائلا:

---

[1]- كالقطران وما يطلى به تسميه العرب كذلك، والطلا ما طبخ من شراب العنب. أنظر:رجب إبراهيم، المرجع نفسه، ص:93.

[2]- هي الخمر القديمة والمعتقة. أنظر: المرجع نفسه، ص:86.

[3]- نسبة لارتياح شاربها، و الراح هو اللون الأصفر. أنظر: نفسه، ص:86.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:312.

[5]- أبو الوليد أحمد ابن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي الشاعر المشهور، نظَّم البديع من الشعار؛ عاش في بلاط المعتضد بن عباد، توفي سنة 463هـ/1070م. أنظر: ابن خلكان، وفيات...، ج1، ص:139-140.

[6]- ابن زيدون ، ديوانه، شر: يوسف فرحات،ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص:68.

[7]- نفسه، ص:11

[8]- أحمد بن محمد بن عبد ربه، نابغة في الشعر وله في الأدب والشعر، سما أشعاره بالمحصات، كما يسمى بشاعر الأندلس له كتاب يسمى بالعقد الفريد، توفي في 328هـ/940م. أنظر: الحميدي، المصدر السابق، ج1، ص:164.

[9]- ابن عبد ربه الأندلسي، ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، تح: محمد التوجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ص:27.

إنَّما يجْعلْ الشَرابْ صُـــبه صُبهْ

وتَرى فَمهُ فِي القَطيعْ، عُبه عُبهْ

وهُو هَابطْ لِمعدَتِــه، دُبهْ دُبهْ [1]

وعلاوة عن هذا كله يذكر إمام الزجل أن شرب الخمر كان منتشرا قبلا في عهد بني أمية[2]، وكذلك زمن بني العباس[3] وكأنه يريد أن يفصح أن الخمر لا حرج في شربها لأنها وجدت من قبل إذ لا يمكن يمكن الإقلاع عنها، ولا لوم على عصر المرابطين:

فَبنِي العَباسُ بِحالِـــي كَانُوا أَو بَنِي أُمَّـــــيَّ[4]

وبالتالي نقول أنَّ المجتمع الأندلسي وصلت درجة حبه للشراب إلى الهيام به، فلا لذة ليومهم إذا مضى دون شراب حتى أن ابن قزمان يشير إلى ذلك:

البَقَا بلاَ شُريـــــــــبه أَبغَض الاشْيـــا إلَـيَّ

وأيضا: لَـــسْ نَعد اللَّذة لَّـــذَة ولاَ يَدُ الرامِ راحَـــة

حَـــتَّى تَدخل شَفتُه الكَأسَ بالشَرابِ بَيْن شَفَتَي

[1]- ابن قزمان، نفسه، ص:321.

[2]- حكموا الدولة الإسلامية بعد الخلفاء الراشدين، تربعوا على سلطان المشرق والمغرب، فتحت على أيديهم شبه الجزيرة و كانوا على المذهب المالكي سقطوا سنة 132هـ/750م. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج3، ص: 3-9.

[3]-حكمت الدولة الإسلامية بعد الأموين، وتنسب هذه الدولة لأبي العباس عم رسول الله (عليه الصلاة والسلام)، قام بأمرها أبو أبو العباس السفاح فهو من دعي وخطط لها، هو من أسقط حكم بني أمية مع أتباعه، ورغم مجهوداته إلا أن مؤسسها الحقيقي أبو جعفر المنصور، كانت على المذهب السني المالكي، أقام لها المرابطين دعوتهم. أنظر: الداودي (ابن أبيك)، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: دوروتيا كرافولي، ج5، د.ط، قسم الدراسات الإسلامية، بيروت، 1996، ص:4-10.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:69.

وعن مجالس الشرب يقول يذكر ابن قزمان أنهم يجتمع السكارى في مكان واحد ويرتشفون من كأس واحدة وتبقى تلك الكأس تدور عليهم كل ودوره والساقي واقف يملئ لهم:

قُمْ عَلي صَاحبَ حَتَّى نْسْكَـــــرْ

وَأَحْفر علىَّ شَرابَك عنْد الجُـــلاسْ

وأكْسُر عَقد أَصَابع يَد العَـــــلاَس

لا تَحرمُوني كَاسِي إِن دارْ الكَاسْ[1]

كما راجت تجارته بشبه الجزيرة فوجدت العديد من حانات بيع الخمر كما يذكر صـــاحبنا في الزجل التالي:

وشَـــــرَابَ فِي مُـــخَشيـــــرْ،

إِنْ جَعلْ صَّاحبَ الـــــــــدِيـــرِ

مَـــن لَفـــــظ تَحـــتَ أَيْـــــرْ[2]

رغم أن فيه أحاديث ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرم بيع الخمر والتجارة فيه:"**حُرِمَتِ التِجارَة فِي الخَمْرِ**"[3]، مع العلم أن ابن قزمان يعلم أن شربه عقوق لله سبحانه وتعالى وإرضـاء لإبليس لكنهم يصرون على احتساءه:

لَس عنْدِي قَـــوام ولَا فِـــــــــلاَسْ

غَير شُربَ الشَرابَ وعِشق المِـــــلاَسْ

نْرَضِي إِبْليسْ، إِلَى مَتـى ذَا العُقوقْ؟

فَهو شَيخُ سَو ولَه عَليَّ حُـقـــــــوقْ

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:58، 61، 124.

[2]- نفسه، ص:210.

[3]- البخاري، المصدر السابق، ص:450.

والشُريبة مِفتاحُ كُل فُســـــــــوقْ[1]

وإن تلك المجالس الخمرية كانت تتم يوميا وتعقد في الملاهي الليلية وفي المنتزهات الجميلة ووسط الغابات والأشجار والوديان والسفوح[2]، وجاءت أيضا في الديوان ويقول ما أجملها إذا كان مع حبيبه:

لاَ نَراه إلا فِيْ الـوَادْ والنْشُو وَالخُضَّر وَالظِّل

وأنَا معَّ المليحَـــــة نشربُوا وْ الطير تولوَل[3]

وبين البساتين و بخاصة أيام الربيع:

إذَا انْتلفتْ كَاسي فِي البُستانْ بَين الرَبيعْ

الوَرد نَجْني و أنَا نْرضَع فُوَّ القَطيـــــــعْ[4]

فيطيب لهم الشرب وسط جمال الطبيعة[5]، وأيضا أمام العيون والحامات، وفي الزوارق والأنـــــــهار[6]؛ وأواسط الثمار والنوار:

يْحلَى لِي شرْب العَقار لا فِي الـــدَّارْ

إلاَ فِي ظِل الثِمـــــارْ والنُـــــــوارْ[7]

و من بين أشهر المنتزهات التي كثيرا ما ترددوا عليها:

---

[1]- ابن قزمان، نفسه، ص:309-310.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس...، ص:95.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:118.

[4]- نفسه، ص: 230-231.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس...، ص:95.

[6]- كانَ عشِي القَطر في شَاطي النَهرْ و قَد زهَرتْ فِيه الأزَاهر الزُهرْ

تَرشُفهُ بمَاء الوَرد رَشاً و تُثنـــي لِتعليقِ أفْواه بِطيبَة الخَمـــــرْ

أنظر: ابن زيدون، المصدر السابق، ص:136

[7]- ابن قزمان، نفسه، ص:416.

منتزه شريش[1]العذب الجميل ، ومنتزه مرسية[2]الغناءة ببهائها[3]، وجبل الشرف بإشبيلية التي أمضوا معظم أوقاتهم بها[4]. إنه إذا ما تتبعنا ديوان ابن قزمان زجلا زجلا لا نكاد ننتهي من أمر حبه ووصفه للشراب ومجالسه وكل ما يتعلق به، لذلك سننتقل إلى مظاهر أخرى.

2- الغناء والطرب: تعد هذه الأخيرة إحدى الوسائل الشائعة في الأندلس التي استعملوها للترفيه وهو من الأمور السلبية، لأن سامع الغناء يتيه بعقله وقلبه[5]، فتغيب الروح وتحضر الملذة وبالتالي يكون يكون فساد الأخلاق والمجتمع[6]، إلا أنهم كثيرا ما رددوه على ألسنتهم وقد عرفه أهل الأندلس مع زرياب[7] أيام عبد الرحمن الأوسط وتواصل مع ملوك الطوائف وكذلك المرابطين واشتهر فيهم أبوا الصلت[8]، واقترن الغناء في هذه الفترة بالرقص و الأهازيج العالية ويتوسطها الخمر[9]، كما يضرب[10] بآلات مختلفة كالدف و البندير و المزمار والشيز ويقول ابن قزمان في هذا الصدد:

---

[1]- من كور شذونة، هو موضع رباط ومقر للصالحين، به الأبار الكثيرة، وهي حسنة الجهات وبها الخيرات العديدة. أنظر: الحميري، صفة جزيرة...، ص:340.

[2]- بضم الميم وسكون الراء، من أعمال تدمير بالأندلس، وهي ذات أشجار وحدائق عناء وجمال. أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص:105.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:335-336.

[4]- ابن الدلائي، المصدر السابق، ص:95.

[5]- وَاهاً لِذاكَ الْغِناء مِنْكَ لقَدْ أبلَغ لِلْقَلْبِ مِنكَ مَا خَافَا
تَاه بِألحانه عَلى البَحَر السفْـ ـنُ وهزَّ السرورُ أعطَافَـا
كَأنَه والقلُوبَ تألفُـــه أَلَّفَ منْها فَسُرَّ أضْعافَا

أنظر: الكتاني(أبي عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي الطبيب) ، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس، ط3، دار الشروق، بيروت، 1986، ص:104.

[6]- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج7، ص:54-55.

[7]- من أحد المشهورين المغنيين وكان يجري مجرى الموصلي في الغناء، وله العديد من الطرائف التي أخذت عنه، وكم من أصوات استفادت منه فألفت الكتب بها، وبفضل جمال صوته علا شأنه عند الملوك لإحسانه وجودت غنائه، وشهرته ضرب بها المثل. أنظر: الحميدي، المصدر السابق، ج1،ص:166.

[8]- من مشاهير أهل الأندلس في الآداب له كتاب سماه الحديقة، كان عارفا بالحكمة ومنجما، له فصاحة عالية انتقل عن الأندلس إلى الإسكندرية . أنظر: ابن خلكان، وفيات...، ج1، ص:741 ، الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص:244.

[9]- لاَ عَيش إلاَ في المُدامْ وقِينـــة تشْدوا عَلى وَتر فَصيحْ ألثَغ

أنظر: الكتاني، المصدر نفسه، ص:105.

[10]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص:51.

يَسِرُوا النَقْيـــرَة واجْعلوا الدُفَّ لليَدْ

واللهَ اللهَ، الشِيـــزْ لا يُفَـرط فيه حَـــدْ

وإنْ أَمكَن بْندير فالزْيَادَة أَجْـــودْ

أي أنه كلما كان الصوت أعلى وأسمع كلما حلى سماعهم أكثر[1]، كما استعملوا الرَبَاب و البوق ، وكثيرا ما ارتبط الغناء بالرقص المختلف[2]، وضربوا له المجالس حتى أصبح لا يعرف إسلامهم من كفرهم كفرهم رغم أن المحتسب نهاهم عن ذلك إلا أنّ حكمه ذهب في مهب الريح[3].

وفوق هذا كله كان يتم تلقينه في الأندلس أكثر مما وجد بالمغرب، فوجدت له المراكز التكوينية يشرف عليها معلمون ومربون، وذلك لتخريج جواري ماهرات في الغناء والأداء، وقد اختصت المرأة في هذا المجال دون الرجال لأنها هي أكثر حماسة وتسلية[4] خاصة عندما تتوجه إلى قصر سيدها لتطربه، وكانت الجارية الحذقة هي من تُختار للغناء في القصر وإلى جانب الغناء لا بد لها أن تجيد الرقص[5]؛ على ألحانه مع عذوبة صوتها، وللإشارة أن هذا الصنف من الجواري الجواري كنَّ أغلبهن من المولدات، كما بيعت الجارية المطربة خارج المدن الأندلسية إلى المغرب وإفريقية بمبلغ يصل ألف دينار مغربي أو أكثر لا لجمالها بل لرقة صوتها، أما الجارية الجميلة والحسنة الطرب والأداء فيصل ثمنها إلى الألوف من الدنانير[6]، وهذه الصورة وجدت زمن ملوك الطوائف ، فمثلا

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:70.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...،ص:337.

[3]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:113،111.

[4]- عباس الجراري، أهمية الموسيقى والغناء في حضارة الأندلس، التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا و المغرب، سلسلة الدورات، غرناطة، 1992، ص: 148.

[5]- تلثم الأوتـارمنـــها بنـــانا يعدل الأفواه إلا الرضـابـــا

تسبق الأبصار من وحي صوت تحسب لاترجيع منه انتهـاب

مثلما طار الجفون اختلاجـــا أو كما شقت بروق سحابـــا

أنظر: الكتاني، كتاب التشبيهات...، المصدر نفسه، ص:104.

[6]- عباس الجراري، المرجع نفسه، ص:148-149.

المعتضد المشار له قبلا كان يهيم بسماع الأغاني لدرجة إطرابه وهو يحتضر[1]، أما في حقبة المرابطين فديوان بن قزمان يفي بالغرض لأنه كما ذكرنا مسبقا أن ديوانه عبارة عن أزجال وهذه الأخيرة ما هي إلا طرب ولحن وغناء فوجدت لها أذان صاغية وإن لم يكن ذلك فلِما نجد صاحبنا في كل مرة يمتدح فيها الأمراء كعلي بن تاشفين ومحمد سير إن لم يكن أنهم استمعوا له وقربوه من مجالسهم وبما أن الزجل لحن فإن الأمراء أيضا استمعوا

للغناء دون شك[2]؛ وإن لم يكن كذلك فلما منعت الأزجال من قولها بالأسواق والطرقات؟[3]؛ فبالتالي هي من الغناء[4].

عقدت مجالس الغناء أيضا خارج القصر في الحانات وعلى الطرقات وهي من أبشع المناكر لأنها من العمل الفاحش المبتذل[5]، وحتى أن صاحبنا كثيرا ما ذكر هذا في الديوان:

وارْتَبِط الفُحْشَ وأشْرُبْ وانْطَربْ وْ غَنِي واطْهَل[6]

ولم يكن الغناء والرقص مرتبط بمناسبة معينة بل كان مشهدا يوميا لدى الخاصة وبشكل منتظم يقمن به جواري المتعة، لذلك كثر الفساد وسادت الرعونة في الأخلاق[7].

---

[1]- رينهارت دوزي، المرجع السابق، ص:183.

[2]- بِسعدْكْ يا رئِيس تقُوم أنفَاس الإسْلاَمْ

أنظر ابن قزمان، المصدر السابق، ص:151.بالإضافة إلى الثناء الذي قدمه لمحمد سير عندما أخرجه من السجن فلنا أن نعود إلى الملحق رقم(2)، ص:

[3]- ابن عبدون، المصدر السابق، ص:71.

[4]- عباس الجراري، المرجع السابق، ص:148

[5]- الونشريسي،المعيار...، ج2، ص:412.

[6]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:74.

[7]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:338.

بالإضافة إلى هذه المحرمات انتشر عدد من المنكرات الأخرى المتداولة لدى العامة والخاصة بوجه الخصوص إذ مالوا إلى لعب النرد[1]، وهو من البدع[2]المستحدثة التي حرمتها النوازل واعتبرته شيئا شيئا من القمار[3]، وقال ابن قزمان عنه:

لسَنه الشِطرنْج كَنلعَب الخُمَيسَة

والخميسة هي النرد على لسان أهل الأندلس[4].

3-الرشوة: انتشرت في أواسط الطبقة المتوسطة التي أدلت بها للخاصة لكي تمنحها بعض الوظائف[5]، رغم أن (رسول الله صلى الله عليــه وسلم) نهى عن هذا في حديثه قائلا: **:لَعَـــــنَ اللهُ الرَاشِي وَالمُرتَشِي وَالوَاسِطَ بَينَهُمَا"**[6]، والتي ستظهر آثارها فيما بعد بدليل قول بن قزمان الذي ذكر لنا أن محتسبا لا يستحق ذلك المنصب ويلوم في الأمر القاضي الذي منحه له، لأنه غير جدير به كون أفعاله لا تناسب منصبه:

قَاضِي المُسلِمينَ، اتْ هُو السَبَبْ:
كِيفْ أنَّك جَعلْــتْ ذَا مُحْتَسَبْ
ومُحَكَمْ فِي أمْرِ أهْـــلِ الأَدَبْ[7]

---

[1]- نفسه، ص:337.

[2]- البدع من الأمور المحدثة في الدين، وكل محدث ظلال ومذموم زيغ عن الحق لكي لا تبلغ حد الكفر. أنظر: محمد محمود، المعجم الوسيط، ط2، مكتبة الشروق الدولية، مصر،2003، ص:43.

[3]- ابن عبدون، المصدر نفسه، ص:111.

[4]- ابن قزمان، نفسه، ص:48-49.

[5]-سعيد بن حمادة، الرشوة في مجتمع في المغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي، مجلة كان، ع: 17، 2012 :89.

[6]- البخاري، المصدر السابق، ص:1456.

[7]-ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 455.

4-الحسد والنميمة والخيانة والخلف بالوعود والكذب: انتشرت هذه الآفات بالأندلس كثيرا فعن القسم بالله كذبا يقول ابن قزمان:

حَـــلـفـــتُ لَـــه عـــلَى وُجـدِي

لَّذَة العيشِ مُد كَـــان إلاَ فِي قَول رَسُول وكتابهْ

أنا نَرْضى نْموتْ ولا نْبلَـى بِالصدُودْ و العِتـــابهْ

أصَـــدق، باللهْ، كُـــنت عَـــنـْدي

قَـــبلْ أن تشَنْـــتـــر وتَحلْـــفه"[1]

5-السرقة: لقد جاء ذكرها في الديوان بحيث يقول بن قزمان:

كُـــل احَـــدْ يسْرقْ قَسيهْ في قَسيـــهْ،

أي مَصيبَة، يَا قَوم، الحَوسْ فِي الأمْن[2]

وكثرت السرقة بوجه الخصوص عند العبيد لأن العبد إذا شبع فسق وإن جاع سرق[3].

6-تفكك أواصر الأخوة والمحبة بينهم: عاش أهل الأندلس في منأى عن بعضهم البعض وانقسمت وحدتهم إلى كيانات فردية وهو ما أدلى به ابن قزمان:

[1]- نفسه، ص:70.

[2]- نفسه، ص:208.

[3]- الأبشيهي، المصدر السابق، ص:87.

لَس المَوت أَمَز لِي مـمَـا نَـمْشِي مِثل الـمُريـبْ

و المُريب هو الذي يمشي وحيدا دون رفيق أو أنيس كما يقودنا قوله إلى أمر آخر تمثل في انقطاع صلة الرحم وكذلك كثرة المشاكل والهموم يفضل بن قزمان أن يعيش وحيدا[1].

وبالتالي فإن المفاسد والرذائل كثرت وألقت بظلالها على المجتمع الأندلسي الذي أصبح لاهيا عن دينه و تأنق في الملبس والمشرب والمبنى والآنية من الفضة والرخام[2] وحتى فئة المرابطين التي تخلت عن بداوتها وخشونتها وانغمست في أبهة حضارة باعت بها تقاليدها وعاداتها الخاصة بعيدا عن المنكرات والرذائل[3]، وهو الوضع الذي وجده الموحدون سائدا في ذلك العصر فقالوا عنهم المهدي بن تومرت كلاما يخرجهم من الدين الإسلامي والكلام طبعا بالاستناد على قوله:"استزلهم الشيطان وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية والشرذمة الطاغية لمتونة". [4]

يتبين لنا من خلال هذا العرض أن المجتمع الأندلسي استغرق في الملذات والشهوات، غارقا في الخمر ومجالسه وفي الغناء وطربه وعزفه؛ متجاهلا الأحكام والنصوص الدينية وكذا النوازل التي تقضي بتحريم أعماله لأنها استباحة للدين ولا تمد للإسلام بصله حتى أن حكم ملوك الطوائف انتهى لكن أثاره لا تزال قائمة في عصر المرابطين رغم القبضة القوية من طرف الأمير، والأدهى والأمر من هذا أو ذاك نجد المجتمع في تفكك وصراع مع بعضهم البعض، قاطعين أواصر الإخاء والتآزر والتي هي من شيم المسلم، كما أكتسب تلك المفاسد عبر الوقت، حتى وجد نفسه مستغرقا فيها لا يستطيع التخلي عنها.

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق ، ص:182.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:216

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص،157.

[4]-ابن القطان، المصدر السابق، ص:103.

المبحث الثاني: مظاهر اللهو والترف

1- الخلاعة والمجون

إن مظاهر الفساد و انتشار المناكر في الأندلس لم يقتصر فقط على تلك التي سبق و أن تطرقنا لها، بل وجد ما هو أبشع وأخطر منها وكل ذلك كان نِتاجا للترف الذي عرفته شبه الجزيرة آنذاك وكذا لعدم الالتزام بالدين، فتعدت إلى الخلاعة والمجون[1]التي كانت موجودة بشكل واسع وبمظاهرها المختلفة لأن أهل الأندلس تعودوا عليها وأصبحت مألوفة عندهم بسبب أنهم أدمنوا على ممارستها أيام ملوك الطوائف فشغلت حيزا كبيرا من حياتهم وانغمسوا في الملذات، وسنتحدث عنها واحدة بعد الأخرى .

1- العزوف عن الزواج:

كانت هذه الظاهرة حاضرة بقوة[2]، وما يؤكد الأمر المصادر التي أسهبت في الحديث عن الجواري، فالمعتضد وحده ملك أكثر أو ما يقارب 800 جارية أصبحت الكثير منهن أمهات أولاده، والأخريات ظللن للمتعة فقط[3]، بالإضافة إلى المعتمد الذي كان له من الجواري الحسان وأبرزهن إعتماد الرميكية[4] التي فزعه جمالها واشتراها من أول ما رآها كان لها اليد الطولى في حكم مملكة بني العباد بل وحتى في سقوطها كما عكف المعتمد عن صلاة الجمعة متبعا ملذاتها وكانت سببا في فتنته[5]، كما أن له جارية قبل اعتماد كانت تذهب عليه وحشته الجنسية[6]، والجارية جوهر ووداد اللتان اللتان شغفتاه حبهما حتى أَلَّف عن هن الأشعار[7]، كما كان يغازل البعض منهن بالحركات فتذكر الكتابات أن إحدى الجاريات وقعت بين يديه ولباسها لا يكاد يفرق عن جسدها[8]، وإذا ذكر نساء

---

[1]- هما أمران متشابهين يجمعن من المفاسد وقبح العمل، والماجن من يرتكب المعاصي دون مبالاة من قيل وما يقال عنه.أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص:4142.

[2]- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص:430-431.

[3]- ابن دحية، المصدر السابق، ص:27.

[4] - من المفضلات لدى المعتمد صارت زوجة له أحبها من النظرة الأولى، كان كثير الميل والعشق لها أنشدها شعرا:

دَسَسْتُ اسْمَكِ الحُلو فِي طَيه "وأَلَّفْتُ فيه حُروفَ إعْتِماد"

أنظر: سناء الشعيري، المرجع السابق، ص: 90، المعتمد بن عباد، ديوانه، د.ط، د.د، 2000، ص:8.

[5]- رينهارت دوزي، المرجع السابق، ص:203-208.

[6]- عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص: 390-391.

[7]- المعتمد بن عباد، المصدر السابق، ص:3، 10.

[8]- علي أدهم، المرجع السابق، ص:124.

الأندلس فلا نستطيع تجاوز الجارية غاية المنى الأندلسية والتي كان يهواها المعتمد ابن صمادح[1] لدرجة هيامه بها حتى أن لجمالها عشقها كل من رآها[2]، وكان نادرا ما يحدث الزواج بين الجارية بسيدها كزواج المعتمد بالرميكية[3]، أما الأخريات ظللن فقط في إطار ما يسمى بإشباع الرغبات الجنسية[4]، وإن صاحب طوق الحمامة[5] له ما يشفـي الغليل حول الموضوع أيام ملوك الطوائف[6]، فكان لكثرة الجواري سببا في عزوف الرجل عن الزواج فقد جلس بين العشرات منهن يطربنه وتراقصن حوله[7]، كما كما جنح كل من المرأة والرجل إلى المفاسد الأخلاقية والوقوع في مكايد الشيطان فاستهوتهم المعاصي و غلبت عليهم الآثام فعظم البلاء من بعد ما تكالبت الشهوة وهان قبح العمل في هذا العصر[8]، وقد وقد تواصل نفس النسق عهد المرابطين، وهو ما يبين لنا أن المجتمع الأندلسي في هذا العهد لا يفرق شيئا عن زمن الطوائف فإن القصور قد عجت بالجواري وكن أكثرهن من الإسبانيات الشقروات اللاتي أظهرن زينتهن بجمال شعورهن وجلبن الإهتمام لهن من العطور الزكية التي استعملنها[9]، كما راجت الأسواق

---

[1]- هو أبو يحي محمد بن معنبن صمادح المعتصم التُجيبي، ينتسب إلأى امرأة اسمها تجيب، وهو من عائلة علم وأدب فائق، كما يعرف بصاحب المرية لأنه حكمها، جمعته نزاعات كثيرة مع المعتمد بن عباد أيام ملوك الطوائف، كونهما سيدا عصرهما، كان يحضر الشعراء و أعيان الوزراء في مجالسه اليومية، وله في الشعر العديد من القصائد. أنظر: ابن دحية، المصدر السابق، ص:44-45، عبد الواحد المراكشي، المعجب...، ص:251.

[2]- سَلْ غَايَةَ المُنَى ... مَنْ كَسَى جِسمِي الضَنَا

فَقَالَتْ وأَرانِي مُتَيمًا ... سَيقُول الهَوَى أَنَّا

أنظر: السمرقندي (يحي)، رسالة في نوادر العلماء المسلمين في الأندلس، ر:2232، د.م، ص:2 ظهر ب

[3]- رنهارت دوزي، المرجع السابق، ص:208.

[4]- عبد الإله بنمليح، المرجع السابق، ص:391.

[5]- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري عالم الأندلس، و أحد أئمة الإسلام انتقد الفقهاء فبغضوه. له من المؤلفات الجليلة عن الأندلس وفضائلها وأخبار حكامها وأهلها توفي 456هـ/1064م، من أعظم تلك المؤلفات طوق الحمامة في معرفة الألفة والألاف وهو مؤلف أدبي يتناول الحب وماهيته أيام ملوك الطوائف. أنظر: الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص:254-255.

[6]- ابن حزم، طوق الحمامة...، ص:19-20.

[7]- مجهول، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر، ر:1353، د.م، ص: 2 أوجه.

[8]- ابن حزم، نفس المصدر، ص: 207، 209، 216.

[9]- شوقي ضيف، المرجع السابق، ص:46-47.

الأسواق بهن[1]، وقد كان لهن دور مميز في حياة الأمراء المرابطين كلهم عدى يوسف بن تاشفين الذي استقر على زوجه زينب النفزاوية[2]، أما علي بن يوسف فقد كان يملك من الجواري الحسان تذكر النصوص التاريخية أن له ولد من جارية رومية؛ وأشهر جواريه قمر التي استطاعت بفضل ذكائها وجمالها أن تستميل قلبه وأبعدت كل منافساتها حتى أنها لجئت في بعض الحيان إلى قتلهن كما فعلت مع ثريا ودست لها السم البطيء الذي أقعدها طريحة الفراش لأربعين يوما قبل وفاتها وعجز الأطباء على علاجها[3]، وفوق كل هذا نجدها كثيرة التدخل في السلطة وبخاصة في ولاية العهد وكان الأمير دائم الرضوخ لها والانقياد لأوامرها[4]؛ ويظهر نفوذها وتأثيرها في أنها أخفت وفاة الأمير علي لمدة ثلاثة ثلاثة أشهر[5]، وأن بعض الفقهاء و الوزراء أيضا ملكوا العشرات من الجواري في قصورهن[6].

2- شيوع الزنا:

انتشرت هذه الظاهرة كثيرا بالأندلس وكانت حاضرة في كل الأوقات و الأماكن، وإن بن قزمان أكبر شاهد على هذا إذ أنه قام بالفاحشة وشهد للمجتمع بفعلها والإدمان عليها إذ يستعرض الأمر قائلا:

وَإِنْ كَانْ فِي الوَرَى مَن فِيــه

أَحَد الخَصليتَين، لَوَّاط أَوْ زَانــي[7]

رغم أن هناك العديد من الآيات الكريمة التي حرمت هذا كقوله سبحانه وتعالى:"**وَ لاَ تَقرَبُوا الزِنَا**

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:113.

[2]- زينب بنت إسحاق النفزاوية من شهيرات نساء المغرب، تتميز بالجمال والرياسة، تزوجت مرتين وفي الثانية كانت زوجة ليوسف ليوسف بن تاشفين فأصبحت هي المدبرة لملكه بحسن سياستها. أنظر: الزركلي، المصدر السابق، ج3، ص:65-66.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة...، ص:171-174.

[4]- عبد المنعم حمدي، المرجع السابق، ص:333.

[5]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه، ص: 183.

[6]- ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص:552.

[7]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:122.

إِنَه كَان فَاحِشة وَسَاء سَبيلاَ"[1].

وإن الزنا أعظم من شرب الخمر[2]، لكن أهل الأندلس جمعوا بين الاثنتين على حد تعبير صاحبنا :

كَانْ أمْس إذا شَرِبْنا الإثْنَيــــنْ
أنَا وذَاك المَليحَ العَينيــــــــنْ
قَبلتْ لَك في الشُفَيفات مَرتــيْن
قُبلا حُلوَ، أشْ حُلو، أشْ سُــكــــرْ

ويظهر لنا من خلال كلامه أن العشيقين سواء الرجل أو المرأة كانوا يشربون ويقضون ليلتهم وسط الخمر و الزنا[3].

ولم يقتصر الأمر في هذه الفترة على صغار السن و العزاب فقط بل تعداه إلى الشيوخ الكبار رغم عجزهم الجنسي فكثيرا ما توددوا إلى النساء وطلبوا الخروج برفقتهن[4]، ولابن قزمان قول في هذا: هذا:

وتَمشِي النَّاس مِن خُذلاَن إلَى خُذلانْ
كُلمَا شدْنا أَكْثَر أصْبَحنا صِبــــــيانْ
الشَرابْ قَامَة والعِشقْ الحِمــــــاري[5]

---

[1]- سورة الإسراء، الآية:32.

[2]- ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تح:مكتب التحقيق و الدراسات، ط1، دار الفكر، بيروت، 2004، ص: 297.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:184.

[4]- ابن دحية، المصدر السابق، ص:131.

[5]- ابن قزمان، نفسه، ص:94-95.

و قد كان مشهد الزنا يتكرر يوميا فعمدت المرأة إلى مصاحبة الرجل دون حياء ولا من يمنعها في ذلك ورافقته للمنتزهات وفي وسط الطبيعة[1]، بل وحتى في البيوت كما أوردها بن قزمان في غالب ديوانه:

قَالوا لِي:"أسْتاذْ أمْشي بنَا للدَّارْ

نْشرُبه ونسْكر، ونبْيت مَع الْخُنار

وأَنا مْوَافَق فِي ذِي الأُخْبـــارْ[2]

وأيضا: أنتْ وهُـــــو دُون مَخْلـــوقْ

وبَـابه الدَّار مغلـــــــــوقْ؟[3]

وإذا انفرد الجنسين فطبيعي أن تحدث بينهما الفاحشة لأن النفس قائدها الشهوة وحتى أن الله سبحانه وتعالى بين ذلك في قوله:" إنَّ النَّفسَ لأمَارَة بالسُوءْ"[4]، فالزنا ليست من شيم المسلم[5] إلا أن أن الأندلسيون أدمنوا عليها وتعودوا الانقياد لما تطلبه اللذة، كما وجدت هته الظاهرة في أواسط العبيد وشاعت بين العبد والأمة بسبب أن العبد لا يمكنه الزواج إلا إذا اعتق[6].

ولا تبدأ الزنا إلا بالتعارف بين الجنسين بالعشق وينتهي بالفحش، فالعشق هو سبب المكائد، حتى لو يشيخ الجسم يظل القلب حيا به لأنه من أمر الأسماء و أخبثها و يتمثل في الحب المفرط الذي يقود صاحبه لارتكاب المعاصي[7]، الذي نجد صاحبنا كثيرا ما يرده في ديوانه ولم يقتصر

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:337.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:120.

[3]- نفسه، ص:209.

[4]- سورة يوسف، الآية:53.

[5]- قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):"**لَا يَزنِي مَنْ يَزنِي وَهُوَ مؤْمِنْ ولَا يَشرُبْ الخَمرْ حِينَ يَشْرَبهَا وَهوَ مُؤمِنْ...**"، فالزنا لا تمد للدين بِصِلة. أنظر: البخاري، المصدر السابق، ص:1176.

[6]- عبد الاله بنمليح، المرجع السابق، ص:334-335.

[7]- ابن قيم الجوزية، روضة المحبين...، ص:42.

الأمر على الرجل فقط بل وحتى المرأة هي الأخرى التي طالبت بالحصول على الملذة ونستند في كلامنا هذا على ما يقوله بن قزمان في هذا الصدد راويا لنا عن علاقته بإحدى الجميلات التي تبادر إلى فعلة الزنا من حيث لباسها وتبرجها، وحتى أنها طلبت ذلك علنا، ويروي لنا ابن قزمان عن علاقته بإحدى النساء وهي جارة له بالرغم من أنها متزوجة أي" الخيانة الزوجية" إلا أن الأمر يبقى في إطار الزنا، وقد بدأت العلاقة من النظر فقط إذ يقول في بداية الزجل:

كُنتُ واقِفًا بِبابِي بَعدَ العَصرْ

إذَا رَيت شَخصاً قَد خَطَر وَنظرْ[1]

رغم أن الله سبحانه وتعالى نهانا عن ذلك:"**وَقُل لِلْمُؤمِنَاتِ يَغضُضْن مِنْ أبْصارِهِنَ وَيَحفَظنَ فُرُوجَهُن ولَا يُبدِين زِينَتهُن إلاَّ مَا ظَهرَ مِنها وَ ليضْرِبْن بِخُمُرِهِن عَلى جُيوبِهِنَ و لاَ يُبدِين زِيْنَتَهُن إلاَّ لبُعولتِهُنَ**"[2]، فلفتت انتباهه من قوة جمالها وزينتها التي ظهرت بها لكن ابن قزمان أورد عكس ما جاء في القران دليل على أن النساء هن الأخريات كن بعيدين عن الدين:

أَش كَان هَذاكْ؟ شَّمس كَان أو قَمـــــر؟

رقْبة شَطَّة بِيض مِثل الـــــقُطـــــــونْ،

عَيناً أكْحلاً وحاجباً مَـــقْـــــــــــــرونْ[3]

وغيرها من الوصف البراق الذي أورده لنا عنها، ثم كلمته وكلمها وطلب منها أن يكون غلامها، فردت أن ذلك ليس شرطا عليه لأنها منذ زمن وهي تحبه ولم تجد الوقت المناسب للحديث معه:

قُلتُ: سِتيْ، نْكُون غُلامَـــك قَط،

قَالت:" أحْسنْت، نحبـــك أنَـــا،

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:280.

[2]- سورة النور، الآية:31.

[3]- ابن قزمان، نفسه، ص: 280.

ثم قالت له أنها متزوجة، ومع ذلك استدعته في بيتها وضربت له موعدا:

زَوجِي خَارِج بَعدْ العِشاءْ للمَـــــزأدْ،

جِي ،وَلكِن أيَّاك يْميزْك أحَـــــــدْ

و بعدها طلبت منه أن يلبس لباس النساء لكي لا يتعرف عليه أحد، لدخل البيت كما يظهر لنا أو يتأكد لنا أن المرأة كانت تتحكم بالرجل في كافة الأمور وهو الأخر يفعل ما تطلبه منه ليـحصل على حاجته فقط: **قُمتْ، عَمَمْت رَاسي بِالمَـــــنْبلْ،**

فإن الزنا تبدأ من أبسط الأشياء كالنظر فما أدراك بالتبرج والخروج وهو ما فعلته نساء الأندلس ويقول ابن قزمان عن هذا: **أنْشَبنِي بِالهَوى عَينِي الزَانِي**

وقَلْبِي الذِي يَطمـــــــــعْ

فمن خلال قصة ابن قزمان مع زوجة جاره يتضح لنا أن كل الحواجز تلاشت بين الجنسين فقط لتحقيق الرغبة الجنسية ولا يفرق إن كانت متزوجة أو أرملة أو بكر[1]، رغم أن من الأحاديث الكثيرة التي حثت بعدم التعرض لزوجة الجار في حديثه(صلى الله عليه وسلم):"**الزَانِي بِخلِيلة جَارِه لا يَنظُر اللهُ إلَيهِ يَوم القِيَامةِ ولَا يُزكِيه وَيقُول لَه: أُدْخُلْ النَّارَ مَعَ الدَاخِلينْ**"[2]، وبالتالي هي مجمع للشرور وذهاب الورع وقلة الدين وفساد المروءة و هي الصفات نفسها التي أصبحت تطبق على المجتمع الأندلسي[3]، ولم يتوقف الأمر عند الأشخاص العاديين في المجتمع بل تجاوزه إلى المحتسب الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، وهنا تظهر عيوب تعاطي الرشاوى[4] إذ يحوز على المناصب أهل غير

---

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:281-282، 399.

[2]- البخاري، المصدر السابق، ص:1176.

[3]- ابن قيم الجوزية، روضة المحبين...، ص:299.

[4]- **قَاضِي المُسلمِين، انتَ هُو السَبب:**
كَـيفَ أنَكْ جَعلتْ ذا مُحتَسَـب
ومَحكَم فِي أمْـــر أهْـل الادَب

مخولين لها، وحسب تصريح بن قزمان يتضح لنا أن كل أفراد المجتمع كان غارقا في الفواحش والمحرمات ولا فرق بين الحاشية ولا الحاكم وحتى الفقيه الذي يعد أحد أقطاب الدين بتمثيله له فيقول عن الأمر:

شَربَ الخَمرَ المُحتسِب وَزَنا

اللَّ يكْفي لَو عَملتُ أنَـــا[1]

وإنه من الأكيد أن نتيجة الزنا يكثر الأطفال الغير شرعيين وبالتالي يكون هلاك النسل، وهو الأمر الذي أورده لنا المهدي ابن تومرت[2]، لـمَّا قدم لبلاد المغرب الذي كان مجتمعها صورة مصغرة عن المجتمع الأندلسي في كثرة المفاسد فوجدها تفوح بالمنكرات[3]، فوجد الكثير من الأطفال الغير الشرعيين بالأندلس وهو ما ذكره ابن قزمان:

اللَّ، طُول مِن حيَاتِـــــــي حتَّى نْشبَع مِـــن زَمَانِـــــي

ويْعيشْ فِي أولادي من كان خليعاً عَظيـمْ وزَانِـــــــــيْ

كما يتضح لنا من قوله أن الولد على صفة أبوه في الزنا كما ولو أنها موروثة في العصريـــين(ملوك الطوائف والمرابطون) أبا عن جد[4]، و إنَّ النوازل احتفظت لنا بالكثير من النساء اللاتي حملن من الزنا، وفي الكثير من الأحيان الأخرى استعملن الأدوية للإجهاض رغم الفتاوى التي يقضي بتحريم

وَهو زَانِي زَنيم كَثـــيرْ الـــزِنَا؟

أنظر: ابن قزمان، نفسه:ص:455.

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:454.

[2]-من قبيلة هرغة المصمودية، إدعى النسب الشريف عن طريق نسل سيدنا على رضي الله عنه، قام برحلة علمية نحو المشرق و أبحر فيها، حتى عاد شهابا واريا وبحرا متفجرا من العلوم، وعند عودته أخذ يبث في دعوته الإصلاحية، سمى المرابطين بالمجسمين. أنظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب...، ص: 251، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص:420.

[3]- المهدي بن تومرت، المصدر السابق، ص:260.

[4]- ابن قزمان، نفسه، ص:246.

ذلك[1]، ولعل بن قزمان أكبر شاهد على هذا وحقيقة لجئوا إلى الإسقاط في قوله:

وْخرَجْ رُوحيْ بَينْ سَاقيهَا سْخُوْنْ

يعني بذلك نزول الجنين بين ساقيها[2]، وبما أن المجتمع كله وقع في فاحشة الزنا فطبيعي أن تتعدد الوسائل للإسقاط والأخرى المانعة للحمل ولا بد أنهم لجئوا إلى الطرق المعهودة منذ القدم كالاحتلام بالقطران قبل الجماع للجنسين أو استعمال شحم الحنظل و الكبريت واستعمال الفلفل بعد الجـــماع أو التبخر بفضلات الفيل في أوقات الالتقاء[3].

وهم بهذا تناسوا العقوبة التي أقرها الشرع في حقهم وهي مائة جلدة لقوله جلَّ وعلى : **"الزَّانيةُ والزانِي فَاجْلدُوا كُلَّ واحِد مِنهُمَا مَائة جَلدَة "**[4]، لكن لم نجد نصا يدل على هذا اتُخذ ضد المجتمع الأندلسي عَدا النوازل؛ إلا أنها لم تطبق وظلت مجرد نصوص جامدة؛ و ربما لأن من كان ينهاهم هم عليـــة القوم في جل الأحيان، والذين كانت سلطتهم تفوق سلطة رجال الدين، وبالرغم من الحكم المغربي المتشدد والتزامهم الكبير ومحاربته لمظاهر الفساد و الفجور، وأيضا أن المرابطين فرضوا سلطتهم السياسية و العسكرية أما حضاريا فقد كانت السيادة للأندلسيين[5].

3- التغزل بالغلمان: أدت ظاهرة التغزل بالغلمان إلى ظهور فاحشة اللواط و ما يؤكد بزوغ هذه الظاهرة هو ما أدلت به المصادر التي تتحدث عن الغلمان[6]، وكما أوردها مؤلف مجهول أن:"وأن يكتفي الرجال بالرجال وتركب دواة الفروج الشروج..."[7]، وقد عرفت هذه الظاهرة أيام سيدنا لوط (عليه السلام) لقوله تعالى:**"ولُوطًا ءَاتَينَاه حُكماً وعِلماً ونَجَينَهُ منَ القَرْية التِي كَانتْ تَعملُ**

---

[1]- الونشريسي، المعيار...، ج3، ص: 130.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق ، ص:300.

[3]- ابن سينا (أبوا الحسن بن علي)، القانون في الطب، تح: علي زيعور، تق: إدوار القش، ج2، مؤسسة عزالدين، بيروت، 1993، ص:1651.

[4]- سورة النور، الآية:02.

[5]- إبراهيم السامرائي و آخرون، المرجع السابق، ص:432،434.

[6]- بوتشيش، مباحث...، ص:100.

[7]- مجهول، تحفة الناظر...، ص: 41 أوجه.

الخَبائِث إِنَّهُم كَانُوا قَومَ سُوءٍ فَسِقِينْ"[1]، فأتى قوم لوط الرجال دون النساء فهم قوم منكر[2]، منكر[2]، لقوله سبحانه وتعالى:" **إِنكُم لَتَأتون شَهوة مِن دُون النِسَاء**"[3] لكنه لم يرفع أيام العرب العرب إلى رسول الله[4]، ومع ذلك نجد حديثا له يشير إلى ذلك بقوله (صلى الله عليه وسلم):"**أُقْتُلُوا** وسلم):"**أُقْتُلُوا الفَاعِلَ و المَفْعولِ بِهِ**"[5]، فاللواط أخبث الخبائث و أنكر المنكرات[6]، وجد زمن زمن ملوك الطوائف بسبب كثرة بالغلمان وبخاصة في الحمامات حين يستعرض الفتى جسمه فتزيد شهوة الرجل العاشق له[7]، كما كان أيضا أيام المرابطين وما يدل على ذلك قول بن قزمان الذي يصرح يصرح أن الفرد إن لم يكن زاني فهو لوَّاط: **وَإِنْ كـــــانْ فِي الوَرَى مَنْ فِيـــه**

أَحَد الخَـــــصلتَين، لَوَّاط أَوْ زَانـــي[8]

زَانـــي[8]

إذ اعتبر في هذا العصر أمرا عاديا سبب ذلك أنه كان من أحد الخصلتين التي تحذرت فيهم من قبل وما ساعد على ذلك كثرة الغلمان أيضا[9].

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية:74.

[2]- الأندلسي(عبد الملك بن حبيب السلمي)، كتاب التاريخ، إع: عبد الغني مستو، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008، ص: 50.

[3]- سورة الأعراف، الآية:81.

[4]-ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح:كامل محمد عويصة، ج4، ط1، دار عنان، مصر، 2003، ص: 201. 201.

[5]- السندي، المصدر السابق، ص:587.

[6]- ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تح:محمد عبد الله، د.ط، دار ابن هيثم، مصر، 2004، ص:55.

[7]- ابن دحية، المصدر السابق،ص:76.

[8]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:122.

[9]- بوتشيش، مباحث...، ص:100.

ويعتبر بن قزمان أكبر شاهد عيان فقد كان دائم التغزل بهم وكثيرا ما نجده يهدي أزجاله لهم وذلك لشغفه بهم وما يثيره هو جسمهم كقوله:

لَقدْ عَذَّبنِي عِشقُك يا مَلولْ

تْزُول اتْ عَني وهُو لا يَزُول

قُلتُ لَه مِنكَ نْريدْ القُبــلْ[1]

كما نجده أيضا في مقدمة ديوانه يهدى زجلا كاملا إلى معشوقه الغلام المدعو بالوشكي إذ يخاطبه على أنه من محبيه المفضلين، وأنَّ جماله قد أغراه، ونجده يتغزل بجسمه فيقول:

نْـرِيد وْلخوْفَ النُّشْبَ نـبْـــكِي،

واشْ نقْدرْ؟ نْموتْ وْراكْ يَا وشْكِي.

أما عن جماله ورقة جسمه فيقول:

اللهْ قَـــــدْ عَطاكَ جَمَالِ بـــقُوةْ،

أشْـقَـــــيرْ حُلوْ مِليحْ رقِيقْ شَاطْ

أصَابِع شَـــــريفْ مُلوكِي خَطاَطْ[2]

وفي بعض الأحيان نجدهم يتغزلون بهم فيصبح الغلام سلطان معشوقه فلا يقوى عن فراقه ويقضي أجمل الأوقات معه:

مَحبُوبِي بَينَ المِلاَحْ مِصْباح والنَّـــاسْ

خُذني غُلامكْ وْنحْمل لَكْ أنَّا العَشَــا[1]

[1]- ابن قزمان، نفسه، ص:134.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:34-35.

وفي الكثير من الأحيان تفوق درجة الرجل في حب غلامه إلى الغيرة عليه كالغيرة على جاريته، ويخطبه كما يخطب النساء[2]، لأنه يعوض المرأة في الجمال والجاذبية والتسلية، فيثير الشهوة واللذة، وبالتالي لا يقوى أحدهم على فراق غلامه ويكفيه عن البقية لأنه بسحره سيجد مبتغاه في الغلام فيلقى عنده التسلية بالرقص و الغناء وأمور أخرى لا يقوى المسلم على ذكرها فما الداعي للآخرين فيقول ابن قزمان:

وأيُ غُلامٍ كِنكُون ماعَك، شَاعِر وْ أدِيبْ

وَ إنْ أرَدْت الغِنا تُسمَع شَيا عَجيـــــــبْ[3]

فيصل الرجل بدرجة عشقه للغلام الهوس إذ لا يستطيع مفارقته، فربما أنه من بين أحد الأسباب الوجيهة التي عزف فيها صاحبنا والكثير من العزاب عن الزواج لأن ظالتهم تتمحور في استثارة الـلذة دون غير، فلمَ يُفكر الرجل ببناء عائلة وله بين أيديه ما يغنيه عن ذلك، وهذا حسب بن قزمان طبعا:

أَنْـتَ هُو سُلطانَ البِيضِ وَالشقْر

يَتـلاَلَأ خَّدُك وَلسْ فيه قَمـــــرْ،

ويَزهَر عنْقك وْ لَـس فِيه حُلـي[4]

ولم يقتصر الأمر على الرعية فقط بل تجاوزه إلى مختلف شرائح المجتمع الأندلسي و لا سيما طبقة الخاصة وأكبر ممثل لهذه هم الفقهاء وطبعا ليس كلهم بل البعض منهم الذين ابتلوا بحب الغلمان وعشقهم ليس لنا مبررا لذلك سوى أنهم هم الآخرين ظلوا وراء لذاتهم بإيجاد وسائل جديدة للترفيه[5].

---

[1]- نفسه، ص:240.

[2]- مجهول، تحفة الناظر...، ص:41 أوجه.

[3]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:240.

[4]- نفسه، ص:135.

[5]- إبارهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:99-100.

ولم يكن للواط ضروب محددة فوجد الأماكن العامة والجميلة و بين الوديان وفي الفنادق الضخمة[1]، كما ذكر لنا ابن قزمان درب ابن زيدون، الذي كان مشتهرا بهذا الفحش فما إن ذكرت هذا الدرب ذكر بجانبه اللواط إذ يقول بن قزمان:

أينَ دَربَ ابْنَ زَيدُونْ وأيْنَ احْتفَالُه[2]

ويختلط في مثل هذه المناظر كل العناصر حسب المثل التالي الذي يبن ذلك:"**فُنْدُقْ بْنْ رَاغُوا: نَصَارَا وَيَهُودْ وَمُسْلِمِينْ أَنْ نْطَافْ**"[3]،والغريب في الأمر كان يتم أيضا في البيوت لقول صاحبنا وهو جالس مع غلامه الوشكي منفردين:

فاحْلى ما نـــرى في بيتـــي جـــالـسْ

نـمِيـــد و نُـــرَى لِلْمَـــيطْ مُوَكّيِ[4]

ومن بين الفواحش التي شاعت في المجتمع الأندلسي وغلبت عليه، وكلها أمور رذيلة لا تمد للدين:

4-العادة السرية: وجدت في أواسط المجتمع الأندلسي ربما لم تكن منتشرة بقوة إلا أنَّ البعض منهم مارسها، وهو ما أدلى به ابن قزمان في ديوانه:

مَـــــنْ هُـــــو فِـــي العُـــشَـــاقْ

زُحَـــــــــــلِـــــي الأَحْـــــلاَقْ

لَـــــــس يَـــبِيـــت مُـــشتَـــاق:

و الزحلي مستعار في الوحدة ولما ينفرد عاشق اللذة لوحدة يجد ضالته في العادة السرية[1].

---

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس... ، ص:337.

[2]- ابن قزمان، نفسه، ص:429.

[3]- الزجالي، المصدر السابق، ج1، ص:278.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:34.

5- انتشار الباغيات: كان مسموحا به، وسميت القائمات عليه بالباغيات أو الخارجيات وهنَّ صنف من النساء تقوم بإغراء الرجال والوقوف أمام الفنادق بكامل زينتهن متبرجات وتذهب معه إلى المكان الذي يريده لقضاء ليلة ممتعة وبعدها تنال أجرها، ولا بد لها أن أن تجيد الرقص والغناء وسائر فنون التسلية[2]، وأكثرهن من الإماء الوخش التي تخرج في الأزقة و يقفن على الطرقات متلحفات

كالحرائر كاشفات ما لا يحل كشفه كإظهار البطن و الظهر وهن من دواعي الفتنة[3] بالإضافة إلى دور الواسطة التي تلعبه المرأة في الجمع بين الرجال و النساء[4].

7- زواج المتعة:

وجد هذا النوع من لزواج في أواسط المجتمع الأندلسي وهو أن يتزوج الرجل امرأة لمدة غير معلومة كما ينتهي في وقت مجهول، ودون صداق ولا ولي وذلك لحصوله على رغبته الجنسية فقط[5]. وأردت أن أشير إلى دور اللثام الذي استغله العبيد وأقبلوا عل مختلف الفواحش والرذائل فما تركوا فسقا إلا وفعلوه رغم أن الحسبة نهتهم على ذلك، فقد كان للعبيد دور كبير في انحراف المجتمع، كون أهل الأندلس تبعوهم ظنا منهم أنهم من المرابطين[6].

وغير الذهاب ببعيد فديوان بن قزمان دليلا على فسق ومروق المجتمع الأندلسي عامة عن الدين فباعوا دينهم بدنياهم ثم إنَّ ما نجده فيه العديد من الألفاظ التي تفيض بالفاحشة و تخدش الحياء، وكذا ما جمعته من رذائل ما هو إلا صورة حقيقية و معبرة حول ما كان يحدث في المجتمع[7]،

---

[1]-نفسه، ص:212.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:338.

[3]- مجهول، تحفة الناظر...، ص:44 أظهر.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس نهاية...، ص:239.

[5]- ابن لب الغرناطي، المصدر السابق، ج2، ص:32-33.

[6]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص:333.

[7]- مجدي شمس الدين، المرجع السابق، ص:376.

فمثلا نجد ما يدل على ذلك باسم الخلاعة والمجون؛ أما عن المجون يقول:

نْفَنِي عُمرِي فِي الخَنكَّرة و المُجونْ[1]

و عن الخلاعة فاعترف بذلك وقال أنه كان شيخ تلك الأعمال الرذيلة بقوله:

أَنا شَيخُ الخُلاعِ وَحْـــــدِي نْسهَر إذَا نَامتْ العُــيُون

ولا نَهارِي مَعَ لَيلِي كَان يُوَدِي لَسْ نَخلا مْنْ شُربِ أو مُجـون عيش لهم دون لَيلاً يكُون القَطيع فِي يَدي لَسْ نَدْري النَوم اشْ يْكونْ[2] ذلك، فأفنوا حياتهم فيها:

إنَّـــــمَا الخـلاعـــةُ هِيَ أوْكَد أشْغَـــالِي

يَـــــا تُرى سَوانِي اشْ أوْكدْ أَشْغَـــــال[3]

فإن هذه الأفعال حتما ستؤدي إلى الزندقة[4]، ونستدل بقولنا هاذ على ما ذكره وأدلى به بن قزمان في في إحدى أزجاله بقوله:

خُذْ الفَتَّى، يَاخَذا الإنْسانْ باللَّ مَا نْزَنْدَقْ؟[5]

وعلاوة عما قاله بن قزمان،نجد الكثير من الزنادقة الذين احتفظت لنا به الكتب المختلفة وأجمعت على كل من تنزدق كان مادحا للخمر شاربا لها زانيا، لواطاً ومتحججا على أهل السنة بالبدع و

[1]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص: 296.

[2]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:460.

[3]-نفسه، ص:452.

[4]- الزندقة هي الضلالة والشك في الدين، أطلقت أول مرة على الزرادتشية ثم المانوية لتصبح بعدها معممة على كل متزندق. أنظر: جمال مراد حلمي، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص:403.

[5]- ابن قزمان، المصدر السابق: 452.

تعاطى شرور الأفعال وأقبل على كل الآثام[1].

وبالتالي نقول أن المجتمع الأندلسي أقبل على الفواحش، فهي من بين أعظم المآخذ التي جعلت المهدي بن تومرت يقول:" إنَّ مدن الملثمين ضالة فاسقة"[2]، وما هو إلا قول يعكس حقيقة التمرد والانقياد لشهوات النفس ورغباتها وأقبلوا عليها في كل الأوقات فلم يجدوا حرجا فيها، كما أن الرقابة كانت منغمسة هي الأخرى في عمل الآثام فلا رقيب ولا حسيب عليهم ينهاهم ويحد من مروقهم، وأحدثوا البدع والمنكرات، مقلدين للنصارى وحاذين حذوتهم وكأنهم هم المنهزمون والنصارى الفائزون لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب، ففي هذه الفترة انقلبت الموازين وتغيرت المفاهيم وأصبح المسلمون متأثرون بأفعال النصارى فانساقوا حتى في التقلد بهم في عاداتهم و تقاليدهم وهو الأمر الذي سنتطرق له في المبحث الآتي.

[1]- ابن سهل الأندلسي، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء و البدع في الأندلس، تح: محمد محمود علي مكي مصطفى كامل، ط1، المركز العربي الدولي، مصر، 1981، ص:41.

[2]- ابن القطان، المصدر السابق، ص:103.

2- التأثر السلبي بالنصارى

رغم علاقات التوتر التي شابت الدولة المرابطين بالأندلس والممالك النصرانية وظلت تلك سمة الحروب برفع شعار الجهاد طابعة لها طيلة فترة تواجدها بالمنطقة، ولكي نعمم القول فإن التواجد الإسلامي بها لمدة ثمانية قرون لم يتخلف عن الأمر باستثناء فترة ملوك الطوائف التي أقل ما نجدها تدخل في صراعات معهم بقدر ما وجدت بينهم كمسلمين أنفسهم، لكن رغم ذلك نسجل رصيدا لا بأس به في مجال التأثر بالنصارى الأوروبيين، وبخاصة في الجانب الاجتماعي الذي نلمس فيه عدة روافد جديدة في سجل عادات وتقاليد المسلمين[1]، والتي بدورها أثرت على الحضارة الإسلامية ككل وأول سبب في ذلك ما ظهر من بوادر التفاعل بين المسلمين سواء عرب كانوا أو بربر و الأسبان، وبدأت خطواته الأولى سياسيا إبان الفتح الإسلامي للمنطقة إثر الاتصال المفاجئ[2] الذي قام به حاكم سبته[3]؛ يوليان[4] بالوالي موسى بن النصير من قضية الانتقام من ملك القوط الذي اغتصب

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:112.

[2]- محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص:49.

[3]- مدينة عظيمة بها من الخيرات الكثيرة، إحتلها القوط. أنظر: الحميري، الروض المعطار...، ص: 303.

[4]- وحاكم سبتة عامل لذريق، اغتصب له هذا الأخير ابنته فانتقم منه بمساعدة المسلمين في دخول الأندلس. أنظر:نفس المصدر، ص :34.

شرف ابنته فأراد أن ينال عن طريق المسلمين[1] ولا يمكن إنكار هته الحقيقة بالرغم من أن المسلمين كانوا على أهبة الاستعداد للفتح، فكانت أولى بوادر التفاعل وما إن أجازوا المضيق وبدئوا ينظمون أمورهم هناك حتى طلبوا المساندة في المجال الاقتصادي وحقيقة نقرها على المسلمين أنهم كانوا بعيدي كل البعد في هذا المجال فلم يمتلكوا الخبرة الكافية التي تمكنهم من إدارة هذا المجال[2]، وحتى أن كبار ملاك الإقطاعيات الأوروبيين فعلوا ما بوسعهم للمحافظة على أملاكهم فجعلوا أنفسهـــم في خدمة المسلمين لمصالحهم الشخصية[3]، وما عزز ذلك الترابط أيضا هو سياسة التسامح بين أفراد المجتمع وما هو إلا عامل تلقائي فرضه حكم الجوار معهم، وبالتالي لا بد أن نلمس الاحتكاك مع بعضهم للعيش من جهة و التعارف من جهة أخرى[4] ولقوله سبحانه وتعالى: "**وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**"[5]، وبالتالي إن التعارف سنة بثها الله في عباده ، لكنهم تجاوزوا مرحلة التعارف ودشنوا طريق التأثر بهم بفعل المصاهرة وربطه بالعلاقات الاجتماعية ومن هنا يتضح لنا أن ذلك التفاعل المتبادل بدأ سياسيا ليتواصل اقتصاديا و يتعزز بعد ذلك بالترابط الاجتماعي؛ الذي خاض طريقه أول مرة عبد العزيز بن موسى بن النصير وجاعلا من أرملة الملك لذريق زوجة له ليفتح بذلك المجال للراغبين في الزواج من زواج الإسبانيات[6]، ليتواصل الأمر في ظل حكم الإمارة، وما كاد الزمن ليمضي حتى ظهرت بوادر التأثر الحقيقي أيام ملوك الطوائف ضعفاء النفوس والدين[7].

---

[1]-ابن القوطية، المصدر السابق، ص:21.

[2]-سحر السيد عبد العزيز سالم، الجوانب الإيجابية و السلبية في الزواج المختلط في الأندلس الغرب الإسلامي و الغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، ط1، ع:48، 1995، ص: 33.

[3]- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، تر: الطاهر أحمد مكي، ط1، ط2، ط3، دار المعارف، مصر، 1979، 1985، 1994، ص: 107.

[4]- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 37.

[5]- سورة الحجرات، الآية: 13.

[6]- ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص: 100.

[7]-محمد عبد الله عنان، ج2، المرجع السابق، ص:419.

فشاع نكاح المشركة في الأندلس رغم أن الشرع يقول:"أنه لا يجوز للمسلم أن ينكح المشركة"، إلا إذا حظرت نية إدخالها في الدين، ويعود سبب التحريم إلى الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم:" **وَ قَالَتِ النَصَارَى المَسِيحَ ابنُ اللهِ**"[1]، وأيضا في قوله سبحانه وتعالى:"**لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَة** "[2]، فكيف للمسلم أن يتزوج بهن وبخاصة دون النية لإدخالهن في الإسلام، فلأجل اللذة فقط؟[3]، ولأن الحياة استهوتهم فغلبت عليهم الملذات متناسين كرامتهم الشخصية ووطنيتهم مترامين على أبواب النصارى مقلدين لهم في سائر المجالات[4]، وانشغل الممالك بدنياهم عن إقامة دينهم ووصلوا لدرجة الاستخفاف به حتى اشتبهوا بالزنادقة[5]، ولم يكن الرجال وحدهم المتهمين بالزيغ لدين النصارى بل حتى النساء اللاتي اقتبسن من النصرانيات سواء في أعمالهن أو أسمائهن إلى درجة التنصر على دين الكنيسة[6].

كما كان للمرأة دور كبير في نقل ما شهدته في بلاطات وقصور النصارى بحكم أن البعض منهن عملن كمغنيات طرب وقينات لهم وبثوا ما شهدوه في المجتمع الإسلامي[7].

وبالتالي تسربت روافد عادات وتقاليد للنصارى وليس

للمسلمين منها نفع، وقد تواصل الأمر ليبلغ ذروته أيام المرابطين، رغم أن هذه الأخيرة شغلت بالجهاد أي أمور الدولة خاجيا في مقابل ذلك أهملوا أوضاعها الداخلية؛ ولما رآه المجتمع الأندلسي غياب الرقابة عنهم فكانت أولى الخطوات للتأثر بهم، وفي هذه الفترة بالذات قد يتساءل الباحث عن أمر التأثر وانحلال الأخلاق بالرغم من التشدد والتعصب الديني الذي شُهد للمرابطين به؟، فنجيب عن هذا أن حقيقة الجهاد اتخذ شعارا وظلوا قائمين عليه لكن أيمكن لمجتمع ضم شرائح كثيرة احتوتها

---

[1]- سورة التوبة، الآية: 30.

[2]-سورة المائدة، الآية:73.

[3]- الكاساني، المصدر السابق، ص:721.

[4]-محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج2، ص:419.

[5]- ابن حزم، رسائله، ج3، ص:41-42.

[6]- شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص:380.

[7]- عباس الجراري، المرجع السابق، ص:151.

فترة المرابطين ولا سيما عنصر النصارى فهل يعقل عدم التأثر بهم مع غياب الرقيب؟، بالإضافة إلى أن الملثمين لم يبلغوا الحضارة ببلاد المغرب عكس ما وجدوه بالأندلس[1]، ومع ذلك فقد حافظ الجيل الأول الذي كان تحت حكم يوسف ابن تاشفين على خصائصه ليحل عصر إنحلال شامل لأخلاق أهل الأندلس[2]، بتحرك تلك النفوس الضعيفة ناحية الذنوب فتقلدوا بهم وأخذوا عنهم سائر الصفات ذات ألوان وأشكال وكذلك عامل التسامح الذي كان بمثابة النعمة على النصارى ونقمة على المسلمين[3]، وهنا بالذات نذكر قوله سبحانه وتعالى:" **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى حَتَّى تَتَبِعَ مِلَّتَهُمْ**"[4]، إذ وظف المجتمع أفعال النصارى في طريقة عيشه وسائر أمور حياته، حتى إن سمات المجتمع فترة المرابطين لم تختلف كثيرا عن سابقاتها من المراحل السياسية في إظهار الإعجاب بهم و اللمتونيون هم الآخرون اختاروا المصاهرة لأعداء الدين، وبصحبة الجواري المسيحيات اللاتي تغلبن على قلوب الأمراء[5]، ونذكر علي بن يوسف بن تاشفين ثاني حكام المرابطين الذي لم ينتظر من الوقت الطويل في الحكم حتى غدا عاشقا ولهانا بأحد جواريه الروميات[6]، وربما هو الفرق الواضح الذي أخبرنا به بن قزمان:

وَكُلَّ مَا كَـــــانْ قَدْ زَالَ وَقَدْ تَلَفَ:

ومعنى ذلك أنه ما وجد قبلا لم يبقى له أثر اليوم أي عصر بن قزمان[7]، بل وفاق الخطر حده باعتياد نساء إشبيلية على وجه الخصوص في عقد صداقات مع بعض المسيحيات فرافقنهن في القصور و الشوارع وغيرها من الأماكن العامة ولم يبقى لها سوى الدخول معهن إلى الكنيسة.

---

[1]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ج1، ص: 525.

[2]- ليفي بروفنسال، الحضارةالعربية...، ص:107.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:177.

[4]- سورة البقرة، الآية: 35.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:113.

[6]- عصمت عبد اللطيف دندش، أضواء جديدة...، ص:171.

[7]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:180.

وقد تتبع الرجال المسلمين النصرانيات بانتظام ولازموهم في مختلف تحركاتهم باستثناء الكنيسة، التي إذا دخلتها المسيحية يبقى الشاب منتظرا لها في الخارج، وعليه نقول أنهم كثيرا ما ترددوا علهن بالتودد و إظهار الإعجاب بجمالهن[1].

وأردت أن أشير إلى الظاهرة الغريبة التي طبقها المجتمع الأندلسي أيام ملوك الطوائف و المرابطين حتى وهي تزويج بنات المسلمات إلى ملوك النصارى دون حرج، ولا نجد سببا يفسر ذلك الزواج المختلط سوى الإعجاب بهم[2]، وعلاوة عن هذا كله شمل التأثر بهم أمور أخرى والمتمثلة في عادات وتقاليد المجتمع وهي رمز الحضارة والمعبرة عن مدى استقلالية سيادة المجتمع إذ يظهر التأثر الحقيقي بهم في مجال الاحتفالات إذ كان بمثابة التقلد الأعمى بهم[3]، كون بلد الأندلس اشتهر وامتاز وامتاز بتلك المناسبات الاحتفالية الدينية و الدنيوية فلا حرج أو عيب أن نذكر إسهابهم في الاحتفال الديني الذي شرعه سبحانه وتعالى، لكن أيعقل أن يحتفلوا بأعياد لا تمد لهم بصلة بل وتنافسوا من أجل

إقامتها في أحسن حلة[4]، وشاركوا جيرانهم المسيحيين فيها حتى باتت من العادات المألوفة عندهم[5]؛ في عيد الفصح والسيد المسيح (عليه السلام)، وعيد السنة الميلادية،[6]، فمثلا يناير الذي أقاموا احتفاله بالبيوت و المنازل و القصور وتزين الحارات وتشترى أصناف من الفواكه والحلويات لتزين به الموائد[7]، وهذا ما أخبرنا بذلك بن قزمان واصفا ذلك الاحتفال بالانبهار والجمال قائلا:

الحَلُـــونْ يُعْـــــجَـنْ وَالغِـــزلاَنُ تُـــــبَائِعْ

يْـــفْـــرح لِينَـــــيرْ مَنْ هَاعَه قِـــــطَـائِعْ.

[1]-إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص:113.

[2]- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 37-40.

[3]-عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع نفسه ص:326.

[4]-محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص: 265.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:113.

[6]- محمد بشير العامري، المرجع نفسه، ص: 265-266..

[7]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:326.

لَقَد ذَا النَـــصبَـــاتْ أشكـــالاً مـــِـــــلاَحْ،

وَ فِـــيـــهَا، بِـــــاللهْ، لِـلعَـــــــينِ انْشِـرَاحْ

وعن أمر الترتيب له والتحضير سواء في البيوت أو الأسواق فيذكر أنك ستجد كل شيء مرتب ومنظم ومن الأمثال التي قيلت في هذا المجال:" **الإحْتِفَالْ بِالنَيرُوزْ أوْ يْنِيْر**"[1]، وللإحتفال به:" **هَنْ هَانُ تَرَنْج، لِينِيْر يْرْفَعْهَا**"[2]، و التحضير لمثل هذه المناسبات كلها يرد لنا بن قزمان أن حتى بائع فواكه العيد تلقاه ينادي بأنواع الفواكه والحلويات التي يبيعها حتى يتصدع الناس من صوته العالي وما يقودنا هذا الكلام إلى أمر سوى الابتهاج و الفرحة التي تعم الأندلس به[3]، بقوله :

تَرتِـيـبْ الأثْمَارْ هُو شَيأً غَرِيـــبْ،

اللَّوزْ و القَسْطَـلْ والتَمْر العَجِيـــبْ

والجَوزْ والبَلُـــوطْ وْالتِينْ وْ الزبِيبْ،

جَلوزْ، عَين الثَـــورْ شَيًا مِلْهَـــــوِي

يَنقر لك في البَابْ نَقْراً مْسْتَـــوِي

يْصَـــدَعْ رَاسَـــك فِي ذَالكْ الدَوِي

وفي وصف جمال تلك الموائد بات يشبهها بمائدة يوم الزواج ويقول عنها:

كَـــأَنَّ المِـــيدَة دَارْ فِيهَا الزَّوَاجْ[4]

[1]- الزجالي، المصدر السابق، ج1، ص:238.

[2]- نفسه، ص: 327.

[3]-ابن قزمان، المصدر السابق، ص:232.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:233.

كذلك عيد العنصرة هو من الأعياد النصرانية إلا أننا نسجل حضور المجتمع الأندلسي بأدائه والالتزام به وجعله احتفالا رسميا في موسمه الذي يصادف 24حزيران نسبة ليوم ولادة يحي بن زكرياء (عليهما السلام)، فيوقدون النار في الشوارع ويقفزون فوقها؛ كما يلعب الأطفال بالمقارع والعصي ابتهاجا بفرحته[1]، وقيل فيه مثلا:"**الكَبْشْ المْصَوفْ مَا يْكَفِزْ العَنْصَرَة**"[2].

ولم يبق الأمر عند هذا الحد فقط بل وتبادلوا معهم التحف النفيسة تهنئة بذلك العيد[3]، كما نجد العديد من التأثير النصراني في مجال الاحتفالات فنلمس تأثرا أخر يثير الدهشة والغرابة عن أهل الأندلس خلال القرن 6هـ/12م، اتبع التأريخ الأعجمي إلى جانب التقويم الهجري وهو الأمر الجديد

الذي عرفه المجتمع أيام المرابطين والذي يشهده التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط لأول مرة[4]؛ بل وحتى في اعتماد بعض الأعياد النصرانية كتأريخ لوفياتهم أو مواليدهم كونهم اعتادوا عليها ولن ينسوا بها تلك الأحداث حتى يذكر أن رجلا من الحاشية طلب من الكل أن يذكروه بشهره العجمي[5]، وما ذكرناه من هذه الاحتفالات وتأثر المسلمين بها يمكن قياسه على عادات مجتمعاتنا المعاصرة فلا تزال تحفظ ذلك الطابع الذي وجد بالأندلس نتيجة انتقالها في تلك الفترة إلى بر العدوة عن طريق الرحلات، فمثلا نجد الاحتفال بليلة المسيح قائمة إذ تحضر لها مائدة الخاصة بها[6].

ومن بين الأيام المعتمدة لدى المسلمين المقتبسة من النصارى هو أن يوم الأحد هو يوم عطلة عندهم، فتغلق الحوانيت وتعطل جميع الأعمال، وللإشارة فإن بعض الفقهاء و القضاة الذين حملتهم الغيرة

---

[1]-عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس...، ص:328.

[2]- الزجالي، المصدر السابق، ج1، ص:327.

[3]- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص:73.

[4]-محمد بن إبراهيم الحسن، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال العصر المرابطين و الموحدين، ط1، دار أصداء المجتمع، 1998، ص:447.

[5]-نفسه، ص:448.

[6]-حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص:258.

على دينهم قد أطلقوا صفارات الاستهجان تنديدا ومطالبة بالكف عنها إلا أن حكمهم لم يجد الآذان الصاغية له فبقيت أحكامهم مجرد حبر على ورق[1]، كما نشهد التأثر في الملبس الذي كان قريبا إلى زي النصارى وبخاصة الزي العسكري في السلاح و الشارة[2]، وفي سروجهم و أعلامهم فكان لا يُفَرق بين المسلم والنصراني[3].

وكذلك في قضية اللغة العربية التي شهدت الكثير من التغييرات، وحملت معها العديد من المصطلحات النصرانية[4]، ونقدم أنموذجا من هذا من ديوان بن قزمان الذي يدين بالعروبة والإسلام:

وَبْقَالِي بِلَا شْرِيَـــبْ خَلَالْ

بِيْنْ بِيْنْ وَدَعْنِي مِمَا يُقَالْ

Vino vino أي بين بين مصطلح إسباني يعني الخمرة الخمرة[5]، كما أن البعض من أهل الأندلس من تخلى عن لغته العربية وتكلم اللغة الأوروبية[6].

و ما شهده المجتمع من تغيرات لم تكن أبدا تخدم مصالحه بل مست بهويته الشخصية، وطعنت في دينه الذي وجب عليه أن يمثله أحسن تمثيل، وكان أول المنغمسين في ذلك هم الطبقة الخاصة التي

كان لها النفوذ وخاصة الأيام الأخيرة من عمر دولة المرابطين فبلغت أفعالهم شدة التأثر بهم، مثال ذلك ما فعله سعد بن مردنيش الذي تولى السيطرة على قرطبة وتملكها بعد ضعف سلطان المرابطين أبرز دليل على قولنا الذي وصلت به إلى درجة الانحطاط أن تَمَشْكَل على صورة النصارى في الملبس والمشرب وحتى اللهو والطرب[7]، إذ يقول بن الخطيب عنه واصفا أحواله:" آثر زيَّ النصارى من

[1]- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 73.

[2]-شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص:257.

[3]- المقري، نفح الطيب...، ج1، ص:422.

[4]-إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:115.

[5]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:199.

[6]- سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص:68.

[7]-محمد بن إبراهيم الحسين، المرجع السابق، ص:448.

الملابس، والسلاح و اللحم والسروج وكلف بلسانهم يتكلم لغتهم"، وهذا الأنموذج يصح قياسه على كافة المجتمع كونهم حملوا نفس الصفات وهذا ما يدل على مستوى الانحطاط الذي وصل له أهل الأندلس[1].

ولا يمكن لنا طي صفحة الكلام عن واقع المجتمع الأندلسي إبان حقبة المرابطين دون التحدث عن التأثر بهم أيضا في قضية شرب الخمر والذي كان أحيانا يبيعه النصارى لشلة الخمار المعاقرين له والذين تستهويهم زجاجته في حارات كثيرة رغم ما أصدرته الفتاوى بقطعية التحريم إلا أن النص لم يكن معمولا به وطووه بين صفحات التجاهل[2]، وقلدوهم حتى في طريقة احتسائها[3]، وبن قزمان تفنن في وصف شربه على طريقة النصارى بوضع الكأس في الفم وشربه دون انقطاع حتى تنتهي قارورة الشراب، وكذلك في بيوتهم يتم وضع الخمر بكؤوسه على الموائد والتزين بها وهذا الأمر لا نلمسه عند أحد سوى النصارى واتبعهم المسلمون الأندلسيون وقوله في هذا الصدد:

حَتـَى تَدْخلْ شَفة الكَـــــاسْ بِالشَرابْ بَينَ شَفَتَـي

لَو رَأيتَ الأكْواس [فِي] دَارِي وَالشُرَيبَة فِيهَا تُلْـــقَى[4]

كما كان لقرع نواقيس الكنائس النصرانية إثارة لحماسة المسلمين، فوصل بهم الأمر إلى تسجيل الإعجاب بهم، ولما رآه الأمير يوسف بن تاشفين تجاه هذا الأمر حدَّ من قرعها[5].

وكان لانتقال أسرى معركة الزلاقة للبلاد الإسلامية أيضا أثرا على تغير حضارة المسلمين أيام المرابطين إلى التأثر بهم واستنفذت خبرتهم ومهارتهم في تشييد القصور وتعدى الأمر خارج الأندلس أي إلى

[1]-ابن الخطيب، الإحاطة..، ج2، ص:123.

[2]- العقباني التلمساني، المصدر السابق، ص:176.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، ص:78.

[4]- ابن قزمان، المصدر السابق، ص:68.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث...، المرجع السابق، ص: 79.

مراكش[1] عاصمة المرابطين نفسها[2]إن هذه المنكرات والتأثيرات شهدتها المنطقة أيام حكم علي بن يوسف، فيعتبر شاهدا على الصبغة الإسبانية الشديدة[3].

وبالتالي نقول أن كان لجوار النصارى لضعاف النفوس الأثر البالغ في زوال شخصية والمجتمع الأندلسي لينصهر بذلك في قيم عادات وتقاليد لا تعنيه من الأمر شيئا، فضاعت هويته بين أقدام الشراب والاحتفالات و في طرق العيش، ولم يجد سبيلا للمخرج سوى الانغماس أكثر، وبخاصة لما كانت الطبقة المعنية بالإرشاد و الوعظ والنهي أول المتأثرين بهم، فكانت العامة مجرد متتبعين.

[1]- تنتهي إلى البحر المتوسط في جهتي الغرب والشمال وإلى الأطلس في الجنوب، وبناها يوسف بن تاشفين. أنظر: الحميري، الروض...، ص: 540، حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص: 316.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع نفسه، ص: 114.

[3]-ليفي بروفنسال، الإسلام...، ص:246.

خاتمة

من خلال دراستي للموضوع توصلت إلى العديد من النتائج التي أعطت صورة للمجتمع الأندلسي، والتي يؤكد عليها الديوان إبان حقبة المرابطين وهي:

كان لقيام دولة المرابطين بالأندلس الأثر البالغ في رسم تاريخ الأمة الإسلامية وإبقاء الدين بها لمدة طويلة من الزمن بعد ما جنَّ النصارى في اغتصاب الأراضي و المدن بالمنطقة سعيا منهم للقضاء على التواجد المسلمين هناك، وتميز حكم المرابطين بمرحلتين مختلفتين كليا.

لقد ساهم التواجد المرابطين بالمنطقة في رسم الخريطة ديمغرافية للمجتمع كونهم العنصر الجديد به له عاداته وتقاليده التي تميزه عن غيره، إلى جانب العرب الذين وجدوا في كل المراحل و لهم ميزتهم الخاصة، أما في الشاكلة الأخرى نجد فئة أهل الذمة الذين حضوا بالتسامح الكبير رغم شدة بعض الأمراء عليهم ويظهر تواجدهم من خلال مشاركتهم في الحياة الاجتماعية بمختلف روافدها بالإضافة إلى المولدين والموالي والعبيد.

شهدت الأندلس لأول مرة في تاريخها حكم ديني محض تلخَصَ في سلطة الفقهاء والعلماء لتبلغ بذلك حياة الزهد والتقشف وشكلوا رجل القرار في سلطة الأمير، إلا أن الأمر لم يلبث طويلا حتى أفصحت الأندلس عن انقلاب الموازين فكانت هذه الفئة أولى المنغمسين في مباهج الحضارة الأندلسية وعرفت بالطبقة الأرستقراطية التي ضمت ذوي المال والجاه تحت جناحها، وأسفرت عن التواجد الطبقي الذي نهى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عن هذا بقوله" **لاَ فَرق بيْن عَربِي ولا أعجمي**"، لكن وللأسف أضحى الفرق بين المسلمين أنفسهم والذي تمثل في الطبقة المتوسطة والتي كان لها نصيب من الأموال استطاعت بفضله أن تحتك به مع سابقتها لأنها رأت فيها قدوتها، وترفع عن أخراها لضمان مؤهلات العيش، أما الفئة الأخيرة وضمت السواد الأعظم من الرعية و التي سقط عليها عبء العيش و عانت الكثير من المشاكل وظلت في وجه مدفع الأزمات و الاضطرابات وفوق ذلك عانت التهميش من قبل المجتمع بنظرة الدناءة و الحقارة حتى تجردت من إنسانيتها فظهر فيهم المتسول و السارق وغير ذلك.

وككل مجتمع في المغرب الإسلامي من الشرق إلى الغرب، وبخاصة في الأندلس كانت المرأة هي العنصر الدائم الوجود وأساس تكوين الأسرة ولِذات الأمر تمتعت بالحرية الكافية أيام المرابطين فأكسبتها التخلي على بعض من أساسيات الدين التي حافظت عليه المرأة في مختلف العصور فتجاوزت القوانين، فخرجت حاسرة الشعر و الوجه لا و بل ترددت في الشوارع متبرجة، كما شاركت في مختلف المجالس التي أقيمت، وتدخلت في شؤون السياسة وسيطرت على الأمير في إشراك قرارها لولاية العهد، كما اختلفت درجاتها من المرأة الحرة إلى الجارية والتي ظلت وصيفة للحرة حتى أصبحت في غالب الأحيان محضيات الأمراء ، أما الأَمَةُ و الخادمة اقتصر عملها في خدمة المنزل دون المشاركة في جو الحياة.

كان للمجتمع الأندلسي عادات وتقاليد ميزته عن غيره ورسمت هويته واحتوت على ثقافته من خلال الزواج وأعرافه التي قامت على مرحلة تعارف وخطبة فتحضير ووليمة فأولاد وتربية، وإلى جانب الزواج وجد الطلاق الذي كان كثيرا وهو سمة العصر ، كذلك قضية الطبيخ الذي يبرز هو الآخر ثقافة المجتمع كما يدل على مستوى العيش وتبعا لهذا نقول أن المائدة الأندلسية توفرت على التنوع في الأطباق؛ وكذلك الأشربة المتعددة بالإضافة إلى اللباس و الاحتفالات التي تمثل حضارة المجتمع فكل هذه العادات والتقاليد توسمها الترف واللهو.

انتشر بالمجتمع العديد من المفاسد والرذائل التي أفسدت من طباعه وغيرت صورته الدينية وحُلل شرب الخمر فتجرعت كؤوسه واعتنقت زجاجته وراجت تجارته في المنطقة كثيرا بالرغم من النوازل التي تحرم ذلك، كما شاعت العديد من وسائل اللهو كالغناء الذي أدمنوا عليه كثيرا، ولم يقتصر الأمر على هذا فقط بل تجاوزه إلى الإقبال على الخلاعة والمجون بمختلف مظاهرها وانتشر الفسق بممارسة الزنا والإدمان على اللواط والعادة السرية وكذلك الخيانة الزوجية كما هرعت المرأة إلى إغواء الرجل برقة جسدها، فأدى إلى عزوف الرجال عن الزواج.

كان للتواجد النصراني بالمنطقة الأثر البالغ في تكوين شخصية الأندلسيين بالإقتداء بأفعالهم كما لعبت علاقة المصاهرة شقا عظيما في ربط علاقتهما، وعليه كان الانصهار في بوتقة عادات وتقاليد

واحدة بتأثير وتأثر.

خلاصة القول تفضي أن المجتمع الأندلسي كان لاهيا غارقا في بحر الملذات والشهوات غير مبالين بالدين متأثرين بالنصارى الذين دبوا فيهم كل ما يشين للإسلام فاقتدوا بهم، رغم المحاولات المتكررة لبعض الفقهاء و القضاة في ردعها إلا أن الأمر لم ينجح، وكان لانتشار هذه المفاسد رغم القبضة القوية التي أحكمها المرابطين لكن لم يتعدى الأمر إلى أنه بقي مجرد قول فقط لأنهم هم الآخرين مع عناصر الفئة الخاصة كلها أول المنغمسين في تلك المحرمات.

ملاحق

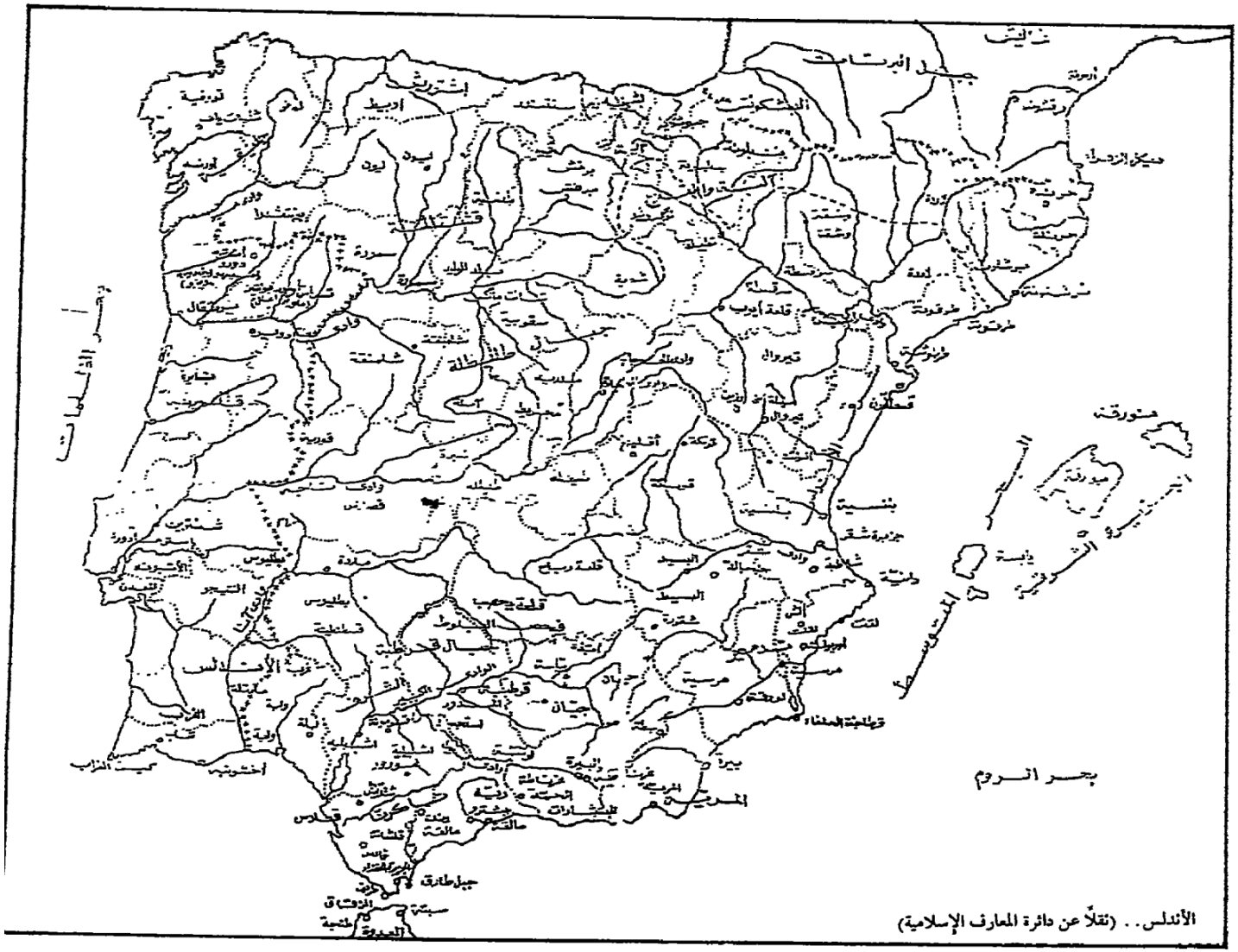

الأندلس.. (نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية)

ورقة من مخطوط ديوان ابن قزمان

أنظر: مخطوط ديوان ابن قزمان

زجل مهدي من بن قزمان إلى أحد الغلمان:

يـتِيه عَليَّ مـَـــــعْشـُـــوقْ مَليـــــــــــحْ رَشيقْ حُلَـي،
السِـــــحْر هُـــــــو جَمَــاله، لـَـــــو انـْــــطبَع شْوي
وَ إنَما هُـــــو مُعـــــجَــب وشِعْر مَن يْـــــــمْس؟
وصـَـــــــدْرُ مـَــــن يِعَنَّقُ وفم مَـــــــــن يـــبُسَ؟
حَسَّ المَنِـي مـــــــنِّـــــي واصْبُر لِـــــما نـَــــحُس،
فلس لنـــــــاري فيه نار ولاَ لـِــــــكَي كَـــــــي.
كـَم قُلتُ لَه: "حَبـيبِي، كَم ذَا صُدُود وتِيه؟"
تَقُتل لِمنْ يِحـــبـــــــكْ؟ هَلاَّ رَفَقْـــــــــــــت بِيه؟"
فَـــــقَال لِي، والرَّقَاعـة تْعْمَـــــل عـَــــــملْها فِيه:
"مَيتْ نْريدَك اكْثَـر إشْ كنـْــــــــريدَك حَي"
أللهَ عـَــــــطَاه وحـُــــبَــه لَقدْ عـَــــطَاه كـَــــــثير:
تَـــــــرى المِلاح جِواره: ألطاع، يا أمِـــــيـــــرْ،
كما هِي الكَـــــواكِب مع بَـــدرِها المـُــــنيْـر.
أي فِتنْ، أي مَـــــلاحة أيْ فِتنْ مِن صُـــــبي
شوقِي لِمـنْ نْحـــــــبه وَللذّهـــــــبْ شـَــديدْ
مَا لـــِي منْ القَوافي مـَــــن بَالي أو جَـــديدْ
عَدد من مثاقـــــــــلْ في يـــــــدِّ كـــــنْريدْ
أو مَا مِن الجَلالـــــــة فاَبْ عَامر ابْن أبِـــي،

ملحق رقم(3): أنظر ابن قزمان، الديوان، ص: 116

زجل مهدي إلى الأمير محمد سير بعدما أخرجه من السجن

لَقَـــــــــــدْ اشـــــتد حـــــبْلِي وَانْـــقَـــــــطَعْ بعْدَ ما اشْتَّـــدْ
وانَّـــــمَا نَـــــشْـــــكـــــرْ الله وأبْـــنْ سِـــــير
مـــــحـــــــــمَّد
لِلْقَـــــتْـــــل كـــــان رفَـــــعْنِـي ولَـــــــــد َابـــــن
المـــــناصـــِف
وعَـــــدنِـــــي مُـــــنـــافِـــــق وحْـــــســـْبـــني
مُـــــــخَالِف:
لَسْ عَنـــــــدَك مُـــصِيـــبـــة لَـــــــو خَـــرجْ رُوحِـــــــي
أو نَرى السَيفَ بعَيـنِـــي لْـــقـــطَـــــوع رَاســـِي يْجبَد؟
لَـــم يـَـرى قـَـــــط لعـــمْـــري قَاضِي يـــــــعْملْ ذَا الأعْمالْ
أنَّ يـــَسْـــكُـــــن جـــــوارِي كُـــــلْ حـــــواسْ
وقـِـــــــتـــالْ:
بَاللَّ، مَـــــا أطـــْول اللّـــيـلَ إذّ نبِيـــــتْ مشْغُول البَـــالْ،
لـــــيلا اخـــــر يـــــزَّادْ فِـــــيه أو حَبْل صَـــــــــدر يمْتَدْ؟
أشْ يَرى مَن مـــــــنَاحـــس فِي ذَاك الحَبسْ، لا كَـــانْ
أشْ لْقَـــــــــى فِيه غُلامَكْ مِنْ عَذَابِ كُل سَـــــــجانْ
هَذِيك الدَّار هِيْ عَندِي بِالضَـــــمان دَار الاحـــْـزانْ
فِي مَقَامًا عَظـِيم [كنت] بِـــــالقـَــــتْل كـِــــنهـدَدْ
مَلطِي لَـــس بـــقَـــــلبِـــــه مِـــــنْ الاسْـــــلام
رطـــــوبَـــــةْ
ألْـــــقَى خُلْـــــــخلال بسَاقِي ثَمَّ أوفَـــــــانِـــــي
طوبـــــةْ،
فَكَمَـــا جيْـــــتْ نبَـــــدَل ثَـــــمَّ جَـــــات
الصُـــــعـُوبة:
لَـــمْ يَـــــرى قِـــط شَاعِـر بِكبَـــــل يَـــــذّ
لِلـــــقـــــــدْ
قُلْتُ لَه إذّ دَخـــــل بـــيه لعَذابِـــــي
مْـــــــشـــــمَّـــرْ،

وجَعَل سَـــــــــاقِي دَاخِلْ
"أشْ ذَا المِحَن، يَا أخي،
علَى سَـــــاري تْلِـــقـيْـــه
أي عَمِـــيـــــــــل ولا كانْ
بالحَجَر كِنَّغـــــــطَى
وَذَاك المَنفُوخ السَـاقْ
"مَنْ أرَادْ يْقضِي مِنكُم
هَم في أفعَل، لَا تَفْعلْ
حَتى جَا مَن إذاَ قَـــالْ
عَـــملَه فَـــورًا فَـــوراً،
أنْـــــــبـُـــــــذ، أله الله
ياَ أبْن قزُمانْ، اسْكتْ
قَد مَعـــــكْ مَن تَئْملْ
يَهربْ النَحسْ مِن عَـام
وتَرى السَـعد مُـــــقْبلْ
يا مُحمِّد ابْنَ سِـــــيرْ،
يا مَـــــن اخـــرْ حيَاتِي
ما تُصـــــــانْ المَحـارِم
.....مَن كَـان
كُـــل سَيد و مَـــــــولَـى
ونَعيْـــــــمُه و عِـــــزِه
وَأرادَ اَنْ
يْـــــــسْمـــَـــــــرْ:
ولـــــعَّـــــل ثَـــــم
أصْغَـــرْ؟
أو عَلَى خَشبَـــــة اليـــــدْ؟
[وَمَا كَان] نِعْم مَـــصْدوقْ:
لَوْ شَهَـــــد فـَـــيَّ مـخْلـوقْ
يمْشِي مِنْ سُوقْ[إلى سوق]
حَاج للْـــــقَاضـِــــي
يَـشهَد"
وفـــي أثـــبـــت لا
تَـــــثْبـتْ
أشْـــمَا قَالـــــــهْ لا
يسْكُـتْ،
واهرُبْ اشْكُـــد أفْـــلـــتْ
عَجلْ، أُشْـــرُدْ، لا
تْـــــــبـــرِد
أنـــتَ جَيدْ مِن عَـــامْ اوَل
وَعَـــلى مِـــــن
تْـــعـَـــــولْ:
مَـــتَّى مَا قِـــــيل لُ "أزولْ"
متّـــى مـــا قـِيل لُ"أشْـكـد"
يَا حَـــبيـــــبْ كُلَّ
سلْـــطانْ،
وبُـــلـــُوغ اجَلِـــــي قَد حَان،
وتْـعَـــــمَـــر
الأَوطـــــــانْ
الـلّه.....
أتْ هـــُوْ مَـــولاَه وَسيـدَه
وبـُـــــــرورَه

وعِـــــيـــــــدَه

والـــــــــذِي لا تَريدهْ يا إشْر، لَـــــــــسْ

نـــــــرِيدَه:

ولِي مَن شِيت واعْزلْ، حَل مَا شِيـــــتْ واعْـــقُـــــد.

كَالقَـــــمرْ هُو كَلامِي يَخذ هُـــــــــــنَاكْ فَأهُـــناكْ،

ومَتَّى مـــا يَفتَى بِيه زادْ فِي مَـــــرحك وســـلاكْ،

فنَراه بَينَ الأيدِي نَـــجِدُه هُذا مَـــــــنْ ذَاك،

والمَليحْ كُـــل معشُوقْ يَـــــــمـــــــشِي وَلـــــي

يـــرُدُ

ملحق رقم(4). أنظر: ابن قزمان، الديوان، ص:155-159.

قائمة المصادر و المراجع

❖ **القرآن الكريم (رواية ورش)**

❖ **المصادر غير المطبوعة**

1. ابن جبير(أبي الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي)، رحلة ابن جبير، د.ط، مركز ودود للمخطوطات، د.د، د.س.

2. البغدادي(ابن المرأة محمد بن أبي الفتوح)، مخطوط مفرح النفس، مكتبة الشاذلي النيفر، تونس، رقم:61.

3. بن الوردي (سراج الدين أبي حفص)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، د.ط، مركز ودود للمخطوطات، مصر، ت: 20.

4. ديوان الشيخ الوزير أعجوبة الزمان أبي بكر بن عبد الملك بن قزمان.

5. السمرقندي (يحي) ، رسالة في نوادر العلماء المسلمين في الأندلس، د.م. رقم المخطوط 2232 .

6. مجهول، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر و تغيير المناكر، الرقم: 1353، 356:Cd.

❖ **المصادر المطبوعة**

1. ابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي)، التكملة لكتاب الصلة ، تح: عبد السلام الهراس ، د.ط، دار الفلك ، بيروت، 1995.

2. //، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تح: إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر، بيروت، 1998.

3. //، تحفة القادم، د.م.

4. //، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، ط2، دار المعارف، مصر، 1663، 1985.

5. الأبشيهي (شهاب الدين محمد المحلي)، المستظرف في كل فن مستظرف، ،ط1، دار إحياء التراث العربي، د.د، د.س.

6. ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني)، الكامل في التاريخ، مر:محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

7. ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، د.م.

8. ابن الدلائي (أحمد ابن عمر بن العذري)، نصوص عن الأندلـــس من كتاب ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تح: عبد العزيز الأهواني، د.ط، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.س.

9. ابن الزبير (أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي) ، صلة الصلة، تح: شريف أبوا العلاء، ط1، د.د، مصر،2008.

10. ابن العماد الدمشقي (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي ابن أحمد ابن محمد العكري الحنبلي)، شذرات الذهب في أخبار من الذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، د.ط، دار ابن كثير، بيروت، 1985.

11. العمري ابن الفضل (شهاب الدين أحمد)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: -حمزة أحمد

12. ابن الفقيه (أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني)، نصوص لم تحقق من كتاب البلدان (السواد، الأهواز، الترك)، تح: ضيف الله يحي الزهراني و مريزن سعيد عسيري، د.ط، جامعة أم القرى، السعودية، 1997.

13. ابن القطان المراكشي (أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاني)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

14. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر، بيروت، 1989.

15. ابن بسام الشنتريني (أبي الحسن علي)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ج1، د.ط، دار الثقافة، بيروت، 1997.

16. ابن بشكوال، كتاب الصلة، تح: شريف أبوا لعلى العدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2008.

17. ابن بلكين (عبد الله ابن باديس بن حبوس)، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،2006.

18. ابن تومرت (محمد المهدي)، أعز ما يطلب، تح، عمار طالبي، د.ط، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

19. ابن حزم (أبي محمد علي بن سعيد)، جمهرة أنساب العرب، نش و تع وتح: ليفي بروفنسال، د.ط، دار المعارف، مصر، 1948.

20. // ، رسائل ابن حزم، تح: إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية، بيروت، 1987.

21. // ، طوق الحمامة في الألفة و الألاف رسالة في أوصاف الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، مر: ياسين الأيوبي، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، 2010.

22. ابن حوقل (أبي القاسم)، المسالك و الممالك ، د.ط ، مطبع بريل ، ليدن ،1872،

23. ابن حيان القرطبي، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تح: محمد على مكي، د.ط، د.د، مصر، 1994.

24. ابن خاقان الفتح (أبي نصر الفتح ابن محمد ابن عبد الله القيسي الإشبيلي)، مطمح الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: هدى شوكة بهنام، ج1، د.ط، دار الجاحظ، د.س.

25. // ، قلائد العقيان و محاسن الأعيان، تح : حسين يوسف خربوش، ج1، ط2، مكتبة المنار، الأردن، 1989.

26. ابن خلدون(عبد الرحمن)، المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، 2001.

27. ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1968.

28. // ، معجم مقيدات ابن خلكان، تح: عبدالسلام محمد هارون، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1987.

29. ابن دحية (أبي الخطاب عمر)، المطرب من أشعار أهل المغرب، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008.

30. ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام و الألوان، تح: محمد بن شقرون، نش: إحسان عباس، ط1، ط2، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، 2012

31. ابن زرع الفاسي(علي بن عبد الله)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د.ط، دار المنصور، المغرب، 1972.

32. ابن زيدون ، ديوانه، شر: يوسف فرحات، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.

33. ابن سعيد المغربي (أبي الحسن علي ابن موسى)، كتاب الجغرافيا، تح:إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري، بيروت، 1970.

34. // ، المغرب في حلي المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، ط4 ، دار المعارف، مصر، د.س.

35. // ، رايات المبرزين و غايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، ط1، طلاس، 1987.

36. ابن سهل الأندلسي (أبي الأصبغ عيسى)، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء و البدع في الأندلس، تح: محمد محمود علي مكي مصطفى كامل، ط1، المركز العربي الدولي، مصر، 1981.

37. // ، وثائق في شؤون العمران في الأندلس" المساجد والدور"، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، مر: مصطفى كامل إسماعيل و محمود علي مكي، معهد التربية للمعلمين، الكويت، 1981.

38. // ، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، تح: محمد عبد الوهاب خلاف، مر:محمود علي مكي، د.ط، المركز العربي، مصر، د.س.

39. ابن سهل العسكري (أبي الهلال حسن بن عبد الله)، جمهرة الأمثال، ظب: أحمد عبد السلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيـروت، 1988.

40. ابن سينا (أبوا الحسن بن علي)، القانون في الطب، تح: علي زيعور، تق: إدوار القش، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1993.

41. ابن صعد الأندلسي، طبقات الأمم، نش: لويس شيخوا اليسوعي، د.ط، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912.

42. ابن عبد ربه الأندلسي(محمد بن أحمد)، ابن عبد ربه الأندلسي مع دراسة لحياته وشعره، تح: محمد التوجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993.

43. // ، العقد الفريد،تح:عبد المجيد الترجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

44. ابن عبدون التجيبي و عبد الرؤوف، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب، تح: ليفي بروفنسال، د.ط، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، مصر، 1955.

45. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وليفي بروفنسال، د.ط، دار الثقافة، بيروت، د.س.

46. ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن يحي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

47. ابن قزمان القرطبي، ديوان:إصابة الأعراض في ذكر الأغراض، تح: فيديريكو كورينتي، ط1، دار أبي الرقراق، المغرب، 2013.

48. إبن قنفذ القسنطيني (أبي العباس أحمد بن الحسن بن علي بن علي بن الخطيب)، الوفايات، تح: عادل نويهض، ط4، دار الأوقاف الجيدة، بيروت، 1983.

49. ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تح:مكتب التحقيق و الدراسات، ط1، دار الفكر، بيروت، 2004.

50. // ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تح:محمد عبد الله، د.ط، دار ابن هيثم، مصر، 2004.

51. // ، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح:كامل محمد عويصة، ط1، دار عنان، مصر، 2003.

52. ابن لب الغرناطي(أبي سعيد)، تقريب الأمـــل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد، تح، حسين مختاري و هشام الرامي، إش: مصطفى الصميدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

53. ابن مريم (أبي عبد الله محمد ابن محمد بن أحمد)، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، إع: محمد ابن أبي شنب، د.ط، مطبعة الثعالبة، الجزائر، 1908.

54. ابن منظور، لسان العرب، د.ط، دار المعارف، القاهرة، د.س.

55. ابن أبي الدينار القيرواني (محمد بن أبي القاسم الرعيني)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286.

56. أبي الفدا (عماد الدين إسماعيل)، المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسنية، مصر، د.س.

57. الإدريسي (أبي عبد الله محمد ابن محمد ابن عبد الله ابن إدريس الحمودي)، المغرب وأرض السودان و الأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، د.ط، مطبع بريح، ليدن، 1863.

58. الإصطخري (إسحاق الفارسي)، مسالك الممالك، د.ط، مطبعة بريل، ليدن، 1927.

59. الأندلسي(عبد الملك بن حبيب السلمي)، كتاب التاريخ، إ.ع: عبد الغني مستو، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2008.

60. الباجي المسعودي (أبي عبد الله)، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، ط2، مطبعة بيكار، تونس، د.س.

61. البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردية)، صحيح البخاري، تح: طه عبد الرؤوف سعد، د.ط، دار الرشيد، الجزائر، 2003.

62. البرزلي(أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تح: محمد حبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002.

63. البغدادي(صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع و هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحموي، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1925

64. البغدادي(محمد بن الحسن بن محمد الكاتب)، كتاب الطبيخ، نش: فخري البارودي، ط1، دار الكتاب الجديد، دب، 1964.

65. البلاذري (أبي العباس أحمد ابن يحي ابن جابر)، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع، د.ط، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987.

66. البونسي (الفهري الشريشي)، كنز الكتاب ومنتخب الآداب، تح: حياة قارة، د.ط، المجمع الثقافي،أبوا ظبي، 2007.

67. البيدق (أبا بكر الصنهاجي)، المقتبس من كتاب الانساب فيي معرفة الاصحاب، تح: عبد الوهاب بن منصور، د.ط، دار المنصور، المغرب، 1971.

68. التونسي (فارس النديم الهمام)، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ط1، المطبعة الدولية، تونس، 1284.

69. الجونفودي(عبد الأول ابن علي)، الطريف الأديب الظريف، دط، طبع في مطبع أصح المطابع، د.ب، 1313

70. الحموي (ابن حجة)، بلوغ الأمل في فن الزجل، د.م.

71. الحميدي(أبي عبد الله محمد بن فتوح)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف و محمد بشار، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.

72. الحميري (ابي عبد الله محمد ابن عبد الله ابن عبد المنعم)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت،1988.

73. // ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح:إحسان عباس، ط1، ط2، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1975، 1984.

74. الداودي (ابن أبيك)، كنز الدرر وجامع الغرر، تح: دوروتيا كرافولي، د.ط، قسم الدراسات الإسلامية، بيروت، 1996.

75. الدهلاني(أحمد بن الزياني)، تهذيب تاريخ الدول الإسلامية بالجذوم المرضية، ط2، دار المشاريع، بيروت، 2006 .

76. الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي)، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.

77. // ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1989.

78. الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني)، تاج العروس، تح:محمود محمد الطناحي، مر: مصطفى حجاري و عبد الستار أحمد فراح، د.ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 2004.،

79. الزجالي(أبي يحي عبيد الله بن أحمد القرطبي)، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، د.ط، منشورات وزارة الدواة المكلفة بالشؤون الثقافية و التعليم الأصلي، د.ب، د.س.

80. الزركلي (خير الدين)، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء مع العرب و المستعربين المستشرقين، ط15، دار الملايين للعلم، بيروت، 2002 .

81. الزهري أبو بكر (أبي عبد الله محمد)، الجعرافية وما ذكره الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب وتحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، تح: محمد الحاج صادق، د.ط، مكتبة الثقـافة الدينية، مصر، د.س.

82. السقطي (أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي)، في آداب الحسبة، تح: ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، د.ط، د.د، فرنسا، د.س.

83. السمرقندي (أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم)، فتاوى النوازل، تح:يوسف أحمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

84. السندي (ابن الحسن الحنفي)، شرح سنن بن ماجة، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.س.

85. الصدفي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.

86. الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مصر، بيروت، 1989.

87. عبد الواحد المراكشي (أبي محمد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، د.ط ، د.د، مصر، 1963.

88. // ، وثائق المرابطين و الموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1997.

89. العبدري (أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن سعود)، رحلة العبدري، تح:علي إبراهيم الكودي، ط1، ط2، دار سعد الدين، مصر، د.س.

90. العبدلي(عبد الله بن سعد الغامدي)، عقيدة الموحدين في الرد على الظلال والمبتدعين، تح:سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط2، دار الطرفين، مكة، 1419.

91. عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تح:محمد عمارة، ط1، دار الشروق، بيروت، 1989.

92. العذرى (أبوا العباس أحمد)، رسائل جغرافية، تح: عبد الله يوسف، دورية علمية، ع130، 1989.

93. العقباني التلمساني (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد)، تحفة الناظر غنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، د.ط، خزانة التراث العربي، فرنسا، 1967.

94. القزويني (زكرياء بن محمد بن محمود)، أثار البلاد و أخبار العباد، د.ط، دار صادر، بيروت، د.س.

95. الكاساني الحنفي (علاء الدين أبي بكر بن مسعود)، بدائع الصنائع و ترتيب الشرائع، د.م.

96. الكتاني (أبي عبيد الله محمد بن الحسن بن الحسين المذحجي الطبيب)، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس ، ط3، دار الشروق، بيروت، 1986 .

97. لسان الدين ابن الخطيب (السلماني)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار، تح:محمد كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000.

98. // ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1973.

99. // تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956.

100.// ، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، نش :محب الدين الخطيب، د.ط، مطبعة السلفية، د.ب، 1374.

101.// ، تاريخ المغرب الوسيط جزء من أعلام الاعلام، تح:أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني، د.ط، دار الكتاب، المغرب، 1964.

102.// ، رقم الحلل في نظم الدول،د.ط،المطبعة العمومية، تونس، 1316.

103.اللورقي (أحمد بن سعيد بن بشتغير)، نوازل اللورقي، تح:قطب الريسوني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2008.

104.ليون الإفريقي (حسن بن محمد القاسي)، و صف إفريقيا، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.س.

105.الماوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب)، الأحكام السلطانية و الولايات الدنية، تح:أحمد مبارك البغدادي، ط1، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989.

106.//، نصيحة الملوك، تح:فؤاد عبد المنعم أحمد، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1988.

107.المتنبي، ديوان المتنبي، د.ط، دار الجيل، بيروت، د.س.

108.مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها رحمهم الله و الحروب الواقعة بينهم، د.ط، دار مجريط، ريدنير،1867.

109.مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار بوصف مكة و المدينة ومصر و بلاد المغرب، تح: عبد الحميد زغلول، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.س.

110.مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد الله زمامة، د.ط، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979.

111.مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تح: لويس مولينا، د.ط، مدريد، 1983.

112.الغساني محمد ، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير، تحر:نوري الجراح، ط1، دار السويدي ودار فارس و المؤسسة العربية، الإمارات، الأردن، بيروت، 2002.

113. مقديش محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ و الأخبار، تح: علي الزواوي و محمد محفوظ، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

114. المسعودي(أبي الحسن بن علي)، مروج الذهب و معادن الجوهر، مر:كمال حسن مرعى، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005.

115. المعتمد بن عباد، ديوانه، د.ط، د.د، 2000.

116. المقري (أحمد ابن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1988.

117. //، عمل طب لمن أحب، تح: أبي الفضل عبد الإله العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.

118. //، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ظب و تح و تع: مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، د .ط ، مطبعة لجنة التأليف ،مصر ، 1939.

119. //، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ط1، مكتبة مدبولى، مصر، 1998.

120. النباهي (أبي الحسن)، في قضاة الأندلس أو المرتبة العليا فيمن استحق القضاء و الفتيا، شر: مريم قاسم طويل، ط1، دار الكتب العلمية، 1995.

121. النواجي (شمس الدين محمد بن حسن)، عقود اللّآل في الموشحات والأزجال، تح: أحمد محمد عطا، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 1999.

122. النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب،تح:عبد المجيد ترجيني، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س.

123. الونشريسي (أبوا العباس أحمد بن يحي)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس و المغرب، د.ط، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المغرب، 1983.

124. //، الأحكام الجامعة، تح: شريف المرسي، ط1، دار الأفاق العربية، د.ب، 2011.

125. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الرومي)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

126. //، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، 1977.

127. اليعقوبي (أحمد ابن أبي يعقوب إسحاق ابن جعفر ابن وهب ابن واضح)، البلدان، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.س.

❖ **المصادر المعربة**

1. كي لسترج، بلدان الخلافة المشرقية يتناول صفة العراق و الجزيرة وإيران و أقاليم اسية الوسطى منذ الفتح الإسلامي من أيام تكرور، تح: بشير فرنسيس كوركيس عواد، د.ط، مؤسسة الرسالة، إيطاليا، د.س.

2. يوحنا أفندي أبكاريوس، قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، بيروت، 1985.

❖ **المراجع بالعربية**

1. أرسلان شكيب، الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، د.ط، دار مكتبة الحياة، د.س

2. أمقران الحفناوي ، الموشحات و الأزجال، ، د.ط، منشورات السهل، الجزائر، 2009.

3. بدوي عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين، ط4، المؤسسة العربية، الأردن، 2003.

4. بنمليح عبد الإله ، الرق في بلاد المغرب و الأندلس، ط ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2004.

5. بوتشيش إبراهيم القادري ، المغرب و الأندلس في عصر المرابطين المجتمع الذهنيات الأولياء، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1993.

6. // ، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، ط1، رؤية للنشر، د.ب، د.س.

7. // ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي، د.ط، دار الطليعة، بيروت، 1997.

8. حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس عصر المرابطين و الموحدين، ط1، كلية دار العلوم، مصر، د.س.

9. الحسن محمد بن إبراهيم ، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال العصر المرابطين و الموحدين، ط1، دار أصداء المجتمع، 1998.

10. حسين مؤنس، تاريخ الأندلس فكر تاريخ و حضارة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1996.

11. الحلو سليم ، الموشحات الأندلسية نشأتها وتطورها، تق:إحسان عباس، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.

12. الداية محمد رضوان ، في الأدب الاندلسي، ط1، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ، بيروت، دمشق، 2000.

13. دندش عصمت عبد اللطيف ، أضواء جديدة على دولة المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

14. // ، الأندلس نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.

15. رجب عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ المأكل والمشرب في الغربية الأندلسية، د.ط، دار غريب، مصر، 2003.

16. السامرائي خليل إبراهيم و ذنون عبد الواحد طه وناطق مطلوب صالح ، تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2000.

17. السرجاني راغب ، قصة الأندلس من الفتح حتى السقوط، ج1، ط1، مؤسسة اقرأ، مصر، 2011.

18. السيد كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، د.ط، مركز الإسكندرية، مصر، 1996.

19. شحلان أحمد ، التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي التسامح الحق، ط1، دار أبي الرقراق، المغرب، 2006.

20. الشعيري سناء ، المرأة في الأندلس، ط1، دراسات الأندلس وحوار الحضارات، المغرب، 2009.

21. ضيف شوقي ، عصر الدول و الإمارات في الأندلس، د.ط، دار المعارف، القاهرة، 1989.

22. العامري محمد البشير، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، ط1، دار غيداء، عمان، 2012 .

23. عباس إحسان ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين، ط2، دار الشروق، عمان،

24. عباسة محمد ، الموشحات و الأزجال و أثرها في شعر الترابادور، ط1، دار أم الكتاب، الجزائر، 2012.

25. عبد المنعم محمد حمدي ، التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، د.ط، دار المعرفة الجامعية ، د.ب ،1997 .

26. عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1997.

27. العيدوس محمد حسن ، العصر الأندلسي تاريخ العرب في بلاد الأندلس دراسة في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي، د.ط، دار الطليعة، بيروت، 1997.

28. الغنيمي عبد المفتاح مقلد ، معركة بلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي الأروبي، ط1، عالم الكتب، مصر، 1996.

29. فكري أحمد ، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ و حضارة ، د.ط، شباب الجامعة، مصر، 1989.

30. مجدي شمس الدين ، ابن قزمان و الزجل في الأندلس، د.ط، الهيئة المصرية العامة، مصر، 2007.

31. محمود حسن أحمد ، قيام دولة المرابطين، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.س.

32. مسعد سامية مصطفى محمد ، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري الرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الثقافة، مصر، 2003.

33. مصطفى قيصر ، حول الأدب الأندلسي، د.ط، دار الأشرف، بيروت، د.س.

34. الناصري(أحمد بن خالد السلاوي)، الإستقصاالأخبار المغرب الأقصى، تح:جعفر الناصري و محمد الناصري، د.ط، دار الكتاب، المغرب،1954.

❖ **المراجع المعربة**

1. أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تح:حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1928.

2. رينهارت دوزي، نظرات في تاريخ الإسلام عصري صدر الإسلام وملوك الطوائف بالأندلس، د.ط، دار ومكتبة بيبليون، بيروت، 2005.

3. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحميد النجار ، ط3، دار المعارف، مصر، د.س.

4. ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب و الأندلس، تح: السيد محمود عبد العزيز سالم و محمد صالح الدين حلمي، مر: لطفي عبد البديع، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1990.

5. // ، الحضارة العربية في إسبانيا، تر: الطاهر أحمد مكي، ط1، ط2، ط3، دار المعارف، مصر، 1979، 1985، 1994.

6. // ، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلسي تاريخها، تر:محمد عبد الهادي شعيرة، د ط، المطبعة الأميرية، مصر، دس.

❖ **المراجع بالأجنبية**

1. Ernest Mercier, Histoire de L’Afrique Septrionale Berbère Depuis les plus Reculés Jusqu'à la coquète française 1830, Ernest Leroux éditeur, paris, 1868.
2. Mhammad Benaboud, Sevilla Enel Siglo XI, Bibloitaca de temas sevillanos,Sivilla, 1992.
3. Mohammed hammam, L’occident musulman et L’occident chrétien au Moyen Age, Publication de faculté des lettre, Rabat, 1995.

❖ **المعاجم و القواميس**

1. أبادي الفيروز (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف:محمد نعيم الوقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.
2. أبو الذهب أشرف طه ، المعجم الإسلامي ،ط1، دار الشروق ،مصر، 2002.
3. أبو حجر آمنة ، المعجم الجغرافي، ط2، دار أسامة، عمان، 2009.
4. حلمي جمال مراد ، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.
5. محمود محمد ، المعجم الوسيط، ط2، مكتبة الشروق الدولية، مصر،2003.
6. معاسيس نجاة سليم محمود ، معجم المعارك التارخية، د.ط، دار زهران، د.ب، 2002.

❖ **المقالات و المجلات**

1. أنور محمود زناتي، دور الفقهاء في الحياة الإجتماعية خلال عهد المرابطين، مجلة كان التاريخية، ع25، 2008،
2. بن حمادة سعيد ، الرشوة في مجتمع في المغرب و الأندلس خلال العصر المرابطي، مجلة كان، ع17، 2012 :
3. ثريا الحسن محمود، أزياء المجتمع الأندلسي من 92هـ - 625، مجلة كلية الآداب، ع202، دس، ص: 196. محمود عبد الحسن
4. الجراري عباس ، أهمية الموسيقى والغناء في حضارة الأندلس، التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا و المغرب، سلسلة الدورات، غرناطة، 1992
5. جيمس ت كونرواج، الزجل والموشح:الشعر الأندلسي والتراث الرومانسي، الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحر: سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.
6. دافيد وينز، فنون الطبخ في الأندلس، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحر: سلمى خضرة الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

7. دراسات أندلسية في الأدب و التاريخ و الفلسفة، تح:الطاهر أحمد مكي، ط3، دار المعارف، بيروت،1987.

8. زناتي أنور محمود ، دور الفقهاء في الحياة الإجتماعية خلال عهد المرابطين، مجلة كان التاريخية، ع25، 2008،

9. زيدان سليم ، منابع الشعر في الزجل الأندلسي، مجلة الدراسات الأندلسية، ع23، 2002، ص:99-94.

10. الشلبي عمر ، دور علماء الأندلس في الحياة السياسية خلال القرن الخامس هجري، مجلة الجامعة الإسلامية، ع2، 2007،

11. شيخة جمعة ، من مظاهر الحياة الإجتماعية بالأندلس طقوس الجنائز، مجلة الدراسات الأندلسية، ع13، 1995،

12. الفاسي عبد الرحمن ، ذيل وتعليق حول "قضية المعتمد ابن عباد"، مجلة المناهل، ج1، ع1، المغرب، 1974

13. قعيب حمودة ، ابن قزمان و ثراثه الزجلي(بالعربية على اليمين)، مجلة الدراسات الأندلسية، ع10، 1993

14. المدني عز الدين ، ابن قزمان شخصية شعرية تاريخية، مجلة الدراسات الأندلسية،ع17، المغرب، ص

15. ملاخ عبد الجليل ، قبائل الملثمين الصحراويين ودورها في التمهيد لقيام دولة المرابطين، مجلة الواحات و الدراسات،ع15، دس

16. ملاخ عبد الجليل ، قبائل الملثمين الصحراويين ودورها في التمهيد لقيام دولة المرابطين، مجلة الواحات و الدراسات،ع15، دس

17. الميساوي سهام الدبابي ، الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة ق5-7هـ/ 11-13م، مجلة الدراسات الأندلسية، ع6، 1991

18. الودادي عيسى ، سلطة الفقهاء على الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، مجلة العلوم الإنسانية، ع:20، 2001، ص:10

19. الودادي عيسى ، سلطة الفقهاء على الشعر الأندلسي في عصر المرابطين، مجلة العلوم الإنسانية، ع:20، 2001.

رفهارس

❖ فهرس القرآن:

- "إنَّ الله يُحِبُ التَوابِينْ وَ يُحِبُ المتطَهرينْ".....29
- "وجَعلْناكُم شُعُوبًا وقبَائِلَ لتِعارَفوا إنَّ أَكْرمَكُمْ عِنْدَ الله أتقاكم".....142
- "إنكُم لَتَأتون شَهَوة مِن دُون النِسَاء".....134
- "حَتَّى يُعطُوا الجزِيةَ عَنْ يَدٍ وَهمْ صَاغِرونْ".....55
- " قَالَ رَبّ إشْرحْ لِي صَدْري وَ يَسرْ لِي أَمْري وَاحْلُلْ عُقْدَة مِنْ لسَانِي يَفقَهُ قَولي".....29
- "وَاجْعَلْ لِي وَزْيراً مِن أَهلِي هَارونَ أخِي أَشُد بِه أزْرِي".....77
- "وإذا أردنا أَن نُهْلك قَرية أمَرنَا مُترفِيها فَفَسَقوا فِيها وحَقَّ عليهِمَ فدمَّرناهَا تدْميْرَا".....110
- " وَإذَا حُييتُمْ بِتَحية فَحُيُوا بِأحسَنَ مِنهَا أَوْ رُدُوهَا".....28
- "وَإنَّ عَليكُم لحَافِظين كِراماً كَاتبِينْ".....77
- "وإنكَّ لعَلَى خُلقٍ عَظِيم".....104
- " وَقُل لِلْمُؤمنَات يَغضُضْن مِنْ أبْصارِهِنَ وَيَحفَظنَ فُرُوجَهُن ولَا يُبدِين زِينَتهُن إلاَّ مَا ظَهرَ مِنها وَ ليضْرِبْن بِخمُرهِن عَلى جُيوبِهِنَ و لاَ يُبدِين زِيْنَتَهُن إلاَّ لبُعولتِهُنَ" ..... .130
- "وَلاَ تَقربُوا الزِنَى إنَه كَان فَاحِشة وَسَاء سَبيلاَ" 128
- "وَلتَّكنْ مِنكُم أُمَّةٌ يَدْعونَ إلى الخَير وَ يأمُرونَ بالمعروفْ وَينْهونَ عنِ المنْكَرْ".....76
- "وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودَ وَلاَ النَصَارَى حَتَى تَتبعَ مِلَّتَهُمْ".....144
- "ولُوطًا ءَاتَينَاه حُكماً وعِلماً ونَجَينَهُ منَ القَرْية التِي كَانتْ تَعملُ الخَبائِث أَنَّهُم كَانُوا قَومَ سُوءٍ فَسِقِينْ".....133
- "يَا أيُهَا الذِين آمَنوا إنَّما الخَمر والميسِر والأنْصابُ والأَزلام رِجْسٌ مِن عَمل الشَيطَانِ فَاجْتنِبوهْ لَعلَكم تُفلِحون".....112
- "وَ كُلُ نفْسٍ ذَائقةُ الموتِ".....87
- " وَقَالتْ النَصارَى إنَّ الله ثَالِثُ ثَلاثَة".....142

- " وَقَالتْ النصَارَى إنَّ المسِيحْ ابنُ الله".....142

❖ **فهرس الحديث:**

- "لَا تَدْخُلُوا الجَنَة حَتَّى تُؤمِنُوا ،وَ لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَّحابُوا ، أَوَلاَ أَدُلُكُم عَلى شَيءٍ إِذَا فَعلتُموه تَحَابَبتمْ، أَفشُوا السَلامَ بينَكُم".....28
- "يَا معْشَر الشَباب مَن اسْتطاعَ منْكُم البَاءة فَليتزَوج فَإنه أغَّضَ للْبصَّر وأحْصنْ للفرجْ..".. 86
- "إِنَّ أَوَّل مَا نبدأُ مِن يَومنَا هَذا أنْ نُصلي ثمَّ نَرْجِعُ فَننحِر فَمن فَعل فَقَدْ أصَابَ سُنتَنا"..... 102
- "مَنْ شَرِب الخَمْرَ فِي الدُنيا ثُمَّ لمْ يْتُبْ حَرِمهَا في الآخِرة".....112
- "إيَاكُم وَ الجُلوسْ بالطُرقاتْ".....113
- "كُلَّ شرابٍ أسْكَر فَهوَ حَرام".....113
- "يَأتِي أنَاْس مِنْ أمَتي يشْرَبونَ الخَمْر ويُسمونهَا بغَير إسْمِها".....114
- "حُرمَت التِجارَة فِي الخَمْرِ".....117
- "لَعن الله الراشي والمرتشي والواسط بينهما".....122
- "الزَانِي بِخلِيلة جَارِه لا يَنظُر الله إلَيهِ يَوم القِيَامةِ ولَا يُزكِيه وَيقُول لَه: أُدْخُلْ النَّارَ مَعَ الدَاخِلينْ" 131
- "أُقْتُلُوا الفَاعِلَ و المفْعولِ بِهِ".....134
- "لاَ تُرفَعُ فيكُمْ يَهُوديةً ولاَ نصْرانِيةً".....56

❖ **فهرس الأمثال:**

- "الإحْتفَالْ بالنَيروزْ أوَ ينيِر".....145
- "أَسْودْ عَلى أَسودْ هَّمْ أَن لاَ يَرفـدْ".....61
- "أَعْطي العَبدَ ذِراعًا يَطلُب كُراعًا".....61

- "افْتِنا يا قَاضِي يْرْحَمكَ اللهْ".....74
- "البربري و الفار لا تعلم باب الدار".....53
- "بَقيةْ خَليعْ أَخيْر مِن بَقيةْ كَاتبْ".....81
- "السُلطانْ مَنْ لاَ يَعرِفه سُلطَانْ".....69
- "صَّاحبْ صَنعَتَكْ عَدوكْ ولو كَانْ أَخوكْ".....82
- "طَالع هَابطْ بْحلْ عْمامْ فِي رأْسْ مرابْطْ".....88
- "فُندُقْ بنْ رَاغُوا: نَصَارَا وْيهُودْ ومُسْلِمِينْ أَن نْطاَفْ".....137
- "القِطاَعْ وْ القْرَاعْ و يجِي الشَرابْ مِنْ السَاعْ".....113
- "مَا أطْيبَ العرْسَ لولا النَفاقة".....85
- "مَن مَاعُ تَرنْج لينِير يْرفَعهَا".....145

❖ **فهرس الأعلام :**

– الألف –

- أَبجعْفرْ الصَّرَّافْ.....82
- ابن الحاج.....74
- ابن الخطيب.....48.27
- ابن الزقاق الأندلسي.....34
- ابن المغيث.....54
- ابنْ المنَاصْفْ.....75
- ابن بقي.....43
- ابن حمدين.....25
- ابن عبد ربه.....115
- ابن مدغليس.....47

- ابن مُغيث.....54
- ابن نمارة.....44
- أبُو القَّاسمْ.....75
- أبو بكر بن مرتين.....34
- أبو مروان بن زهر.....79.46
- أبوا عبد الله محمد بن سعد ابن مردنيش.....35
- أبي الرقعمق.....34
- إشبان ابن طيطش.....11
- اشبيلية.....17.13
- إعتماد الرميكية.....125
- أَلِيفْ 65

– الباء –

- بلج ابن بشر القشيري.....63

– الجيم –

- ج.س كولان.....48

– الحاء –

- الحسين بن أبي طالب.....48

– الراء –

- رسول الله صلى الله عليه وسلم 145

- روذمير.....68
- ريبيرا.....48

– الزاي –

- زرياب.....119
- زَهرْ 65
- زينب النفزاوية.....116

– الطاء –

- طارق ابن زياد.....14

– العين –

- عبد الرحمن الثالث أو الناصر.....119.16.12
- عبد الرحمن الداخل.....15
- عبد العزيز ابن موسى.....15
- عبد العزيز الأهواني.....75.68.34
- عبد الله بن ياسين.....65
- علي بن تاشفين.....132
- علي بن يوسف.....127-67
- عيسى بن قزمان.....47.27
- عيشة.....65

– الغين–

- غرسيية غوميث.....48
- الغزالي.....70

– الفاء –

- فديريكوا كورينتي.....48

– الميم –

- المتنبي.....47
- المتوكل بالله.....48.27
- مجدي شمس الدين.....30
- محمد بن سير.....34
- محمد بن عبد الملك 61
- محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري.....25
- محمد.....68.36
- مدغليس.....47
- مَرَيم 65
- المستعين.....25
- المسيح عليه السلام.....105-88
- المعتضد.....77.68.59.8
- المعتمد ابن عباد.....126.125.26.14
- المقري.....26-13
- المنصور.....53
- المهدي بن تومرت.....132

- موسى ابن النصير.....141.15.14

– النون –

- نزهون الغرناطية.....33
- نيكل.....48

– الهاء –

- هارون الرشيد.....76

– الواو –

- وداد.....64
- الوشكي.....54
- ولادة.....63

– الياء –

- يحي بن زكرياء عليه السلام.....146
- يوسف بن تاشفين.....17
- يوليان.....145

❖ **فهرس الأماكن و المعارك و القبائل:**

– الألف –

- اسبانية والبرتغال.....10
- الأندلس.....165.37.15.12.10

– الباء –

- بتر.....52
- بحر الأنفليشين.....11
- البحر الشامي.....11
- البحر المظلم.....25
- برانس.....52
- بطليوس.....10
- بغداد.....11.12
- بلاط الشهداء.....15

– الجيم –

- جبل البوغاز (جبل طارق).....10
- الجزيرة الأيبيرية.....73.54.35.12

– الدال –

- درب ابن زيدون.....11

– الزاي –

- الزلاقة.....23.18
- الزهراء 59

– السين –

- سبتة.....59

– الشين –

- الشارة.....45
- الشام.....45
- شريش.....36
- شنت ياقوت.....11

– الطاء –

- طليطلة.....123.110

– العين –

- العراق.....52

– الغين –

- غرناط.....52

– الفاء –

- فلسطين.....15

– القاف –

- القاهرة.....23.18
- قرطبة.....15

– الكاف –

- كنيسة الغراب.....54.11.10

– اللام –

- لذريق.....123.110

– الميم –

- مراكش 48.47.10
- مرسية.....136
- المشرق.....141
- مصر.....54.46
- المغرب.....15
- المغرب.....52
- واد لكة.....15

فهرس الموضوعات

بسملة

كلمة شكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ

مدخل.....09

الفصل الأول: ابن قزمان و ديوانه.....22

المبحث الأول:ابن قزمان نسبه و مولده، حاله، وفاته.....23

المبحث الثاني : تعريف ديوان ابن قزمان.....36

الفصل الثاني:المجتمع الأندلسي و عاداته.....50

المبحث الأول : بناء المجتمع الأندلسي.....51

المبحث الثاني : عناصر المجتمع.....67

المبحث الثالث: عادات و تقاليد المجتمع.....85

الفصل الثالث: اللهو و الترف:" أسبابه و مظاهره".....108

المبحث الأول: أسباب اللهو والترف.....109

المبحث الثاني: مظاهر اللهو والترف.....125

1- الخلاعة والمجون.....125

2- التأثر السلبي بالنصارى.....141

خاتمة 150

ملاحق.....154

قائمة المصادر و المراجع.....162

الفهارس.....181